UNIVERSAL LIBRARY

دار الكتب المصرية

القسم الأدبى



فى

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويرى

السفر الثانى

[الطبعة الثانية]

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ م



السّفر الثّـانى

من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب

للنـــويرىّ

الفن الثـانى

صحيفة

القسم الأوّل

فى آشتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، ووصفه، وتشبيهه،
والغزل، والنسيب، والهوى، والمحبة، والعشق، والأسباب؛
وفيه أربعة أبواب

الباب الأوّل :

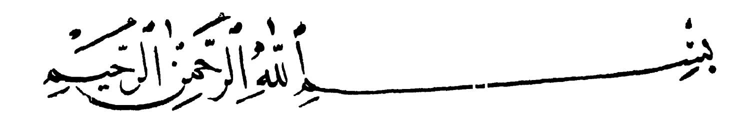
الباب الثانى :

صحيفة

صحيفة

صحيفة

صحيفة



الفن الثانى

فى الإنسان وما يتعلق به

وهذا الفن قد آشتمل على معانٍ مؤنسة للسامع، مشنِّفة للسامع؛ مرصِّعة لصدور الطروس والدفاتر، جاذبةٍ لنوافر القلوب والخواطر؛ واضحةِ البيان، معرِبة عن وصف الإنسان .

فمن تشبيهاتٍ فائقة، وغَزَلِيَّات رائقة؛ وأنسابٍ طاهرة، ووقائعَ ظاهرة؛ وأمثالٍ آمتدّت أطنابُها، وتبيّنَتْ أسبابُها؛ وأوابِدَ جعلتها العرب لها عادةً ودليلا، وآتخذتْها ضَلَالة وتبديلا؛ ونصبتْها أحكاما ونُسُكا، وصيرّتْها عبادة ومُدَاواةً فتبوّأت بها من النار دَرَكا؛ وشيءٍ من أخبار الكُهّان، وزَجْر عَبَدة الأوثان؛ وكِناياتٍ نَقَلت الألفاظَ إلى معانٍ أبهى من معانيها، وبَلَغت النفوسُ بعُذُوبتها غاية أمانيها؛ وألغازٍ غوّرَتْ بالمعانى وأنجدَتْ، وأشارتْ إليها بالتأويل حتى إذا قرّبتها من الأفهام أبعدَتْ؛ ومدائحَ رفَعتْ للممدوح من الفضل مَنَارا، وأهاجٍ صيرّت المهْجُوَّ من القوم يتوارى؛ ومُجُونٍ ترتاح إليها عند خلوتها النفوس، ويبتسم عند سماعها ذو الوجهِ العَبُوس؛ وشيءٍ مما قيل فى الخمر والمُعاقَرة، وأرباب الطَّرَب وذوِى المسامرة؛ وتَهَانٍ نَشَرتْ

من البشائر مُلاء، ورفعتْ من المَحامد لِواء، وتعَازٍ حسَرتْ نِقابَ الحَسَرات، وأبرزتْ مَصُون العَبَرات .

وأوردتُ فيه نبذةً من الزهد والإنابة، وجملةً من الدعَوات المستجابة .

وطرّزتُه بذكر مَلِكٍ مدّ رِواقَ العدل، ونشرلِواء الفضل؛ وقام بفُروض الجهاد وسُنَنه، وأراع العدوّ فى حالتى يقظته ووَسَنه؛ وعمّ الأولياء بمواصلة بِرّه وموالاة نَواله، وقهَر الأعداء بمراسلة سِهامه ومناضلة نِصاله ؛ وشَمِل رعاياه بعدله وجُوده ، وأردف سَراياه بجيوشه وجُنُوده؛ فهو الملك الذى جَمَع بين شِدّة البأس ولين الندى، وأزال مَرَارة الإياس بحلاوة العطا .

وما يحتاج إليه لإقامة المملكة : من نائبٍ ناهيك به من نائب! ، يكُفُّ بعزمه كَفَّ الحوادث ويفُلُّ بحزمه ناب النوائب؛ ويُنْصِف الضعيف من القوىّ، ويفرّق ببديهته بين المُرِيب والبَرِىّ؛ ويتفقّد أحوال الجيوش ويَصْرِف همته إليهم، ويجعل آهتمامه بهم وفكرتَه فيهم وتعويلَه عليهم؛ إلى غير ذلك من آستكمال عَدَدها، والمطالبة بعَرْض خيولها وإصلاح عُدَدها ؛ وسَدّ ثغور الممالك ، وضبط الطرق وتسهيل المسالك؛ وقَمْع المفسدين، وإرغام المُلْحِدين؛ وبث السَّرَايا، وتيسير الأرزاق والعطايا .

ووزيرٍ يشيّد قواعد ملكه بحسن تدبيره وجميل سَدَاده، ويُعْمِل فكره فيما يستقرّ بسببه نظامُ الملك على مِهاده ؛ ويأمر بتحصيل الأموال من جهات حِلّها، ويقرّ مناصب الدولة الشريفة فى الكُفَاة من أهلها ؛ ويتصفّح الأقاليم والمعاملاتِ والأعمال، ويستكفِى لمباشرتها أمناءَ النظّار ومحقّقِ المستوفين وكُفَاةَ العمال .

وقائدِ جيوشٍ إن آنتدبه للقاء عدوّ بَدّر الكتائب، وأنهل من دمائهم السُّمْرَ العوالى وعلا هامَهم بالبِيض القواضب؛ تتبعه عساكرُ تَنْفِرُ قلوبهم عن الفرار، ويُحِلُّوا مَنْ قاتلهم

من أعداء الله دارَ البَوَار، يَدَّرِعون السابِرِيَّة[١] الذَّوائل، و يعتقلون[٢] السَّمْهَرِيَّة الذَّوابل؛ و يتقلّدون المَشْرَفيّة البَوَاتر، و يتنكّبون القِسِيّ النواتر[٣]، و يمتطُون من كل جواد صَفَا منــه أديمُه وعيناه وحوافره ، وآتسع منه جوفُه وجبهته ومَنَاخِره ، وطال منــه أنفه وعنقه وذراعه ، وقَصُر منــه ظهره وساقه وعَسِيبه وآمتدّ عند الحُضْر باعه ، فهو من أكرم الأصائل ، والمعنيّ بقول القائل :

وَقَدْ أَغْتَدِى قَبْلَ ضَوْءِ الصَّباحِ * ووِرْدِ القَطَا فى الغُطَاطِ[٤] الحِثَاث

بصافِى الثَّلاث عريضِ الثلاث * قصيرِ الثلاث طويلِ الثَّــلاث

وذكرتُ ما ورد فى فضــل الرِّباط والجهــاد ، وما أعدّ اللهُ تعالى من الثواب لمن أنفق فيه الطَّوارف والتِّلاد ، و بذَل الكريمين : النفسَ والمــال ، لحسن المآل ، وهجر (٣) الحبيبين : الوطنَ والعيال ، لبلوغ الآمال .

ومِن قاضٍ يحكُم بين الناس بالعدل ، و يقدّم ذوى النباهة والفضل .

ومتولّى مظالمَ يردّها على أهلها بقهره وسلطانه ، وسطوته وأعوانه .

وناظرِ حِسْــبة يُجرى الأمور على قواعدها الشرعية ، وأوضاعها العُرفية ، وقوانينها المَرْضِــــية .

إلى غير ذلك :

---

(١) السابرية : دروع دقيقة النسج فى إحكام ، والذوائل جمع ذائلة وهى الطويلة .

(٢) اعتقل الرمح : وضعه بين ركابه وساقه .

(٣) فى القاموس « قوس ناترة : تقطع وترها لصلابتها » .

(٤) الغطاط : الصبح .

من كاتب ذى رأى صائب ، وفهم ثاقب ، آنقادت له المعـانى بأسهل زمام ، وأغنت صحائفه عن صَفَحات الحُسَام :

لَوْ لاحظَتْ عينُ آبن أوْسٍ(١) كُتْبَهُ * ما قال إن السـيف منها اصـدقُ

وكاتبِ خراج ضَبَط بقلمه الأموال ، وحرّر بنَبَاهته الغِلال ، وبسط الموازين ، ووضع القوانين ، وفصل بين الخراجى والهلالى ، وميز ما بين الأعمـال والتوالى .

وما لا بدّ للملك منه من خواصّ جُبلتْ على محبته قلوبُهم ، وتجافت عن المضاجع فى خدمته جُنُوبُهم .

ومن مَعْقِلٍ شَمَخ على الجوزاء بأنفه ، وآتخذ الثريّا وِشاحا لِعطْفه ، توَارى فى قرار التخوم أساسُـه ، ولاح للسارى ككوكب الظلماء مِقْباسُـه ، فالأرض تدّعيه لأنه ثبتَ على مناكبها ، والسماء تنازعها فيه ، لأنه تَمَنْطَق بكواكبها ، والجبال تقول : منّى آتُّخِذت أحجارُه ، والمياه تقول : علىّ آستقرّ قرارُه ، وجفن السحاب يَهْمَع لآنحطاطه عن هذه الرتبة ، والطير تقول : إن لم أبلغه فقد آتّحَدَ به مَنْ بيني و بينه نِسْبَة .

وضَمَّنتُ هذا الفن من المنقول ما يسهُل تعاطيه على الأفهام ، ووضعتُه على خمسة أقســام :

(١) يريد بآبن أوس أبا تمام الشاعر ويشير الى قوله : السيف أصدق إنباء من الكتب .

القســـم الأوّل

فى آشـــتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، ووصفه، وتشبيهه والغَزَل، والنَّسيب، والهوى، والمحبة، والعشق، والأسباب

وفيــه أربعـــة أبواب

البـاب الأوّل

من القسم الأوّل من الفن الثـانى

فى آشتقاقه، وتسميته، وتنقلاته، وطبائعه، وما يتصل بذلك

فأما آشتقاقه وتسميته، فقد آختلف الناس فى ذلك : هل هو من الأُنْس الذى هو نقيض الوحشة، أو النَّوْس الذى هو نقيض السكون، أو الإيناس الذى هو بمعنى الإبصار، أو النِّسيان الذى هو نقيض الذِّكْر .

قال الشريف السيد ضياء الدين أبو السعادات هبة الله المعروف بآبن الشَّجَرِى فى أماليه فى المجلس التاسع عشر وهو يوم السبت سابعَ عشرَ رجب سنة أربعٍ وعشرين وخمسمائة فى شرح قول أعشى تَغْلِب :

وكانُوا أُناسًا يَنْفَحُون فأصبحوا * وأكثرُ ما يُعطونك النظرُ الشَّزْرُ

قوله : «وكانوا أناسا ينفَحون» وزن أناس فُعال، وناس منقوص منه عند أكثر النحويين، فوزنه عالٌ . والنقص والإتمـام فيه متساويان فى كثرة الآستعمال ما دام منكوراً . فإذا دخلت عليــه الألف واللام آلتزموا فيــه الحذفَ فقالوا النـاس، ولا يكادون يقولون الأُناس إلا فى الشعر كقوله :

إنّ المَنَـايَا يَطّلِعْـ * ـنَ على الأُنَاسِ الآمنينَا

وحجة هذا المذهب وقوع الأُنس على الناس . فاشتقاقه من الأُنس نقيض الوحشة، لأن بعضهم يأنس إلى بعض . [وبه(١) أخذ بعض الشعراء فى قوله :

وما سمِّى الإنسان إلا لأُنْسِـه * ولا القلب إلا أنه يتقلَّبُ].

قال : وذهب الكسائىّ إلى أن النـاس لغة مفردة، وهو آسم تامّ وألفه منقلبة عن واو، وآستدلّ بقول العرب فى تحقيره نُوَيْس .

قال : ولو كان منقوصا من أناس لردّه التحقير إلى أصله فقيل أُنَيِّس .

وقال بعضُ مَنْ وافق الكسائىّ فى هذا القول : إنه مأخوذ من النَّوْس، مصدر ناس يَنُوس إذا تحرّك . ومنه قيل لملِك من ملوك حِمْيَر : ذو نُوَاس لضفيرتين كانتا تَنُوسان على عاتقه .

قال الفرّاء : والمذهب الأوّل أشبه وهو مذهب المشيخة .

وقال أبو علىّ الفارسىّ : أصل الناس الأناس ، فحذفت الهمزة التى هى فاء، ويدلك على ذلك الإنْسُ والأَنَاسِىّ. فأما قولهم فى تحقيره نُوَيس فإن الألف لما صارت ثانية وهى زائدة أشبهت ألف فاعل . يعنى أنها أشبهت بكونها ثانية وهى زائدة ألِفَ

(٤) ضاربٍ فقيل : نويس كما قيل : ضويرب .

وقال سَلَمَة بن عاصم — وكان من أصحاب الفراء — : الأشبه فى القياس أن يكون كلُّ واحد منهما أصلا بنفسه ، فأناس من الأنس ، وناس من النوس لقولهم فى تحقيره : نويس كبويب فى تحقير باب .

هذا ما قاله آبن الشجرىّ فى أماليه .

وذهب أبو عمرو الشَّيْبانىّ : أنه مشتق من الإيناس الذى هو بمعنى الإبصار، وحجته قوله تعالى : (إِنِّى آنَسْتُ نارًا) أى أبصرت نارا .

(١) لم نجد هـذه الزيادة فى أمالى آبن الشجرى الموجود منها نسختان مخطوطتان بدار الكتب المصرية تحت رقمى ٣٦٣٣ أدب و ٥٩ أدب ش .

وذهب الكوفيون إلى أنه مشتق من النِّسْيان، وحجتهم أن أصله إنسيَان، فحذفت الياء تخفيفا وفتحت السين لأن الألف تطلب فتح ماقبلها، ولأن العرب حين صغرته قالت فيه : أُنَيْسِيان، فزادت الياء، والتصغير يردّ الأشياء إلى أصولها، ولو لم تكن في المكبَّر لما رُدَّت في المصغَّر، و به أخذ أبو تمام في قوله :

لا تَنْسَيَنْ تلك العُهودَ فإنما * سُمِّيتَ إنسانًا لأنك ناسِي

وأنكر البصريون ذلك وقالوا : لا حجة فيه، لأن العرب قد صغرت أشياء على غير قياس، كما قالوا في تصغير رجل بمعنى راجل رويجل، وفي تصغير ليلة لُيَيْلَة (١)، وفي تصغير عَشِيّة عُشَيْشة .

وقال ابن عباس : إنما سمي الإنسان إنسانا لأنه عُهِد إليه فَنسِيَ ؛ وهذا هو الأرجح والله تعالى أعلم .

فصل

قال أحمد بن محمد بن عبد ربه صاحب العقد في كتابه يرفعه إلى وَهْب بن منبِّه إنه قال : قرأت في التوراة أن الله عز وجل حين خلق آدم ركَّب جسده من أربعة أشياء، ثم جعلها وِراثة في ولده، تنمى في أجسادهم وينْمُون عليها إلى يوم القيامة : رَطْب، ويابس، وسُخْن، وبارد . قال : وذلك أن الله سبحانه وتعالى خلقه من تراب وماء، وجعل فيه يُبْسا ورطوبة، فيبوسة كل جسد من قِبَل التراب، ورطوبته من قِبَل الماء، وحرارتُه من قِبَل النفس، وبرودته من قِبَل الروح . ثم خلق للجسد بعد هذا الخلق الأول أربعةَ أنواع أُخَر، وهي مِلَاك الجسد وقِوَامه، لا يقوم الجسد إلا بهنّ، ولا تقوم واحدة منهنّ إلا بالأخرى : المِرّة السوداء، والمِرّة الصفراء، والدم الرطب الحارّ، والبلغم البارد . ثم أسكن بعضَ هذا الخلق في بعض، فجعل مَسْكن

(١) كذا في الأصل بدون ياء بعد اللام الثانية ، وصوابه لييلية بياء بعد اللام لأنه هو التصغير الذي سمع فيها .

اليبوسة فى المِرّة السوداء، ومسكن الرطوبة فى الدّم، ومسكن البرودة فى البلغم، ومسكن الحرارة فى المِرّة الصفراء. فأيّما جسدٍ آعتدلت فيه هـذه الفطَر الأربع وكانت كلُّ واحدة فيه وفقا لاتزيد ولاتنقص، كملت صحته وآعتدل بناؤه. فإن زادت واحدة منهنّ عليهنّ وقهَرتْهنّ ومالت بهنّ، دخل على أخواتها السُّقْم من ناحيتها بقدر ما زادت؛ وإن كانت ناقصة عنهنّ، مِلْن بها وعلَوْنها وأدخلن عليها السُّقْم من نواحيهنّ، لغلبتهنّ عليها حتّى تضعُف عن طاقتهنّ وتعجزَ عن مقاومتهنّ.

قال وهب: وجعل عقله فى دماغه، وشَرَهه فى كُلْيتيه، وغضبه فى كبده، وصَرَامته فى قلبه، ورغبته فى رئته، وضحكه فى طحاله، وحزنه وفرحه فى وجهه. وجعل فيـه ثلثمائة وستين مَفصِلا.

ويقال: إنمـا لُقِّب الإنسان بالعالم الصغير، لأنهم مثَّلوا رأسه بالفلك، ووجهه بالشمس إذ لاقِوام للعالَم إلا بها كما لاقوام للجسد إلا بالرُّوح، وعقلَه بالقمر لأنه يزيد وينقص ويذهب ويعود، ومثلوا حواسَّه الخمسَ ببقية الكواكب السـيَّارة، وآراءه بالنجوم الثابتة، ودمعه بالمطر، وصوته بالرعد، وضحكه بالبرق، وظهره بالبَرّ، وبطنه بالبحر، ولحمه بالأرض، وعظامه بالجبال، وشعره بالنبات، وأعضاءه بالأقاليم، وعروقه بالأنهار، ومغار عروقه بالعيون.

ومنها: أن فيه مايشا كل الجمعة والشهور والأيام والسنة.

أما أيام الجمعة فإن بدنه سـبعة أجزاء، وهى اللحم والعظام والعروق والأعصاب والدّمُ والجلد والشعر.

وأما الشهور فإن لبدنه آثنى عشر جزءا مدبرًا: سـتة منها باطنة، وهى الدماغ والقلب والكَبِد والطِّحال والمعدة والكُلْيتان؛ وسـتة ظاهرة، وهى العقل والحواسّ الخمس؛ فهذه الآثنا عشر مقابلة لشهور السنة.

وأما الأيام فإن فيه ثلثمائة وستين عظما، منها ما هو لِبِنْية الجسد مائتان وثمانية وأربعون عظما . والإنسان ينقسم إلى أربعة أنواع : الرأسُ، واليدان، والبدن، والرِّجْلان، ففى الرأس آثنان وأربعون عظما، وفى اليدين آثنان وثمانون عظما، وفى البدن أربعون عظما، وفى الرجلين أربعة وثمانون عظما، والباقى سُمْسُمانية(١) لسدّ الفروج التى تكون بين العظام . وفيه ثلثمائة وستون عِرْقا .

وأما فصول السنة : فإن فيه أربعة أخلاط طَبْعُها طبعُ الفصول الأربعة، فالدّم كالربيع فى حرارته ورطوبته، والمِرّة الصفراء كالصيف فى حرّه ويبسه، والمِرّة (٥) السوداء كالخَريف فى برده ويبسه، والبلغم كالشتاء فى برده ورطوبته . وهذه الأخلاط من أوّل مزاج الأركان التى هى العناصر الأربعة وهى النار والهواء والماء والأرض .

فصل

وأما ترتيب أحواله وتنقل السنّ به إلى أن يتناهى :

[قال الله تبارك وتعالى(٢) : ﴿يَأَيُّها النَّاس إِنْ كُنْتُمْ فِى رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِى الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ .

وقال تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ .

(١) السمسمانية : عظام صغيرة جدا تبطن الفُرَج التى فى مفاصل الأصابع .

(٢) هذه الزيادة المحصورة بين قوسين مربعين منقولة كما هى عن إحدى النسخ .

وقال عز وجل : ﴿هُوَ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ .

وفى الحديث الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إنَّ أحدَكُمْ يُجْمَعُ فِى بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا ثُمَّ يكون عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ ثُمَّ يبعثُ اللهُ تعالى مَلَكًا فيؤمَرُ بأرْبَعٍ برزقه وأجله وشقىّ أو سعيد" الحديث .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "وَكَّلَ اللهُ بالرحم مَلَكا فيقولُ أىْ ربِّ نطفةٌ أى ربِّ عَلقةٌ أى ربِّ مضغةٌ فإذا أراد اللهُ أن يقْضِىَ خَلْقَها قال أىْ ربِّ ذكَرٌ أم أنثى أشقِىّ أم سعِيد فما الرزقُ فما الأجلُ فيُكتَبُ كذلك فى بطن أمِّه" . خرّج ذلك البخارىّ فى صحيحه فى باب القَدَر .

وقال الثعلبىّ فى تفسير قوله تعالى ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ :

قالت الحكماء : يشتمل الإنسانُ من كونه نطفة إلى أن يهرَم ويموت على سبعة وثلاثين حالا[1] ، وسبعة وثلاثين آسما[1] : نُطْفة ، ثم عَلَقة ، ثم مُضْغة ، ثم عَظْما ، ثم خَلْقا آخر ، ثم جَنِينا ، ثم وَلِيدًا ، ثم رَضِيعا ، ثم فَطِيما ، ثم يافِعًا ، ثم ناشِئًا ، ثم مُتَرَعْرِعا ، ثم حَزَوَّرا ، ثم مُرَاهِقا ، ثم مُحْتَلِما ، ثم بالِغًا ، ثم أَمْرَدَ ، ثم طَارًّا ، ثم باقِلًا ، ثم مُسَيْطِرا ، ثم مُضْرِخا ، ثم مُخْتَطًّا ، ثم صُمُلًّا ، ثم مُلْحِيا ، ثم مُسْتَرِيما ، ثم مصعدا ، ثم مُجْتَمِعا .

وقال غيره] :

(١) البيانات التالية بعده سبعة وعشرون فلعلها محرفة عنها .

ما دام الولد فى الرَّحِم فهو جَنِين، فإذا وُلِد فهو وَلِيد، وما دام لم يَسْتَتِمَّ سبعةَ أيام فهو صَدِيغ لأنه لم يشتدّ صُدْغُه إلى تمام السبعة، ثم ما دام يَرْضَع فهو رَضِيع، فإذا قُطِع عنه اللبن فهو فَطِيم، ثم إذا غلُظ وذهبت عنه تَرَارَةُ الرَّضَاعة فهو جَحْوَش .

قال الهُذَلىّ :

قَتَلْنَا مَخْـلَدًا وآبنَىْ حُرَاق * وآخَرَ جَحْوَشًا فوقَ الفَطِيم

ثم إذا دَبَّ ونمـا فهو دارِج .

فإذا بلغ طُولُه خمسةَ أشبار فهو خُمَاسِىّ .

فإذا سقطت رواضعه فهو مَثْغُور .

فإذا نبتت أسنانه بعد السُّقُوط فهو مُثَّغِر ومتَّغِر معا .

فإذا كاد يُجَاوِزُ[1] العشر السنين او جاوَزَها، فهو مترعْرِع وناشئ .

فإذا كاد أن يبلُغَ الحُلُم أو بلغه، فهو يافِعٌ ومراهِق .

فإذا آحتلم وآجتمعَتْ قوّتُه، فهو حَزَوّر، وآسمه فى جميع هذه الأحوال التى تقدّم ذكرها غُلَام .

فإذا آخضَرَّ شاربه وأخذ عِذارُه يَسِيل، قيل فيه : قد بَقَل وجهُه .

فإذا صار ذا فَتَاء، فهو فتًى وشارخ .

فإذا آجتمعت لِحْيته وبلغ غايةَ شبابه، فهو مجتمِع .

ثم مادام بين الثلاثين والأربعين، فهو شابٌّ، ثم هو كَهْل إلى أن يستوفِىَ الستين .

---

(١) كذا فى فقة الثعالبي . وفى الأصل «فاذا تجاوز عشر سنين أو جاوزها فهو مترعرع وناشئ» .

فصـــــل (١)

فى ظهـــور الشيب وعمومه

يقال للرجل أوّلَ ما يظهر به الشيبُ : قد وَخَطه الشيب .

فإذا زاد قيل : خَصَّفه وخَوَّصه .

فإذا آبيضّ بعضُ رأسه قيل : قد أخْلَس رأسُه فهو مُخْلِس .

فإذا غلب بياضُه سوادَه فهو أَغْثَمُ .

فإذا شَمِطت مواضعُ من لحيته قيل : وخَزَه القَتِير ولَهَزه .

فإذا كثر فيه الشيبُ وآنتشر قيل فيه : قد تقَشَّع (٢) فيه الشيبُ .

و يقال أيضا : شابَ الرجل ، ثم شَمِط ، ثم شاخَ ، ثم كَبِر ، ثم توجَّه ، ثم دلَفَ ، ثم دَبَّ ، ثم مَجَّ ، ثم هَدَج ، ثم ثَلَّب ، ثم الموت .

وقيل : ما السرور ؟ قال : إدراك الحقيقة ، وآستنباط الدَّقيقة .



وأما النفس الغضبية فهمُّ صاحبها منافَسَة الأكْفاء ، ومغالبـة الأقْران ، ومكاثرة العشيرة .

---

(١) كذا وقع ترتيب هذا الفصل بالأصل . والناظر اليه يرى أن مضامينه ملفقة ، فانه بعد أن تكلم فى أوله على الشيب ذكر السرور واختلاف الناس فيه وتكلم على أقسام النفس الى غضبية و بهيمية ولا علاقة لشىء من ذلك بالشيب والكلام فيه . وقد عقد المؤلف بعد ذلك بقليل فصلا للكلام عن الشيب والخضاب وما قيل فيهما من المدح والذم .

(٢) كذا بالأصل وفقه اللغـة ، وهو محرف عن "تفشغ" قال فى القاموس : وتفشغ فيـه الشيب أو الدم : آنتشر وكثر .

ومن ذلك ما أجاب به حصين بن المنذر وقد قيل له : ما السُّرور؟ قال : لواء منشور، والجلوس على السرير، والسلام عليكَ أيها الأمير .

وقيل للحسن بن سهل : ما السرور ؟ قال : توقيعٌ جائز، وأمرٌ نافذ .

وقيل لعبد الله بن الأهتم : ما السرور؟ قال: رفعُ الأولياء، ووَضْع الأعداء، وطول البقاء، مع الصحّة والنماء .

وقيل لزياد : ما السرور ؟ قال : من طال عُمُره، ورأى فى عدوّه ما يسُرُّه .

وقيل لأبى مسلم صاحب الدعوة : ما السُّرور ؟ قال : ركوب الْمَهَالِجة، وقتل الجبابرة . وقيل له : ما اللذة ؟ قال : إقبال الزمان، وعِزّ السلطان .

* * *

وأما النفس البهيمية ، فهمُّ صاحبها طلبُ الراحة . وآنهماك النفس على الشهوة من الطعام والشراب والنكاح .

وعلى هذه الطبيعة البهيمية قسّمت الفُرْس دهرَها كلَّه فقالوا :

يوم المَطَر للشرب ؛ ويوم الريح للنوم ؛ ويوم الدّجْن للصيد ؛ ويوم الصَّحْو للجلوس ؛

قيل : ولما بلغ آبن خَالَوَيْهِ ما قسّمتْه الفرسُ من أيامها قال : ما كان أعرَفَهم بسياسة دنياهم ! ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ .

ولكنّ نبينا صلى الله عليه وسلم جَزَّأ نهارَه ثلاثةَ أجزاء: جزءا لله، وجزءا لأهله، وجزءا لنفسه ؛ ثم جَزَّأ جزأه بينه وبين الناس، فكان يستعين بالخاصة على العامة، ويقول : " أبلِغُوا حاجةَ مَنْ لا يَسْتطِيعُ إبلاغى فإنه مَنْ أبلغ حاجةَ مَنْ لا يستطيع آمنه الله يوم الفَزَع الأكبر" .

قالوا : والطبيعة البهيمية هى أغلبُ الطبائع على الإنسان لأخذها بمجَامع هواه، وإيثار الراحة وقلة العمل .

ومن ذلك قولهم : الرأى نائم، والهوى يقظانُ . وقولهم : الهوى إلهٌ معبودٌ .

ومن ذلك ما أجاب به آمرؤ القيس، وقد قيل له : ما السرور ؟ فقال : بيضاء رُعْبُوبة، بالطِّيب مَشْبوبة ، باللحم مَكْروبة . وكان مفتونا بالنساء .

وقيل لأعشى بكر: ما السرور؟ قال : صَهْباءُ صافية، تَمزُجُها ساقية، من صَوْب غادية . وكان مغرما بالشراب .

وقيل لطَرَفة بن العبد : ما السرور ؟ قال مَطْعَم هَنِيء، ومَشْرَب رَوِىّ، ومَلْبَس (٦) دَفِىء، ومَرْكَب وَطِىء . وكان يُؤْثِر الخَفْضَ والدَّعة . وهو القائل :

فلولا ثَلَاثٌ هنّ من عِيشـةِ الفتى * وعَيْشِـك لم أحْفِـلْ متى قام عُوَّدى
فمنهن سبقى العـاذلاتِ بشَرْبة * كُمَيت متى ما تُعـلَ بالمـاء تُزْبِدِ
وكَرِّى إذا نادى المُضـافُ مُحَنَّبـا * كسـيدِ الغَضَـا نبَّهْتَـه المتـورِّدِ
وتقصيرُ يومِ الدَّجْن، والدَّجْنُ مُعْجِب، * ببهْكَـنةٍ تحت الخِبَـاء المُعَـمَّدِ

وسمع هذه الأبياتَ عمر بن عبد العزيز فقال : وأنا لولا ثلاث لم أحفل متى قام عُوَّدى : لولا أن أعدِل فى الرعية، وأقسِم بالسَّوِيَّة، وأنفِرَ فى السَّرِيَّة .

وقال عبد الله بن نَهيك — عفا الله تعالى عنه — :

فلولا ثلاثٌ هنّ من عِيشة الفتى ، * وعَيْشِك ، لم أحْفِل متى قام رامسُ
فمنهن سَبْقُ العاذلات بشربة * كأنَّ أخاها مطلَعَ الشمس ناعِسُ
ومنهنّ تجـريدُ الكَواعب كالدُّمى * إذا آبتُزَّ عن أكفالهنّ الملَابِسُ
ومنهنّ تقـريط الجَـوَاد عِنـانَه * إذا آبتدر الشخصَ الخفىَّ الفوارسُ

وقيل ليزيد بن مزيد : ما السرور ؟ فقال : قُبْلة على غفلة .

وقيل لحُرَقة بنت النعمان : ما كانت لذةُ أبيك ؟ قالت : شربُ الجِرْيال ، ومحادثة الرجال .

وقيل للحسن بن هانئ : ما السرور؟ فقال : مجالسة الفِتْيان، فى بيوت القيان، ومنادمة الإخوان، على قُضُب الرَّيْحان، ثم أنشد :

قلتُ بالقُفْص لموسى * ونَدَاماىَ نِيَامُ
يا رضيعى ثدى أمٍّ * ليس لى عنه فِطَامُ
إنما العَيْشُ سَمَاعٌ * ومُدَام ونِدامُ
فإذا فَاتَك هذا ، * فعلى الدُّنيا السلامُ

... ...



الباب الثانى

من القسم الأوّل من الفن الثانى

فى وصف أعضاء الإنسان وتشبيهها، وما وصف به طِيب الريق والنَّكْهة ، وحسن الحديث والنَّغْمة، وٱعتدال القدود، ووصف مشْى النساء ، وهو مرتب على ترتيب بِنْية الإنسان فى المذكر والمؤنث .



فأما الشَّعَر وما قيل فيه ، قال الثعالبىّ عن أئمة اللغة : العَقِيقة: الشعر الذى يولَدُ به الإنسان — الفَرْوة : شعر معظم الرأس — الناصِيَة : شعر مقدّم الرأس — الذُّؤابة : شعر مؤخَّر الرأس — الفَرْع : شعر رأس المرأة — الغَدِيرة ·

شعر ذُؤابتها — الغَفَر : شعر ساقها — الدَّبَب : شعر وجهها — الوَفْرة : مابلغ شحمةَ الأذن من الشعر — اللِّمّة : ما أَلَمَّ بالمَنْكِب منه — الطُّرّة : ما غشَّى الجبهةَ منه — الجُمّة والغَفْرة : ما غطَّى الرأس منه .

الهُدْب : شعر أشفار العين — الشارب : شعر الشَّفَة العليا — العَنْفَقَة : شعر الشفة السُّفْلى — المَسْرَبة : شعر الصدر . وفى الحديث أنه كان عليه الصلاة والسلام دقيق المَسْرَبة — الشِّعْرة : العانة — الإِسْب : شـعر الآست — الزَّبَب : شعر بدن الرجل . ويقال : بل هو كثرة الشعر فى الأذنين .

فصـــــل

فى تفصـــيل أوصـافه

يقال : شـعر جُفَال إذا كان كثيرا — ووَحْفٌ اذا كان متصلا — وكَثٌّ إذا كان كثيرا كثيفا مجتمعا — ومُعْلَنْكِس ، ومعلنكك اذا زادت كثافتـه — ومُنْسَدِر، إذا كان منبسطا — وسَبِط إذا كان مسترسلا — ورَجْل إذا كان غير جَعْد ولا سبط — وقَطَطٌ إذا كان شـديد الجُعُودة — ومُقْلَعِطٌّ إذا زاد على القَطَط — ومُفَلْفَل إذا كان نهايةً فى الجُعُودة كشعر الزِّنْج .

وسُخَام إذا كان حسنا لَيِّنا — ومُغْدَوْدِن إذا كان طويلا ناعما .

وقال الأصمعىّ : من لم يَخِفَّ شعره قبل الثلاثين لم يَصْلَع أبدا ، ومن لم يحمل اللحمَ قبل الثلاثين لم يحمله أبدا .

* * *

ومما وُصف به الشَّعَرُ، قال نصر بن أحمد — عفا الله تعالى عنه — :

سَلْسَل الشَّعْر فوقَ وجهٍ حَكَاكَ * ظُلْمَةَ الليل فوقَ ضَوْءِ الصَّباح

وقال ابن الرومىّ :

وفاحــمٍ واردٍ يُقَبِّــلُ مَمشاه إذا اختالَ مُرسِلا غُدُرَهْ *

أقبَلَ كاللَّيْــل من مَفارِقه * منحدِرًا لا يُذَمُّ منحَــدَرَهْ

حتَّى تناهى إلى مَوَاطِئــه (١) * يَلْثِمُ من كلِّ مَوْطِئ عَفَــرَهْ

كأنَّهُ عاشِــقٌ دَنَا شَــغَفًا * حتَّى قضى من حَبيبِه وَطَرَهْ

وقال فتح الدّين بن عبد الظاهر :

حَــلَّ ثلاثاً يومِ حَمَّامِــه * ذوائبًــا يَعْبَقُ منهــا الغَوَالْ

فقلتُ والقَصْــدُ ذُؤاباتُه * ياسَهَرِى فى ذى اللَّيالِ الطِّوالْ

وقال آخر :

قد عُلِّق القلب بذُبُّوقةٍ * وجُنّ منها فهو مَفْتونُ

واعَجبًا للعِشْق فى حُكْمِه * بشَعْرة قُيِّــد مجْنونُ

وقال آخر :

رأيتُ على قَــدِّ الحَبِيبِ ذُؤابةً * فَعَيْنِي على تلك الذُّؤابة تَهْمَعُ

يقول لِىَ الواشُونَ مالك باكِيًا * فقلت بعينِى شَعْرةٌ فهى تَدْمَعُ

وقال آخر :

وشَــعْرةٍ عايَنَهــا ناظِرى * على قَوَامِ مائسِ الخَطْرَهْ

فسالَ دَمْعا وهَمَى جَفْنُــه * والدَّمْعُ لا شَــكَّ من الشَّعْرَهْ

وقال آخر :

ولَرُبَّ مَمْشُوقِ القَوَامِ تَضُــمُّه * ممشــوقةٌ فتعانَقَــا غُصْنَيْنِ

أرْخَتْ ذوائبَها وأسبل شَــعْرَه * فتقابَلا قمرَيْــن فى لَيْلَيْنِ

(١) فى الأصل : "مواطنه" بالنون وهو تحريف ، والصواب ما أثبتناه كما فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩ أدب وكما يقتضيه السياق .

*
* *

ومما وُصِفت به شعورُ النساء، قال بكر بن النَّطاح :

بَيْضاء تَسْحَبُ من قِيامٍ فَرْعَها * وتَغيبُ فيه فهْو جَثْلٌ أسْحَم
فكأنَّها فيــه نهـارٌ ساطِـعٌ * وكأنَّه ليْـلٌ عليها مُظْلِمُ

وقال آخر : (٨)

نشرَتْ عَلَيَّ ذوائباً من شَعْرِها * حذَرَ الكَواشِحِ والعَدُوِّ المُحْنَقِ
فكأنَّنِي وكأنها وكأنَّهُ * صُبْحانِ باتا تحت ليلٍ مُطْبِقِ

وقال عمرُ بن أبى ربيعة :

سبَتْهُ بوَحْف فى العقَاص كأنَّهُ * عَنَاقِيدُ دَلَّاها من الكَرْم قاطفُ
أَسيلاتُ أبدانٍ دِقاقٌ خُصورُها * وَثيراتُ ما ٱلتَفَّتْ عليه المَلاحِفُ

وقال المتنبى :

ومَنْ كُلَّمَا جَرَّدْتُها من ثيابِها * كَسَاها ثِياباً غيْرَها الشَّعَرُ الوَحْف

وقال أيضـا :

دعَتْ خَلاخيـلُها ذوائِبَها * بِجِنَّ مِن فَرْقِها إلى القَدَمِ

وقال فى أخرى :

نَشَرَتْ ثَلاثَ ذوائبٍ من شَعْرِها * فى ليْــلةٍ فأرَتْ لَيالِىَ أرْبعَـا
وٱستَقْبَلَتْ قَمَرَ السماءِ بوجْهِها * فأرَتْنِىَ القمرَيْنِ فى وَقْتٍ معَا

وقد ألَمَّ فى ذلك بقول ٱبن المعتزّ :

سَقَتْنِيَ فى لَيْـلٍ شَبِيهٍ بشَعْرِها * شَبِيهةَ خَدَّيْها بغَــيْرِ رَقيب
فأَمْسَيْتُ فى لَيْلَيْنِ بالشَّعْرِ والدُّجى * وشَمْسَيْنِ من خَمْرٍ وخَدِّ حَبِيب

وقال آبن المعتزّ (١) :

فلمّا أنْ قضتْ وَطَرا وهَمّتْ * على عَجَلٍ بأخْذٍ للرِّداءِ
رأَتْ شَخْصَ الرَّقيب على تَدَانٍ * فأسبلَتِ الظَّلامَ على الضِّياءِ
وغابَ الصبحُ منها تحتَ ليلٍ * وظَلَّ الماءُ يَقْطُر فوقَ ماءِ

وقال آبن لَنْكَك :

هَلْ طالبٌ ثأْرَ مَنْ قد أهدَرَتْ دَمَهُ * بِيضٌ عليهنّ نَذْرٌ قتلُ مَنْ عَشِقا
من العَقائل ما يَخْطِرْنَ عن عُرُضٍ * إلّا أرَيْنَك فى قَدٍّ قَنًا ونَقَا
رَوَاعِفٌ بخُدودٍ زانها سَبَجٌ * قد زَرْفَنَ (٢) الحسنُ فى أصداغها حَلَقا
نَوَاشِرٌ فى الضُّحى من فَرْعِها غَسَقًا * وفى ظَلام الدُّجى من وَجْهها فَلَقا
أَعَرْنَ غِيدَ ظِباءٍ رُوِّعتْ غَيَدًا * والوَرْدَ تَوْرِيدَ خدٍّ والمَهَا حَدَقا

وقال آبن دريد الأزدىّ :

غَرّاء لو جَلَتِ الخُدُودُ شُعاعَها * للشَّمْس عند طُلُوعها لم تُشْرِقِ
غُصْنٌ على دِعْصٍ تأَلَّقَ فَوْقَهُ * قمرٌ تألَّقَ تحتَ ليلٍ مُطْبِقِ
لو قِيل للحُسْن آحتَكِمْ لم يَعْدُها * أو قيل خاطِبْ غيرَها لم يَنْطِقِ
فكأنَّنا مِن فرعها فى مَغْرِبٍ * وكأنَّنا من وَجْهِها فى مَشْرِق

وقال آخر :

جُعودةُ شعرها تَحْكِى غَدِيرا * يُصَفِّقُه الجَنوبُ مع الشَّمالِ

(١) كذا فى الأصل، والمشهور أن الأبيات من شعر أبى نواس، وقد وردت فى أخبار أبى نواس طبع مصر سنة ١٣٤٣ ﻫ (ج ١ ص ٢١٧) .

(٢) زرفن صدغيه جعلهما كالزِّرفين، وهو حلقة الباب .

⁂

ذكر ما قيل فى الشيب والخضاب من المدح والذم

فأما مدح الشيب فقد ورد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ شابَ شَيْبَةً فى الإسلام كانتْ له نُورا يومَ القِيامةِ" .

وقال ٱبن أبى شيبة : نهى رســول الله صلى الله عليه وســلم عن نَتْف الشيب وقال : "هو نور المؤمِن" .

وفى الحديث عن النبىّ صلى الله عليه وسلم : "إن أوّلَ مَنْ رأى الشيب إبراهيمُ الخليل عليه السلام فقال يا ربِّ ما هذا فقال له الوقارُ فقال رب زِدْنِى وقارا" .

وتأمل حكيمٌ شيبهَ فقال : مرحبا بزَهْرة الحُنْكة ، و يُمْن الهــدى ، ومقــدِّمة العفَّة ، ولباس التقوى .

وقيل : دخل أبو دُلَف على المأمون وعنده جارية له ، وكان أبو دُلَف قد ترك الخِضاب ، فأشار المأمون الى الجارية فقالت له : شِبْتَ يا أبا دُلَف ، إنا لله و إنا اليه راجعون ! فسكتَ عنها أبو دلف ، فقال له المأمون : أجبها ، فقال :

تَهزَّأتْ إذ رأتْ شَيْبِى فقلتُ لها * لاتَهْزَئِى مَنْ يطُلْ عمرٌ به يَشِبِ
شَيْبُ الرجالِ لهم زَيْنٌ ومكْرُمةٌ * وشَيْبُكنّ لكُنَّ الويلُ فاكتئبى
فينا لَكُنَّ و إن شَيْب بَدَا أرَبٌ * وليس فيكُنَّ بعدالشَّيْب من أرَب

وقال آخر : (٩)

أهْلا وسَهْلا بالمشيب ومرحبـا * أهْـلًا به من وافِـدٍ ونَزِيلِ
أَهْـدى الوقارَ وذادَ كلَّ جَهـالة * كانتْ وسـاقَ إلىّ كلَّ جميـلِ

فَصَحبتُ فى اهل التقى أهلَ النهى * ولُقيتُ بالتعظيم والتبجيلِ
ورأى لىَ الشُّبَّانُ فضلَ جلالةٍ * لما ٱكتَهَلْتُ وكنتُ غير جَليل
فإذا رأَوْنى مقبلًا نهضُوا معًا * فِعلَ المقرِّ لهيبة التفضيلِ
إن قلتُ كنتُ مصدَّقًا فى منْطِقٍ * ماضى المقَالة حاضرَ التعديل

وقال مُسْلم بن الوليد :

الشَّيْبُ كُرْهٌ وكُرْهٌ أن يُفارقَنِى * اعْجِب لشىءٍ على البغضاءِ مودُود

وقال علىّ بن محمد الكوفىّ :

بكى للشَّيْب ثم بَكى عليه * وكان أعَزَّ من فقد الشَّبابِ
فقُلْ للشَّيْب لا تبْرَحْ حَميدًا * إذا نادى شبابُك بالذَّهاب

وقال العسكرىّ :

يَودُّ أنَّ شَيْبَهُ * إذ جاءَ لا ينْصَرِفُ
يَخْلُفُ رَيْعانَ الصِّبا * والمَوتُ منه خَلَفُ

وقال ٱبن المعتز (١) :

قد يَشِيبُ الفَتى وليس عَجِيبًا * أن يُرى النَّوْرُ فى القضيب الرَّطيبِ

وقال أبو تمام :

ولا يُؤرِّقْكَ إيماضُ القَتِير بِهِ * فإنَّ ذاك ٱبتسامُ الرأىِ والأدَبِ

وقال أبو الفتح البستى :

يا شَيْبتى دُومِى ولا تَتَرحَّلِى * وتيقَّنِى أنِّى بوصْلِكِ مُولعُ
قد كنتُ أجْزَعُ من حُلولكِ مرةً * فالآن من خوفِ ٱرْتِحالِك أجْزَعُ

---

(١) كذا فى الأصل ، والبيت لابن الرومى وهو من قصيدة مثبتة فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩ أدب . مطلعها : * شاب رأسى ولات حين مشيب *

وقال آخر :

فأمّا المَشيبُ فصُبْحٌ بدا * وأما الشَّباب فليْل أفَلْ
سَقى الله هذا وهذا معًا * فنِعْمَ المُولّى ونعم البَـدَلْ

وقال أبو الفتح كشاجم :

تفكَّرتُ فى شَيْب الفَتى وشـبابِهِ * فأيقنْتُ أن الحقَّ للشَّيْبِ واجِبُ
يصاحبُنى شَرْخُ الشبابِ فينقَضِى * وشَيْبِى لى حتّى المَمات مصاحبُ

وقال أبو العلاء السروىّ شاعر اليتيمة :

حىِّ شَـيْبا أتى لغـير رحيـل * وشـــباباً مضى لغـيرِ إيابِ
أىُّ شىءٍ يكونُ أحسَنَ من عا * جٍ مَشِيبٍ فى آبنوس شَبابِ

وقال أبو عَوانة الكاتب :

هَزِئتْ إذ رأتْ مَشِيبِى وهل غَيْـ * ـرُ المَصابِيح زينـــةٌ للسماءِ
وتولّتْ فقلتُ قولًا بإفصا * حٍ لهـا لا بالرَّمْزِ والإيمـاء
إنما الشيْبُ فى المَفارِق كالنُّو * رِ بَدَا والسَّـــوَادُ كالظلماء
لامَحِيصُ عن المَشيبِ أو المو * تِ فكُنْ للحَـوْباء أو للنَّماء
إن عُمْرا عُوِّضتَ فيه عن المو * تِ بشَيْبٍ من أعظَم النَّعماء

وقال آبن عبد ربه :

كأنَّ سـوادَ لِمّتـهِ ظلام * يُطِلُّ من المشيب عليه نُورُ

وقال أبو عبد الله الاسباطى :

لا يَرُعْك المَشيبُ يا آبنة عبد الله * فالشـيبُ زينـــةٌ ووَقارُ
إنمـا تحسُنُ الرِّياضُ إذا ما * ضَحِكتْ فى ظلالهـا الأَنْوار

*
* *

وأما ما ورد فى ذم الشيب، قال قيس بن عاصم رحمة الله عليه : الشيبُ خِطامُ المنيَّة .

وقال غيره : الشيبُ نذير الموت .

وقد ورد فى بعض التفاسير فى قوله تبارك وتعالى (وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ) . قيل : هو الشيب .

وقال أعرابىّ : كنتُ أُنكر البيضاءَ، فصرت أُنكر السوداء ؛ فياخَيْرَ مبدول ويا شرّ بَدَل !

وقيل للنبىّ صلى الله عليه وسلم : عَجَّلَ عليك الشيبُ يارسول الله، قال : "شيَّبتنِى هودٌ وأخَواتُها" . قيل : هى عَبَس، والمرسلات، والنازعات .

وقيل لعبد الملك بن مَرْوان : عَجَّلَ عليك الشيب يا أمير المؤمنين، قال : شيبنى ارتقاءُ المنابِر وتوقُّع اللحْن .

وقال بعضهم : خرجت إلى ناحية الطُّفَاوة ، فإذا أنا بامرأة لم أر أجمل منها ، فقلت : أيتها المرأةُ، إن كان لك زوج فبارك الله له فيك، و إلا فأعلمينى ؛ قال فقالت : وما تصنَعُ بى؟ وفىّ شىء لا أراك ترتضيه . قلتُ : وما هو؟ قالت : شيبٌ فى رأسى .  قال : فثنيتُ عِنَان دابتى راجعا، فصاحتْ بى : على رِسْلك، أخبرك بشىء، فوقفتُ وقلت : وما هو يرحمك الله ؟ قالت : والله ما بلغت العشرين بعدُ، وهذا رأسى، فكشفَتْ عن عناقيد كالحُمَم وقالت : والله ما رأيتُ برأسى بياضا قطُّ، ولكن أحببت أن تعلم أنّا نكره منك ما تكرَه منا وأنشدت :

أرى شيبَ الرِّجال من الغَوَانِى ✱ بموضع شيبهِنّ من الرجال

قال : فرجعتُ خَجِلا ، كاسف البال .

قال أبو تمـام :

غَدَا الشيبُ مختطا بفَوْدَىّ خطّةً * سبيلُ الرَّدى منها إلى النفس مَهْيَعُ
هو الزَّوْرُ يُجْفَى والمُعَاشِر يُجْتَوى * وذو الإلف يُقْلَى والجـديد يرقَّعُ
له منظر فى العين أبيضُ ناصـعٌ * ولـكنه فى القلب أسـودُ أسفَعُ

وقال آخر :

تقول لَمَّا رأتْ مشِيبِي * بدَا وعِندى له آنقباضُ
لا ترجُ عَطْفا عليكَ منِّى * سـوّدَ ما بيننا البَيـاضُ

وقال آخر :

وقالوا مَشِيبُ المرءِ فيـه وقارُه * وما علموا أن المَشيب هو العيْبُ
وأىُّ وقارٍ لآمرئ عُرِّى الصِّبا * ومن خَلْفِه شيبٌ وقدَّامه شيبُ

وقال آخر :

مَنْ شابَ قد مات وهْو حَىٌّ * يمشِى على الأرض مشى هالكْ
لو كان عُمْـرُ الفتى حساباً * كـان له شـيْبُهُ فذالكْ (١)

وقال محمود الورّاق :

بَكَيْتُ لقُرْب الأجَلْ * وبُعْـدِ فوات الأمَـلْ
ووافق شَـيْبٌ طَرَا * بعَقْب شـبابٍ رَحَلْ
شَـبَابٌ كأن لم يَكُنْ * وشيبٌ كأنْ لم يَزَلْ
طوى صاحبٌ صاحباً * كذاك آختلافُ الدُّوَلْ

(١) الفذالك جمع الفذلكة ، أى نتائج الحساب التى يقال عندها : فذلك يكون كذا . (أُنظر شفاء الغليل للخفاجى) .

وقال عَبِيد بن الابرص :

والشيبُ شينٌ لمن أمسى بساحته * لله درُّ شـــباب اللّمة الخـالى

وقال البحترى :

وِددْتُ بياضَ السيفِ يوم لقيتنى * مكانَ بياض الشيب حلَّ بمفَرِقى

وقال أبو العتاهية :

عَريتُ عن الشباب وكان غَضًّا * كما يَعْرَى من الورق القَضِيبُ

ألَا ليتَ الشــبابَ يعــودُ يومًا * فأُخــبِرَهُ بمـا فعــل المَشيبُ

وقال آخر :

يَاحَسْرتَا أين الشــبابُ الذى * على تَعدِّيه المشيبُ آعتــدى

شِبْتُ فمـا أنفَكُّ من حسرةٍ * والشيبُ فى الرأس رسولُ الرَّدى

إنَّ مَدى العُمْر قريبٌ فمـا * بقاءُ نَفْسى بعــد قُرْب المَدَى

وقال آخر :

هــذا عِذارُك بالمَشيبِ مطرَّزُ * فقبولُ عُذْرك فى التصابِى مُعْوِزُ

ولقد علمتُ وما علمتُ توهُّماً * أن المَشيبَ لهَدْم عمرك يرمِزُ

وقال أيضا :

أَلسْتَ ترى نُجومَ الشَّيْب لاحَت * وشَيْبُ المرْءِ عنوانُ الفساد

وقال أيضا :

أبلى جَدِيدَىَ هــذان الجديدانِ * والشأن فى أن هذا الشَّيْبَ ينْعانِى

كأنما آعتَمَّ رأسِى منه بالجبَلِ الرَّ * اسى فأوْهننى ثِقْــلا وأوهانِى

وقال آخر :

لمـا رأتْ وَضَح المَشِيب بعارضى * صدّتْ صُـدودَ مُجانب متحمِّل
فجعلتُ أطلُب وصـلَها بتلطُّف * والشيبُ يغـمِزُها بألّا تَفْعَلى

وقال كُشاجم :

ضَحِكتْ من شَيْبةٍ ضَحِكتْ * لسَـواد اللِّمَّـة الرجِـلَهْ
ثم قالتْ وهى هـازئـةٌ * جاء هـذا الشيبُ بالعَجَلَهْ
قُلت من حُبِّيك لا كِبَرٌ * شاب رأسى فانثنت خَجِلَهْ
وثَنَتْ جَفْنا على كَحَـلٍ * هى منـه الدَّهرَ مكتَحِلَهْ
أكثَرَتْ منـه تعجُّبَها * فَهْى تَجْنِيـه وتَعْجَبُ لَهْ

وقال أبو تمـام :

دقةٌ فى الحياة تُدْعى جلالا * مثـل ما سُمِّى اللَّديغ سليما
غُـرَّة مُرَّة ألَا إنَّمـا كنـ * ـتُ أغرَّا أيام كنتَ بَهِيما

وقال ابن المعتز :

لقد أبغضتُ نفسى فى مَشيبِى * فكيف تُحِبُّنى الخُودُ الكِعَابُ

وقال أبو هلال العسكرىّ :

فلا تعجَبَا أن يَعِبْنَ المَشِيبا * فمـا عِبْنَ من ذاك إلا مَعِيبا (١١)
إذا كان شَيْبِى بَغيضًا إلىّ * فكيف يكونُ إليهـا حَبِيبا

وقال محمد بن أُمَيّة :

رأينَ الغَوانِى الشيبَ لاحَ بعارِضِى * فأعرَضْنَ عنِّى بالخُدود النَّواضر
وكُنّ إذا أبصرنَنِى أو سمعْنَ بِى * دَنَوْنَ فرقَّعْن الكُوَى بالمَحَاجر

وقال آخر :

قالت وقــد راعهــا مَشيبى * كنتَ آبنَ عمٍّ فصرتَ عَمَّا
واستهزأت بِى فقلتُ أيضا * قــد كنتِ بنتًا فصِرتِ أُمَّا

وقال آخر :

تضاحكتْ لَمَّا رأتْ * شَــيْبا تلالا غُرَرُهْ
قلتُ لهــا لا تعجَبى * أنبيكِ عنــدى خَبَرُهْ
هــذا غَمَــامٌ للرَّدى * ودمعُ عينى مَطَــرُهْ

* * *

وممــا قيل فى الخضاب من المدح، ما رُوِىَ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "غَيِّروا هذا الشيبَ وجَنِّبُوه السوادَ" .

وكان أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه يخِضب بالِحناء و بالكَتَم .

وقد مدح الشعراء الِخضاب . فمن ذلك قول عبد الله بن المعتزّ :

وقالُوا النُّصُولُ مشيبٌ جَدِيدْ * فقلتُ الِخضاب شباب جَدِيدْ
إساءةُ هــذا بإحسانِ ذَا * فإن عاد هــذا فهــذا يَعودْ

وقال أبو الطيب المتنبى :

وما خَضَب الناسُ البياضَ لأنَّهُ * قَبِيحٌ ولكن أحسنُ الشَّعْرِ فاحِمُه

وقال محمود الورّاق :

لِلضَّيْف أن يُقْرى و يُعْرَفَ حقُّه * والشيبُ ضَــيفُك فآقْرِه بخضاب

وقال عبدان الأصبهانىّ :

فى مَشيبِى شَمَاتةٌ لِعِداتِى * وهو ناعٍ منغِّصٌ لحياتِى
و يعيبُ الخضابَ قومٌ وفيه * أىّ أُنْسٍ إلى حُضُور وفاتى
لا ومَنْ يعلَمُ السرائرَ منِّى * ما به رُمْتُ خُلَّةَ الغانياتِ
إنما رمتُ أن يُغيَّبَ عنى * ما تُرِينيهِ كلَّ يومٍ مِراتِى
وهو ناعٍ إلىّ نفسِى ومنْ ذا * سَرَّه أن يرى وجوهَ النُّعاتِ

وقال ٱبن الرومىّ :

يا بياضَ المَشِيبِ سوّدتَ وجْهى * عند بِيض الوجوه سُودِ القرون
فلعَمْرى لأُخفينَّكَ جُهْدى * عن عِيانى وعن عِيان العُيُون
ولعمْرى لأمنعنَّكَ أن تضـ * ـحك فى رأسِ آسفٍ محزون
بخضابٍ فيه ٱبيضاضٌ لوَجْهى * وسوادٌ لوجهك الملْعون

وقال آخر :

نَهى الشيبُ الغوانِىَ عن وصالِى * وأوْقَع بين أحبابى و بيْنِى
فلستُ بتاركٍ تدبيرَ ذَقْنِى * إلى أن ينقضى أمدى لحَيْنِى
أُدَبِّرُ لِحْيتى ما دمتُ حيًّا * وأعتِقُها ولكن بَعْدَ عيْنِى

وقال آخر :

قالوا فلانٌ لم يَشِبْ * وأرى المَشيبَ عليه أبْطا
فأجبتُهُمْ لولا حديـ * ـثُ الصَّبْغ لانكشَفَ المُغَطَّى

* * *

ومما قيل فى ذم الخضاب ؛ قال محمود الورّاق — رحمه الله — :

ياخاضِبَ الشيبِ الذِى * فى كُلِّ ثالثةٍ يعودْ

إنّ النُّصُولَ إذا بدَا * فكأنه شَــيْبٌ جَدِيدْ
وله بَدِيهـــةُ رَوْعَــةٍ * مكروهُها أبدا عَتِيــدْ
فدَعِ المَشِيب لِمَا أرا * د فلنْ يعودَ لما تُرِيدْ

وقال آخر :

تَسَتَّرَ بالخِضـاب وأىّ شىءٍ * أدلُّ على المشيب من الخِضَابِ

وقال ابن الرومىّ :

قُلْ للمسوِّدِ حين سوّدَ هكذا * غِشُّ الغوانى فى الهـوى إيَّاكا
كذبَ الغوانِىَ فى سَواد عِذارِه * فكذبْنَــه فى وُدِّهنَّ كـذاكا

وقال المتنبى :

ومِنْ هوى كلِّ مَنْ ليست مموِّهة * تركتُ لونَ مشيبى غيرَ مخضـوبِ
ومِنْ هوى الصدق فى قولى وعادته * رغِبتُ عن شَعَرٍ فى الوجه مكذوبِ

وقال الأمير شهاب الدين بن يغمور عفا الله عنه : (١٢)

ياصابغَ الشَّيب والأيامُ تُظْهِره * هذا الشبابُ وحَقِّ الله مصنوعُ
إن الجديد إذا ما كان فى خَلَقٍ * يَبِينُ للناس أن الثوبَ مرقوعُ

* * *

وأما ما وصف به الوجه، فمن ذلك ما قيل فى المذكر، قال الوجيهىّ :

مستقبَلٌ بالذى يهوى و إن كثرت * منــه الإساءة معذورٌ بمـا صَنَعا
فى وجهـــه شافعٌ يمحو إساءَتَهُ * من القلوب وجيهًا حيثما شَفَعا

وقال الآخر :

رأيتُ الهِلالَ على وجْهِهِ * فــلم أدْرِ أيُّهــما أنورَ
سوى أنَّ ذاكَ قريبُ المَزَارِ * وهــذا بعيــد لمن يَنْظُر

وذاكَ يَغيبُ وذا حاضِرٌ * فما مَنْ يغِيبُ كمن يَحْضُر
ونَفْـع الهـلالِ كثيرٌ لنا * ونَفْـعُ الحبيب لنا أكْثَرُ

وقال ٱبن لنكك :

البَدْرُ والشمس المُنِـيرةُ * والدُّمى والكَوْكَبُ
أضْحتْ ضرائرَ وجهه * من حيثُ يَطْلُعُ تغرُبُ
وكأنّ جَمْـرَ جوانِحِي * فى خَـدّه يتلهَّب
وكأنّ غُصْن قَوامِـه * من ماءِ دمعِي يشْرَبُ
وصَوالِجٍ فى صُدْغه * بسـواد قلبى تَلْعَبُ

وقال ٱبن المعذّل :

نَظرتُ إلى مَنْ زينَّ الله وجْهَه * فيانظرةً كادتْ على عاشقٍ تقضِى
وكبَّرتُ عشرا ثم قلتُ لصاحِبي * متى نَزَلَ البدرُ المنيرُ إلى الأرضِ

وقال الخُبْزأَرُزّى :

رأيتُ الهلالَ ووجهَ الحبيبْ * فكانا هلالَيْنِ عنـد النَّظَـرْ
فـلَمْ أدر من حَيْرَتِى فيهـما * هلالَ الدُّجى من هلال البشَرْ
فلولا التورّدُ فى الوجنتَيْن * وما راعنِي من سَواد الشَّعَرْ
لكنت أظنُّ الهلالَ الحبيبْ * وكنتُ أظنُّ الحبيبَ القمَرْ

وقال أبو الشيص :

تَخْشَعُ شمسُ النهارِ طالعـةً * حينَ تراه ويخشـع القَمَرُ
تَعْـرِفُه أنه يفوقُهـما * بالحسن فى عين مَنْ له بصَر

وقال أبو هلال العسكرىّ :

ووَجْـه تَشرَّب ماء النعيمْ * فلو عُصِرَ الحسنُ منه انعصَر

يمُــرّ فأمنحُه ناظــرِى * فينثُرُ وردًا عليــه الخفَــرْ
تمتَّعت العينُ فى حُسْنه * فما حَفَلَتْ بطلوع القَمَرْ

وقال ابن المعتز :

يا مُفــرَدًا بالحسن والشَّكْلِ * مَنْ دلّ عينيــك على قتْــلِى
البدرُ من شمس الضُّحى نُورُهُ * والشمسُ من وجهك تستَمْلى

وقال ابن المعذّل يصف عُتْبَةَ :

لعُتبــةَ صفحتَا قمــرٍ * يفوق سَناهما القَمَرا
يَزيدُكَ وجهُه حسنا * إذا ما زدتَهُ نَظَــرا

وقال السرىّ الرفاء :

قمــرٌ تفــرّد بالمحاسن كلِّهــا * فإليه يُنْسَبُ كلُّ حسنٍ يوصَف
فجبينــه صُــبْحٌ وطُــرّته دُجًى * وقَــوامه غصنٌ رطيب أهيفُ
لله ذاك الوجهُ كيف تألَّفتْ * فيــه محاسنُ لم تكــن تتألّفُ

وقال آخر :

وفى أربع مِنِّى حلَتْ منك أربعٌ * فما أنا أدرى أيُّها هاجَ لى كَرْبِى
أوَجْهُك فى عينِى أم الرِّيقُ فى فَمى * أم النطقُ فى سمعى أم الحُبُّ فى قلبى

ومثله قول يعقوب الكندىّ :

وفى خمسةٍ مِنِّى حلَتْ منك خمسةٌ * فريقُك منها فى فَمِى طيِّب الرَّشْفِ
ووجهُك فى عينى ولَمْسُك فى يدى * ونُطْقُك فى سمعى وعَرْفُك فى أنفى

وقال أبو نُوَاس :

كأنما الوجهُ إذ بَدَا قمــرٌ * مُرَكَّب فوق قامة الغُصُن

ياذا الذى أصبح العِبـادُ به * فى فتنةٍ من عظائم الفِتَن
أقْبِلْ بوجه الهَوى إلىّ فقد * أطلْتَ بالصدّ مُعرضًا حَزَنى

وقال محمد بن وهب :

نَمْ فقد وَكَّلْتَ بى الأَرَقَا * لا هَنَـا بَعْـدُ لمن عَشِقا
إنمـا أبقيتَ من جَسَدِى * شَـبَحا غير الذى خُلِقَـا
ما لمن تَمَّتْ محاسِنهُ * أن يُعادِى طَرْفَ مَن رَمَقا
لك أن تُبْدى لنا حَسَنا * ولنـا أن نُعْمِل الحَـدَقا

✣ ✣ ✣

(١٣) ومن ذلك ما قيل فى المؤنث، قال ٱبن سكرة :

فى وجْه إنسانةٍ كَلِفتُ بهـا * أربعةٌ ما ٱجتمعْنَ فى أحد
فالخـدُّ وَرْدٌ والصُّدغ غاليةٌ * والرِّيق خمـرٌ والثغرُ من بَرَدِ
لكلِّ جُزء من حُسنها بِدَعٌ * تُودِعُ قلبى ودائِـعَ الكَمَـد

وكان مكتوبا على عِصابةِ وَرْد جارية الماهانىّ :

تمَّتْ وتمَّ الحسنُ فى وجهِها * فكلُّ شىءٍ ما سواها مُحالْ
للناس فى الشهرِ هلالٌ ولى * فى وجْهها كلَّ صباحٍ هلالْ

وقال آخر :

وإذا الدُّرّ زانَ حُسْنَ وُجوهٍ * كان للدُّرّ حسنُ وجهِك زَيْنا
وتَزيدين طَيِّبَ الطيب طِيباً * إن تَمَسِّيه أينَ مثلُك أينـا

وقال آخر :

ليس فيها أن يُقَال لهـا * كمَلَتْ لو أن ذا كَمُـلا
كل جزءٍ من محاسنها * صائر من حسنِها مَثَـلا

وقال عمر بن أبي ربيعة :

وفتاةٍ إن يغِبْ بدر الدُّجى * فلنا فى وجْهها عنــه خَلَفْ
أجمع النــاسُ على تفضِيلها * وهواهُمْ فى سواها مختلِفْ

وقال الجمانىّ من أبيات :

نرى الشمسَ والبدرَ معناهما * بهــا واحدًا وهمــا معْنيانْ
إذا طلَعتْ وجههــا أشرقا * بطلعتهــا وهمــا آفلانْ

* * *

وممــا وُصِف به صفاء الوجه ورقّة البشرة ، فمن ذلك ما قيل مذكرا .

قال أبو نُوَاس :

نظرتُ الى وجهه نظــرةً * فأبصرتُ وجهِى فى وجهه

وقال آخر

أعِدْ نظَرا فما فى الخدِّ نبتٌ * حمــاهُ الله من رَيْب المَنُونِ
ولكنْ رَقَّ ماءُ الوجه حتَّى * أراك مثالَ أهداب الجُفُون

ومثله قول الآخر :

ولما آستدارتْ أعينُ الناسِ حولَهُ * تُلاحِظُه كيف اســتقلّ وسارا
تمثّلتِ الأهدابُ فى ماء وجهــه * فظَنُّوا خيــالَ الشَّعْر فيــه عِذارا

وقال الأرّجانىّ :

ما أنْسَ لا أَنْسَى له مَوْقِفًا * والعِيسُ قد ثَوَّرَهُنَّ الحُدَاهْ
لَمَّا تجــلَّى وجهُــه طالعًا * وقد ترامَتْ نَظَراتُ الوُشاهْ
قابلَنِي حيـــن بدتْ أدمُعِي * فى خَدِّه المصقولِ مثل المِراهْ

يُوهِـــم صَحْبى أنه مُسْعِدِى * بأدمع لم تُذْرهـا مقلتـــاهْ
و إنمـا قـلَّدنِى مِنَّـــــةً * بدمعِ عينٍ من جُفونِى آمتَراهْ
ولم تقعْ فى خـــدِّه قطـرةٌ * إلا خَيالاتِ دمُوع البُكَاهْ

وقال أيضا :

وأغيَــدَ رقَّ ماءُ الوجـهِ منـــه * فـلو أرخى لِثَاما عنـــه سالا
تبين ســوادَها الأبصارُ فيه * فحيثُ لحظتَ منه حَسِبْتَ خالا

* * *

ومن ذلك ما قيل فى المؤنث ، قال بشار :

وما ظَفِرتْ عينى غَداةَ لقيتُهـا * بشىءٍ سوى أطرافها والمحَاجِرِ
بحَوْراءَ من حُور الجنان عزيزةٍ * يَرى وجهَهُ فى وجهها كلُّ ناظِرِ

وقال السرىّ الرفاء :

بيضاءُ تنظُر من طَرْفٍ تقلِّبُهُ * مفرِّقٍ بيـن أجسادٍ وأرواحِ
ماءُ النعيمِ على دِيباجِ وَجْنتِهـا * يجولُ بين جَنَى وَرْدٍ وتُفَّـاحِ
رَقَّتْ فلو مُزِجَ الماءُ القَراحُ بها * والراحُ لآمترجَتْ بالماء والرَّاحِ

وقال الأرّجانىّ من أبيات :

ولمَّـا تلاقَيْنا وللعيـن عادةٌ * تُثير وُشاةً عنـــد كلِّ لِقـاءِ
بدتْ أدمُعى فى خدِّها من صقاله * فغارُوا وظنوا أن بكَتْ لبُكائى

* * *

ومما قيل فى صفرة الوجه، فمن ذلك ماقيل مذكرا، قال أبو عبادة البحترىّ :

بدَتْ صُـفرةٌ فى وجهه إنَّ حَمْدَهُمْ * من الدُّرِّ ما اصفرَّت نواحيه فى العِقْدِ

وقال آخر :

لم تَشِنْ وجهَه المليحَ ولكن * جعلَتْ وَرْد وجنتيه بَهَارا

وقال الأرّجانىّ وأجاد :

راقَ ماءُ الحياةِ من وجنتيه * فهو مِرْآةُ أوجُهِ العُشّاقِ

* * *

ومن ذلك ما قيل فى المؤنث ، قال سَلْم الخاسر : (١٤)

تبدّتْ فقلتُ الشمسُ عند طلوعها * بوجه غنىٍّ اللونِ عن أثَر الوَرْس

فقلتُ لأصحابى وبى مثلُ ما بهم * على مِرْيةٍ ما هاهنا مطلَعُ الشمس

وقال أبو تمام :

صفراءُ صفرةَ صحة قد رُكِّبتْ * جُثمانُها فى ثوب سُقم أصفَر .

وقال مسعود الأصبَهانىّ شاعر الخريدة :

وقَينــةٍ قال لهــا ناقصٌ * كَمُلْتِ لولا صُفرة اللونِ

قلتُ اتَّئِد فالشمسُ مصفَرّةٌ * وهْىَ صلاحُ الأرض فى الكَوْن

* * *

وممّا قيل فى السُّمْرة، قال شاعر :

كيفَ لا أعْشَقُ ظَبيًا * سارحًا فى ظِلّ ملك

إنما السُّمْرة فيه * مَزْجُ كافور بمِسْك

وقال آخر :

ياذا الذى يُذْهِبُ أموالَهُ * فى حُبِّ هذا الأسمر الفائق

ما الذهبُ الصامتُ مستكثَرا * إذ هابُه فى الذهَب الناطق

وقال آخر :

ذَهبيُّ اللون تحسَبُ مِن * وجنتيه النـــارَ تُقْتَــدَحُ
خوّفُونى مِن فضيحتِــه * ليتَـــهُ وافى وأفتضِـــحُ

* * *

ومـــا قيل فى السَّواد ـــ وهو يختص بالمؤنث :

قال الزركشيّ فى "دنانيرَ" البرمكية .

أشْبَهَكِ المســكُ وأشبهتِه * قائمـــةً فى لونه قاعـــدَهْ
لا شـــكَّ إذ لونكُما واحدٌ * أنكما مــن طينةٍ واحده

وقال ابن الروميّ :

أكْسَبها الحُبَّ أنها صُبِغتْ * صبغةَ حَبِّ القلوب والحَدَقِ
فأقبلتْ نحوَهـــا الضمائرُ والأبصارُ يعبقْن * أيَّمـــا عَبَـــقِ
يفترُّ ذاكَ الســـوادُ عن يَقَقٍ * فى ثغـــرها كاللآلئ النَّسَقِ
كأنَّهـــا والمِزاحُ يُضْحِكها * ليلٌ تفرّى دُجاه عن غَسَقِ

وقال الصنوبريّ :

ياغُصُنا من سَـــبج رَطْبِ * أصبح منـــكِ الدرّ فى كَرْبِ
حبُّكِ من قلبى مكانَ الذى * أشبهتِه مـــن حَبَّةِ القلْب

وقال محمد بن عبدالله السلاميّ شاعر اليتيمة عفا الله عنه :

يارُبَّ غانيـــةٍ بيضاءَ تَصْبَحُنِى * من العتاب كُؤوسا ليس تَنْساغُ
أشتاقُ طُرّتَها أو صُدْغَها ومعى * من كلِّها طررٌ سُـــود وأصداغ
كأننا لا أتاح الله فُرْقتَنـــا * يا كعبةَ المِسْـــك يا زَنْجيَّةَ زاغُ

وقال آخر :

أُحِبُّ النساءَ السُّودَ من أجْل تُكْتَمٍ * ومن أجْلِها أحببتُ مَنْ كان أسودَا
بِجِئْنى بمثلِ المسك أطيبَ نفحةً * وجئنى بمثل الليل أطيبَ مَرْقَدا

وقال العسكرىّ :

صرفْتُ وُدّى إلى السُّودانِ من هَجَرٍ * ولا ٱلتفَتُّ إلى رُومٍ ولا خَزَرِ
أصبحْتُ أعشَقُ من وجْهٍ ومن بدَنٍ * ما يعشَقُ الناسُ من عينٍ ومن شَعَرِ
فإن حسِبْتَ سَوادَ الخدِّ منْقَصةً * فانظرْ إلى سُــفْعة فى وجْنة القَمَر

وقال بشّار وأجاد :

يكونُ الخـالُ فى خدٍّ نقىٍّ * فيُكسِبهُ المَلَاحة والجَمَـالَا
ويُونِقُــه لأعيُنِ مُبْصِريه * فكيف إذا رأيتَ اللون خالا

وقال أبو علىّ بن رشيق :

دعَا بكِ الحسنُ فاستجيبِى * باسمِك فى صِـبغة وطِيب
تيهِى على البِيض وٱستطيلِى * تيهَ شــبابٍ على مَشِيب
ولا يَرُعْكِ ٱسوِدادُ لونٍ * كُمْقْـلة الشـادِنِ الرَّبِيب
فإنمـا النُّورِ عن سَــوَاد * فى أعيُنِ الناس والقُـلُوب

وقال آخر :

إن أزهَرَتْ لَيْـلًا نجومُ السما * بِيضًا على أسودَ مُرْخى الإزارْ
وأوجب العكسُ مثـالًا لها * فالسُّود فى الأرض نجومُ النهـارْ

* * *

ومما وصف به أثر الجُدَرىّ فى الوجه ، فمن ذلك قول الناجم

ياقمرًا جَدّر لمـا ٱســتوى * وٱكتسب الملحَ بتلك الكُلُومْ

أظنُّه غنَّى لشمس الضُّحى * فنقَّطتــه فَــرَحا بالنُّجــومْ

وقال آخر :

وقالوا شانَهُ الجُـدَرِىُّ فانظُرْ * إلى وجـــهٍ به أَثَرُ الكُلومِ
فقلتُ ملاحةٌ نُثِرت عليــه * وما حُسْــنُ السماء بلا نُجُوم

ومثله قول الآخر :

(١٥)

أيهـا العائبونَ وجهًا مَليحا * نَثَرَ الحُسْنُ فيه نَبْذَ خُدُوشِ
أىُّ أُفْقٍ بهَـا بغيرِ نُجُوم * أىُّ ثوب زَهَا بغـيرِ نُقُوشِ

وقال أبو زيد القاضى :

غايةُ الحاسدِ الذى لامَ فيه * أنْ رأى فوقَ خدِّه جُدَرِيًّا
إنما وجهُه هــلال تَمـامٍ * جعــلُوا بُرقُعا عليه الثريَّا

وقال أبو تمـام بن رباح :

خَدُّك مِرآةُ كلِّ حُسْنٍ * تحسُنُ من حُسْنها الصِّفاتُ
مالى أرى فـوقَهُ نُجُوما * قد كُســفتْ وهى نَيِّراتُ

***

ومِمـا قيل فى الحواجب ، فمن محاسنها الزَّجَجُ، والبَلَج .

فأما الزَّجج : فدقة الحاجبين وآمتدادُهما .

وأما البَلَج، فهو أن يكون بينهما فُرْجة، والعرب تستحب ذلك .

ومن معايبها : القَرَن، والزَّبَب ، والمَعَط .

فالقرن : آتصال الحاجبين، والعرب تكرهه .

والزَّبب : كثرة شعرهما .

والمَعَط : تساقط الشعر عن بعض أجزائهما .

✤

ومما وُصِفت به الحواجب ، قال الزاهى :

وأغيدَ مجــدولِ القَوامِ جبينُــه * سَنا القمرالبدْرىّ فى الغُصُن الرَّطْب
تنكَّب قوسَ الحاجبَينِ فسهمه * لواحظُه المَرْضى و برِجاسُــه قلبى

وقال عبد الله بن أبى الشيص :

حَذِرتُ الهوى حتَّى رُميتُ من الهوى * بأصْردِ سهمٍ من قِسِىّ الحواجبِ

وقال محمد بن عبد الرحمن الكوفىّ :

ومستلِبٍ عينَ الغزال وقد تُرى * بجبهته عينُ الغــزالة ماثلا
تناول قوسَ الحاجبين مُفَوَّقا * بأسهم ألحاظٍ تشُــكُّ المَقَاتلا

وقال آخر :

غَزَانِى الهوى فى جيشه وجُنوده * وعبَّى علىّ الخيلَ من كلِّ جانبِ
بميمنــةٍ أعلامُها أعينُ المَهَــا * وميسرةٍ تقضى بزُجِّ الحــواجبِ

وقال آخر :

لها حاجبان الحُسْن والغُنْج منهما * كأنهــما نونان من خطِّ ماشق

✤

ومما قيل فى العيون ووصفها :

فمن محاسنها : الدَّعَج ، وهو شدّة السَّواد مع سَعَة المُقْــلة . البَرَج ، وهو شدّة سوادها وشدّة بياضها . النَّجَل : سَعَتها . الكَحَل : ســواد جُفُونها من غير كُحْل . الحَوَر : ٱتساع سوادها كأعيُنِ الظباء . وقيل : هو سواد العين وشدّةُ بياضها .

الوَطَف : طول أشــفارها ؛ وفى الحديث أنه كان عليه الصلاة والسلام فى أشفاره وَطَفٌ . الشُّهْلة : حمرة فى سوادها .

ومن معايبها :

الحَوَص : ضيق العين . الخَوَص : غُؤُورها مع الضيق . الشَّـتَر : آنقلاب الجفن .

العَمَش ، هو أن العين لا تزال سائلةً رامصةً .

الكَمَش : ألا تكاد تبصر . الغَطَش : شبه العَمَش . الجَهَر : ألا تبصر نهارا . العَشَا : ألا تبصر ليلا . الخَـزَر : أن ينظر بمؤْخِر عينه . الغضَنُ : أن يكسر عينه حتَّى تَتَغضَّنَ جُفونُه . القَبَـل : أن يكون كأنه ينظر إلى أنْفــه ؛ وهو أهون من الحول . الشُّطور : أن تراه ينظرُ إليك وهو ينظر إلى غيرك ؛ وهو قريب من صفة الأحول . وفيه يقول الشاعر :

حَمِـــدْتُ إلٰهِى إذ بَلانِى بحبِّــه * وبى حَولٌ أغنى عن النظَر الشَّزْر
نظَـرتُ إليـــه — والرقيبُ يظنُّنى * نظرتُ إليه—فاسترحتُ من العذر

الشَّوَص : أن ينظر بإحدى عينيه ويُميلَ وجهه فى شق العين التى ينظر بها .

الخَفَش : صِــغَر العين وضَــعْف البصر . ويقال : إنه فساد فى العين يضيق له الجَفنُ من غير وجع .

الدَّوَش : ضيق العين وفساد البصر . الإطْراق : آسترخاءُ الجفن . الجُحُوظ : خروج المُقْلة وظهورها من الحِجَـاج . البَخَق : أن يذهب البصر والعين منفتحةٌ . الكَمَه : أن يولد الإنسان وهو أعمى . البَخَص : أن يكون فوق العين أو تحتها لحم ناتئ .

فصـــــل
فى عـــوارض العيـن

يقـال :

حَسرتْ عينُه ، إذا آعتراها كَلَال من طول النظر . زَرَّتْ عينُه ، إذا توقَّدت من خوف . سَـدِرتْ عينه ، إذا لم تكد تبصر . اِسْمَدَرّت عينه ، إذا لاحت لهـا سمادِيرُ ، وهى ما يتراءى لها من أشباه الذُّباب وغيره . قَدِعت عينُه ، إذا ضـعُفتْ من الإكباب على النظر . حَرِجتْ عينه ، إذا حارت . قال ذو الرمّة :

* وتَحْرَجُ العينُ فيها حِينَ تَنْتَقِبُ * (١٦)

هَجَمتْ ، إذا غارت . ونقْنَقتْ ، إذا زاد غؤورها ، وكذلك حَجَلتْ وهَجَّجتْ . ذَهِبت ، إذا رأتْ ذَهَبا كثيرا فحارتْ فيه . شَخَصت ، إذا لم تكد تَطْرِف من الحَيْرة .

فصـــــل
فى كيفية النظر وهيئتـــه

إذا نظر الانسانُ الى الشى بمجامع عينيه ، قيل : قد رَمَقه .

فإذا نظر من جانب أذنه ، قيل : لَحَظَه .

فإذا نظر اليه بعَجَلة ، قيل : لمَحَه .

فإذا رماه ببصره مع حِدَّة ، قيل : حَدَجه بطَرْفه .

وفى حديث آبن مسعود «حَدِّث القومَ ما حَدَجُوك بأبصارهم» .

فإن نظر إليـه بشدّة وحِدة ، قيل : أَرْشَقَـه وأَسَفَّ النظرَ إليه . وفى حديث الشعبىّ " أنه كَرِه أن يُسِفَّ الرجلُ إلى أمّه وأخته وآبنته " .

فإن نَظَر إليه نظر المتعجِّب أو الكاره المبغِض، قيل: شَفَنه وشفَنَ إليه شُفُونا وشَفْنا.

فإن أعاره لَحْظَ العداوةِ، قيل: نظر إليه شَزْرا.

فإن نظر إليه بعينِ المَحَبَة، قيل: نظر اليه نَظْرةَ ذى عَلَق.

فإن نظر إليه نظرة المستَثْبت، قيل: تَوضَّحه.

فإن نظر إليه واضعًا يده على حاجبــه مستظلًّا بها من الشمس ليستبين المنظورَ إليه، قيل آستكَفَّه وآستَوْضَحه وآستَشْرفَه.

فإن نَشر الثوبَ ورفعه لينظر إلى صَفَاقته: قيل آستَشَفَّه.

فإن نظر إلى الشيء كاللَّمْحة ثم خفِيَ عنه، قيل: لاحه لوحةً. قال الشاعر:

* وهَلْ تَنْفَعَنِّى لوحة لو أُلُوحُها *

فإن نظر إلى جميع ما فى المكان حتَّى يعرفه، قيل: نَفَضه نَفْضا.

فإن نظر فى كتاب أو حساب، قيل: تَصَفَّحه.

فإن فتح عينيه لشدّة النظر، قيل: حَدّق.

فإن لَألْأَهما، قيل: بَرَّق.

فإن آنقلب حِمْلاقُ عينيه، قيل: حَمْلَق. فإن غاب ســواد عينيه من الفزع، قيل: بَرِق بصرُه.

فإن فتح عين مُفَزَّع أو مهدَّد، قيل: حَمَّج.

فإن بالغ فى فتحها وأحدَّ النظرَ عند الخوف، قيل: حَدَّج.

فإن كسر عينه عند النظر، قيل: دَنْقَش وطَرْفَش.

فإن فتح عينه وجعل لا يَطْرِف، قيل: شَخَص. وفى القرآن العزيز: ﴿شَاخِصَةٌ أَبْصَارُهُمْ﴾.

فإن أدام النظر مع سكون، قيل: أَسْجَد.

فإن نظر إلى أُفُق الهلال ليراه، قيل : تَبَصَّره .

فإن أتبع الشيءَ بصرَه، قيل : أَتْأَرَه بصَرَه .

وقد أوسع الشعراء فى وصف العيون ووصفوها بالمَرَض والسُّقْم وإن كانت صحيحةً . فمن ذلك قول الشاعر :

بَرَّحَ السُّقْمُ بى وليس صَحِيحًا * مَنْ رأَتْ عينه عُيونًا مِرَاضًا
إنّ للأَعْيُنِ المِرَاضِ سِهامًا * صيَّرتْ أنفُسَ الوَرى أغْراضَا
جَوْهرُ الحُسْنِ منذُ أعرضَ للقلْـ * ـب ثنى الجسمَ كلَّه أعْراضَا

وقال جرير .

إنَّ العيونَ التِي فى طَرْفها مَرَضٌ * قتَلْنَنا ثُمَّ لم يُحْيِينَ قَتْلانَا
يَصْرَعْن ذا اللُّبِّ حتَّى لَا حَراكَ به * وهُنَّ أضعفُ خَلْقِ اللهِ أرْكانَا

وقال ذو الرمّة :

وعينانِ قال اللهُ كُونَا فكانَتَا * فَعُولَين(١) بالألباب ما تَفْعَلَ الخمْرُ

✤

وممّا وصفت به العيون على لفظ التذكير، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز :

عليمٌ بما تحتَ الصُّدورِ من الهَوى * سريعٌ بكَرِّ اللَّحظِ والقلبُ جازعُ
ويجْرَح أحشائِى بعينٍ مَرِيضةٍ * كما لانَ مسُّ السيفِ والسيفُ قاطعُ

وقال خالد :

عينُه سَفّاكةُ المُهَجِ * من دَمِى فى أعظم الحَرَجِ
أسْهرَتْنِى وهى لاهيةٌ * باحْوِرار العينِ والدَّعَجِ

(١) المشهور فعولان . بالرفع وصف للعينين .

وقال الهَمْدانى :

تَعْمَل الأجفانُ بالدَّعَج * عمـلَ الصَّهباءِ بالمُهَـج
قُلْ لظَبْيٍ تَسْـترقُّ له * مهَـجُ الأحرار بالدَّعَج
أنتَ والأجفانُ ما لحَظَتْ * من فُتور العينِ فى حَرَجِ
كيفَ أدْعُو اللهَ أسألُهُ * فَرَجا ممَّنْ به فَـرَجِى

وقال خالد :

ومَرِيضِ طَرْفٍ ليس يَصْرِف طَرْفَه * نحــوَ آمْرِئٍ إلا رماه بحَتْفِــه
قــد قلتُ إذ أبصَرْته متمـايِـلًا * والرِّدفُ يجْذب خصْرَه من خَلْفه
يامَنْ يُسَـلِّم خصْرَه من رِدْفه * سَـلِّمْ فؤادَ محبِّـهِ مِنْ طَرْفه

وقال أبو هفّان :

أخُو دَنَفٍ رمَتْـه فأقصَـدَتْهُ * سِهامٌ من جُفُـونك لا تَطِيشُ
قواتِلُ لا قِداحَ سِوى آحْوِرارٍ * بهنَّ ولا سِوى الأهداب رِيشُ

وقال أبو تمـام :

(١٧) ياسَـقَم الجفنِ من حَبِيبى * ألْبستِنى حُلَّة السِّـقَامِ
كَمْ قتلَتْ مُقْلتـاكَ ظُلْما * مِنْ عاشِق القلب مُسْتهامِ
يامَنْ بعينيه لى غَرامٌ * قَرَّبَ من مُهْجتى حمامى
قد رَوِيتْ من دمى فحسْبِى * صوائبُ النَّبْلِ والسِّـهامِ

وقال العسكرىّ :

فأرْعى تحتَ حاشِيَةِ الدَّيَاجِى * شَقائقَ وَجْنةٍ سُـقيَتْ مُداما
إذا كَرَّتْ لواحِظُ مقلتَيْه * حَسبْتَ قُلوبَنا مُطِرت سِهاما

وقال ابن المعلم :

سَلْ مَنْ بعينيه يَصُولْ * أهِيَ اللِّحاظُ أم النُّصُولْ
ما جُرِّدت يَوْمَ النَّوى * إلا لتختَلِس العُقُولْ
شَهَرت عيونُهم سُيُو * فا ما بمَضْربها فُلُولْ
تُصْمِى بغيرِ جِراحةٍ * تَفْرِى بغير دمٍ يَسِيلْ
ولَها بأفئدةِ الهَوى * فَتْكٌ وليس لها صَلِيلْ

وقال آخر :

رُوحِى الفداءُ لمَنْ أدار بلَحْظِه * صهباءَ فى عَقْلِى لها تأثيرُ
ومن العَجائب أن يُديرَ بلحْظه * مشمولَةً وإناؤها مَكْسُورُ

وقال آخر :

القَلْب بك المسْلُوب والمسلوب * والصب بك المعْتُوب والمتْعُوب
يامَنْ طَلَبَتْ لحاظُه سفْكَ دمى * مَهْلا ضعُف الطالبُ والمَطْلوب

وقال أبو تمام :

مُتَطَلِّبٌ بصُدُوده قَتْلى * فردُ المَحاسِن وجْهُه شُغْلى
ألحاظُه فى الخَلْقِ مُسْرِعةٌ * فيما تُرِيدُ كسُرْعة النَّبْل

وقال آخر :

ألحاظُكُمْ تجرَحُنا فى الحَشَا * ولحظنا يجرحكم فى الخُدُودْ
جَرْح بجَرْح فاجعلُوا ذا بِذَا * فما الَّذِى أوجبَ هذا الصُّدُودْ

وقال آخر :

ومُقْلة شادِنٍ أوْدتْ بقلبِى * كأنَّ السُّقْمَ لى ولها لِباسُ
يَسُلُّ اللحظ منها مَشْرَفيًّا * لقَتْلى ثم يُغْمِدُه النُّعاسُ

وقال ٱبن الرومىّ :

يا عَلِيـلًا جعـــلَ العِـلَّةَ* مِفْتــاحا لظُلْمِـــى
ليس فى الأرضِ عَلِيلٌ * غير جَفْنَيْكَ وجِسْمِى
بك سُـــقْمٌ فى جُفُون * سُـقْمُها أكَّد سُقْمى

وقال تاج الدين بن أيوب :

أسْقَمَنِي طَرْفُك السَّقيمُ وقد * حكاه مِنِّى فى سُقْمِهِ الجَسَـدُ
هَبَّ نسيمٌ من نحوِ أرضِك لِى * فـــزادنِى فى هَواكَ ما أجِـدُ
وهاج شَوْق والنارُ ما بَرِحتْ * عنـــد هُبُوب الرِّياح تتَّقـدُ

وقال ٱبن المعتز :

ضـــعيفةٌ أجفانُهُ * والقَلْبُ منه حَجَـــرُ
كأنمـا ألحـاظُـــه * من فعْله تَعْتَـــذِرُ

٭٭٭

وممـا وصفت به العيون على لفظ التأنيث، فمن ذلك ما قاله عدىّ ابن الرقاع :

وكأنَّهـا بينَ النِّساءِ أعارَها * عينيه أحْورُ من جآذرِ جاسِم
وَسْنانُ أقْصده النُّعاسُ فرنَّقَتْ * فى عينــه سِـــنَةٌ وليس بنائم

وقال الناجم :

كاد الغزَالُ يَكُونُها * لكِنَّما هـــو دُونَهَـا
والنَّرجِسُ الغَـضُّ الجَـــنِىّ* أغضُّ منه جُفُونُها
مَنْ كان يعرف فضلَها * فعن القيَاس يَصُونُهـا

وقال أبو دلف :

تَقْتَنِصُ الآسادَ مِنْ غِيلِها * وأعينُ العِينِ لنا صائِدَهْ
يَنْبُو الحُسامُ العَضْبُ عنا وقد * تَكْلِمُ فينا النظرةُ القاصِدَهْ
تهابُنا الأُسْدُ ونَخْشى المَهَا * آبِدَةٌ ما مِثْلُها آبِدهْ

وقال آخر :

لِلهِ ما صَنَعَتْ بنا * تلك المَحَاجِرُ فى المَعَاجِرْ
أمضى وأنفذُ فى القلو * ب من الخَنَاجرِ فى الحَنَاجِرْ

وقال آخر :

يَنْظُرْنَ من خَلَلِ السُّجُوف كأنَّما * يُمْطِرنَ أحشاءَ الكريم نِبَالا

وقال أبو فراس الحمدانىّ عفا الله تعالى عنه ورحمه :



وبيضٍ بألحاظ العُيونِ كأنَّما * هَزَزْنَ سُيوفًا أو سَلَلْنَ خَناجرا
تَصَدَّيْنَ لى يومًا بمنعرَج اللِّوى * فغادَرْنَ قلبى بالتصبُّر غادرا
سَفَرْن بُدورا وٱنتقبْنَ أهلَّةً * ومِسْن غصونا وٱلتفتْنَ جآذرا
وأطْلَعْنَ فى الأجياد للدُّرّ أنجُمًا * جُعِلْنَ لحَبَّات القلوب ضَرائرًا

وقال ٱبن الرومىّ :

نظَرَتْ فأقصدتِ الفُؤادَ بطَرْفِها * ثم ٱنثنَتْ عنّى فكدتُ أَهيمُ
وَيْلاى(١) إن نظَرَتْ وإن هى أعرضَتْ * وقعُ السِّهامِ ونزعُهنّ أَليمُ

وقال أيضا :

لَطَرْفُها وهو مصروفٌ كمَوْقِعِه * فى القلب حِينَ يروعُ القلبَ مَوْقِعُه

(١) كذا بالأصلين ولم نعثر على هذين البيتين فى ديوانه المخطوط المحفوظ بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٣٩ أدب . ولا يظهر لقوله : "و يلاى" وجه فى صحيح اللغة ، والرواية المشهورة فى هذا البيت : و يلاه إن نظرت الخ .

تصُد بالطَّرْف لا كالسَّهم تَصْرِفُه * عنِّى ولكنَّـه كالسَّهْم تنْزِعُــه

وقال الأرّجانى :

نَقَّبُوهُنَّ خَشْـــيةَ العُشَّاق * أوَ لم تَكْفِ فِتنةُ الأحْداق
إن فى الأعينِ المِراضِ لَشُغْلا * للمُعَنَّى عن الخُدود الرِّقاق
كلُّ ما فاتَ فى الليالِى المواضِى * فهو فى ذمّة اللَّيالِى البَواقى

وقال أيضا :

سـتَرْنَ المحاسنَ إلا العيُونَا * كما يَشْهَد المَعْرَكَ الدَّارِعُونا
ســلَلْنَ سُـــيُوفا ولاقَيْنَنَا * فلا تَسْأل اليومَ ماذا لَقِينـا
كسَرْنَ الجُفونَ ولولا الرِّضا * بحُكْمِ الغَرامِ كسَرْنا الجُفُونا
وحَسْبُ الشهيدِ سُرورًا بأن * يُعايِنَ حُورًا مع القَتْل عينًا

وقال أبو نُوَاس :

ضَعيفةُ كَرِّ الطَّرْف تَحْسبُ أنها * قريبــةُ عَهْدٍ بالإفاقةِ من سُقم

وقال آخر :

يا مَنْ تَكَحَّل طَرْفُها * بالسِّحْر لا بالإثْمِـد
نَفْسى كما عَـــذَّبتِها * وقتَلْتِها بالإثْم دى (١)

* * *

ومما قيل فى أدواء العين، فمن ذلك :

الغَمَص : ألّا تزال العين تَرْمَص . اللَّحَح : أسوأ الغَمَص . اللَّخَص : التِصاق الجُفُون . العائر : الرَّمد الشديدُ . وفيه يقول النابغة :

وباتَ وباتَتْ له ليـــلةٌ * كليلة ذى العائرِ الأرْمَد

(١) فعل أمر للؤنث من "ودى" بمعنى دفع الدية بسبب الإثم الذى وقع منها .

وكذلك الساهِكُ . الغَرْب : وَرَم فى المآقى . السَّبَل : أن يكون على بياضها وسوادها شِبْه غِشَاء . السَّجَا(١) : أن يعسُر على الإنسان فتحُ عينيه إذا ٱنتبه من النوم . الظَّفَر : ظهور ظَفَرة (وهى جُلَيدة تغشى العين من تلقاء المآقى) . الطَّرْفة : أن يحدُث فى العين نقطةٌ حمراء . الاْنتِشَار : أن يتسع ثقْب الناظر حتّى يلحق البياضَ من كل جانب . الحَثَر : أن يخْرج فى العين حَبٌّ وهو الجَرَب . القَمَر : أن يعرض للعين فَتْرة وفساد . يقال : قَمِرت عينه .

* * *

ومما قيل فى أرمد، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتز (وقيل إنها لآبن الرومى وقيل للناجم) :

قالوا ٱشتكتْ عينُه فقلتُ لهم * من كَثْرةِ الفَتْك نالَها الوَصَب
حُمرتُها من دماءِ مَنْ قَتَلَتْ * والدمُ فى النَّصل شاهدٌ عَجَبُ

وقال آبن منير الطرابلسى :

رَنَا وفى طَرْفه آحمرارٌ * يغُضّ من سِحْر مقلتَيْه
وفاضَ من نَرْجِسيْه ماءٌ * ضَرَّجه وَرْدُ وجنَتَيْه
فقلتُ يا مُمرِضى بوجهٍ * أظنّ دائِى سرى إليه
هيهاتَ لا تجحَدن قتلى * هذا دمِى شاهدٌ عليه

وقال الواثق بالله :

لى حبيبٌ قد طال شوقِى إليه * لا أسمِّيه من حِذارى عليه
لم تكن عينُه لِتجحَدَ قتلى * ودمِى شاهدٌ على وجنَتَيْه

(١) فى "فقه اللغة" فى أدواء العين (ص ١٠٠ طبعة بيروت) الجُسْأة [بتقديم الجيم على السين ولعله الصواب] .

وقال الصولىّ :

يَكْسِرُ لى طَرْفا به حُمْــرةٌ * قد خَلطَ النَّرجِسَ فى وَرْدِه
ما آحمرّت العــينُ ولكنَّهُ * يَكْحُلُهــا من وردتَىْ خَدِّهْ .

وقال آخر :

قالوا بَدتْ فى عينــه حُمْرةٌ * قد حازهَا مِن وَرْدة الخــدِّ (١٩)
فقلتُ لم يَرْمَــدْ ولكنّهُ * يُصــابِغُ النَّرجسَ بالوَرْد

وقال أبو عبد الله بن الحدّاد الوزير :

ياشاكِىَ الرَّمَــدِ الذى بشَــكَاته * قد صار دهرِى فيه ليــلةَ أرمدَا
اللهُ والإشــفاق يعــلم أنَّنِى * لو أستطيعُ يدًا لكنتُ لك الفِدَا
كَمْ من دمٍ سفكَتْ جُفُونُكَ لم تَزلْ * تُخْفِى وتكْتُم سَــفْكَه حتَّى بدا
لم يَشْــتَمِلْ بدمٍ غِرارُ مهنَّــدٍ * إلا وقد أهْدى النفوسَ إلى الرَّدى

وقال أبو الفرج الببغاء :

بنفسِىَ ما يشــكوه مَنْ راحَ طَرْفُهُ * ونَرْجِسُه ممــا دهى حسـنَهُ وَرْدُ
أراقتْ دمِى ظُلْما محاسنُ وجهــه * فأضحتْ وفى عينيــه آثارُه تبــدُو
غدَتْ عينُهُ كالجَمْــر حتَّى كأنمــا * ســقى عينَهُ من ماء تَوْرِيده الخــدُّ
لئِن أصبحتْ رمداءَ مُقْــلةُ مالكى * لقد طال ما آستَشْفتْ به مُقَلٌ رُمْدُ

وقال آخر :

قُضُب الهنــدِ والقَنــا أخدانُكْ * والمَقــاديرُ فى الورى أعــوانُكْ
أيُّها ذا الأمــيرُ ما رَمِــدت عيْـ * ـنك حاشَا لهــا ولا أجفانُكْ
بل حكَتْ فِعلَكَ الكريمَ ليضحى * شانُهــا فى العُلى ســواءً وشانُك
فهِى تَحْمَــرُّ مثل سيفك فى الرَّو * ع وتصــفُو كما صَفَا إحسانُك

وقال آخر وأجاد :

لقد جارَ ما تشكوه فى الحُكْمِ واَعتدى * وأسْرفَ فى أفعاله وتَمَرَّدا
فَمَنْ لى بأنْ لو كنتُ أعرِفُ حِيلةً * تُصَيِّرُ أجفانِى لأجفانِكَ الفِدا
دهَتْ عينَكَ العينُ التى قد قضى القَضا * بأنك فيها سوف تُصْبِح أرمدا
فمذ بُدِّلَتْ من نرجسٍ بشقائقٍ * أعادَتْ لُجَيْنَ الدمْعِ مِنّىَ عَسْجدا
سَلَلْتَ حُسامَ اللحظ منها على الورى * وقد كان أحْرى أن يُصانَ و يُغْمَدا
فأنتَ الذى أبلَيْتَها بالذى بها * إذا السيفُ لم يُغْمَدْ تراكبه الصَّدا

* * *

ومما قيل فى أرمد غطى عينيه بشَعْرِيَّة (١)، قول السراج الورّاق :

شَعْرِيّتِى مُذْ رَمِدتُ قد حجَبَتْ * طرْفِى عَنْكمْ فصِرْتُ محبوسَا
الحمـدُ لله زادنِى شَرَفا * كنتُ سِراجا فصِرْتُ فانوسا

وقال آخر :

غَطَّى على عينيه شَعْرِيّةً * تُشْعِل فى القلب لَهيبَ الغَرامْ
كأنَّه البدرُ بدا نِصْفُه * ونصفُه الآخَرُ تحتَ الغَمام

وقال آخر :

لا تَحْسَبُوا شَعْرِيَّةً أصبحَتْ * من رَمَدٍ فى وجهه مُرْسَلَهْ
وإنما وجنتُه كعبة * أستارها من فَوقها مُسْبَلَهْ

ومن رقعة كتبها أرمد (وهو عبد الله بن عثمان الواثق) عفا الله عنه ، قال :

---

(١) فى شفاء الغليل للخفاجى : أن "شعرية نسبة الى الشعر : عشاء أسود رقيق يكون على وجه النساء والأرمد، وأصله أنه ينسج من الشعر ثم يطلق على كل ما شابهه ، وهى مولدة" .

صادف وُرُودُ كتابه رمدا فى عينى قد حصرنى فى الظُّلمـــة ، وحبسنى بين الغم والغُمَّة ، وتركنى أُدْرِك بيـدى ما كنت أدرك بعينى : كليلَ سِلاح البصر ، قصـيرَ خَطْو النظر ، قد ثَكِلْتُ مِصـباح وجهى ، وعَدِمت بعضى ، الذى هو آثَرُ عندى من كُلِّى ، فالبِيض عندى سُود ، والقريب منِّى بعيد ! قد أحاط الوجعُ أجفانى ، وقبض عن التصرُّف بَنَانى ، ففراغى شُغْل ، ونهارى ليل ، وطوالُ الخُطا قِصار ، وقِصار أوقاتى طوال ، وأنا ضريرٌ وإن عُدِدتُ فى البصراء ، وأُمِّىٌّ وإن كنت من جملة الكُتَّاب والقرّاء ، قد قصّرت العلة خطوتَىْ قلمى (١) وبَنَانى ، وقامت بين يدى ولسانى .

وقد كانت العرب تزاوج بين كلمات ، فيقولون :

القِلَّة ذِلَّة ، والوَحْدة وَحْشة ، والهَوى هَوان ، والأقارب عَقارب ، والمَرَض حَرَض ، والرَّمد كمد ، والعِلة قِلَّة ، والقاعد مُقْعد . والله تعالى أعلم .

فصـــل

(٢٠)

فى ترتيب البـــكاء

إذا تَهيأ الرجل للبكاء ، قيــل : أَجْهَش .

فإذا امتلأتْ عينه دُموعًا ، قيل : اغرَوْرَقت عينهُ ، وترَقْرقتْ .

فإذا سالَتْ ، قيل : دَمَعَتْ ، وهَمَعت .

فإذا كثُرتْ دموعه ، قيل : هَمَت .

فإذا كان لبكائه صوت ، قيل : نَحَب ونَشَج .

فإذا صاح مع بكائه ، قيل : أعول .

---

(١) كذا بالأصلين ، ولعله محرّف من «قدمى» كما يقتضيه السياق .

قال سَلْم الخاسر :

أتتْني تُؤنّبني فى البُكاء * فأهْلًا بها وبتأْنيبِها
تقول وفى قولها حِشْمةٌ * أتبْكى بعينٍ تَرانى بها
فقلتُ إذا آستحسنَتْ غيرَكُمْ * أمرتُ الدُّمُوعَ بتأديبِها

فصل

فيما قيل فى الأنف

الشَّمَم : آرتفاعُ قصبة الأنف مع آستواء أعلاها . القَنَا : طُول الأنف، ودِقّة أرنبته، وحَدَبٌ فى وَسَطه . الفَطَس : تطامُن قصبتِه مع ضِخَم الأرنبة . الخَنَس : تأخّر الأنف عن الوجه . الذَّلَف : شُخوص طَرْفه مع صغر أرنبته . الخَشَم : فِقْدان حاسّة الشمّ . الخَرَم : شَقٌّ فى المَنْخِرين . الخَثَم : عِرَض الأنف . (يقال ثور أخْثَم) . القعَم : آعوجاج فى الأنف . (قال الشاعر :

لَيِّن المَنْخرين معتدلُ الما * رن لا سائلٌ ولا جعْـدُ)



ومما قيل فى الشِّفاه والفَم ، الشَّدق : سَعة الشِّدقين . الضَّجَم : مَيَل فى الفم وفيما يليه . الضَّزَز : لُصوق الحنَك الأعلى بالأسفل . الهَدَل : آسترخاء الشفتين وغلظُهما . اللَّطَع : بياضٌ يعتريهما . القَلَب : آنقلابهما . الجَلَع : قَصَرهما عن الآنضمام .

فصل

فى تقسيم ماء الفم

ما دام فيه، فهو رِيق، ورُضَاب .

فإذا عَلِك ، فهو عَصيب .

فإذا سال ، فهو لُعَاب .

فإذا رمى به ، فهو بُزَاق ، وبُصَاق .

فصل

فى ترتيب الضحك (١)

التبسُّم أوّل مراتبه ، ثم الإهْلاس وهو إخفاؤه ، ثم الافترار ، ثم الانْكلال وهما الضحِك الحَسَن ، ثم الكَتْكتة أشدّ منهما ، ثم القَهْقَهة والقَرْقرة والكَرْكرة ، ثم الاسْتِغراب ، ثم الطَّخْطَخة ، ثم الإهْزاق والزَّهْزقة ، وهو أن يذهب الضحك به كلَّ مذهب .

قال كُشاجم :

عَذُبتْ فى الرَّشْفِ منه شَفَةٌ * مَصُّها أطيبُ من نَيْلِ الأملْ
وعليها حُمْرةٌ فى لَعَسٍ * تستعيرُ اللونَ من صِبغ الخَجَلْ
هِىَ فيما خِلْتُ آثارُ دَمٍ * من فؤادى عَلَّ فيه ونَهَلْ

وقال ابن سُكَّرَة الهاشمىّ :

ياضاحِكًا يستهِلُّ مَضْحَكُه * عن بَرَدٍ واضحٍ وعَنْ شَنَبِ

(١) فى الأصل : فى تقسيم ماء الوجه وترتيب الضحك . ولعدم وجود كلام على تقسيم ماء الوجه حذفناه من العنوان .

أعطيتنِي قُبْلة رشفتُ بها الشّـ * ـهدَ مَشُوبا بعَــنْبرة العنَب
كأنّنى إذ لثمتُ فاكَ بها * لثمتُ تُفّـاحةً من الذهَب

وقال كشاجم :

كأنَّ الشفاه اللعْسَ منها خَواتمٌ * من التِّبْر مختومٌ بهنّ على دُرّ

وقال سيف الدولة بن حمدان، فى صباه :

أُقَبِّــلُه على عَجَــلٍ * كشُرْب الطائر الفَــزِعِ
رأى ماءً فأطْمَعــه * فخاف عَواقِبَ الطَّمعِ
فصادف فُرْصــة فدَنَا * ولم يلْتَــذَّ بالجَــرَعِ

* * *

ومما قيل فى طيب الريق والنَّكهة على لفظ التذكير، فمن ذلك قول ابن الرومىّ :

أَهيفُ الغُصْنِ أهيلُ الدِّعْصِ لمـا * يَقْتسِمْ قــدَّه وِشاحٌ ومِرْطُ
طَيِّب طعمُــه إذا ذُقتَ فاه * والثُّريَّا فى جانب الغَــرْب قُرْطُ

وقال آخر :

يامانعى طيبَ المَنـامِ ومانِحِى * ثَوْبَ السِّـقامِ وتاركِى كالآلِ
عمَّن أخذتَ جَوازَ منعى ريقكَ الـ * ـمعسول ياذا المَعْطِف العَسـال
عن ثَغرِكَ النظَّام أم عن شَعْرك الـ * ـفَحَّام أم عن طَرْفك الغـزَّال

وقال آخر :

أتَدْرون شَمْعتنا لِمْ هَوَتْ * لتقبيلِ ذا الرَّشإِ الأكحلِ
درَتْ أن ريقتَه شُــهْدةٌ * فحنَّتْ إلى إلْفِهـا الأوّلِ

وقال بشار بن بُرْد :

يا أطيبَ الناس ثَغْرًا غيرمختبَرٍ * إلّا شهادة أطرافِ المَساويكِ

وقال ٱبن وكيع البستىّ :

ريقٌ اذا ما ٱزْددْتُ من شُرْبه * رِيًّا ثنـانِى الرِّىُّ ظمآنا
كالخمر أروى مايكون الفتى * من شُرْبها أعطَشُ ما كانا

وقال ٱبن الرومىّ :

يارُبَّ ريقٍ باتَ بدرُ الدّجى * يمجُّــه بين ثَنايَاكــا
يُرْوى ولا ينهاك عن شُرْبه * والمـاء يُروِيكَ ويَنْهاكــا

وقال أبو الفتح كشاجم :

بَلَغَتْــه الكأسُ فارتعدَتْ * طَرَبًا منهـا إلى فَمِـــهِ
مَنَعتْـــه أن يؤخِّرها * فى يَدَيه من تَحَشُّمِه
فَحَسَـاهـا ثم أعقبَها * أرَجًا من طِيبِ مَبْسِمِه

وقال آخر : (٢١)

بقَدْرِ الصَّـبابة عند المَغيبِ * تكونُ المَسَرّةُ عند الحُضُورِ
وأطيبُ ما كان بردُ الثُّغُورِ * إذا هُوَ صادفَ حَرّ الصُّدورِ

* * *

ومما وصف به على لفظ التأنيث، فمن ذلك قول ٱبن مَيّادة :

كأنَّ على أنيابها المِسْكَ شابَهُ * بُعَيْدَ الكَرى من آخر الليل غابِقُ
وما ذُقْتـــه إلا بعيـــنِي تَفَرّسا * كما شِيمَ فى أعلى السحابة بارِقُ
يضم إلىّ الليـــلُ أذيالَ حُبِّهـا * كما ضمَّ أردانَ القميص البنـائقُ

وقال البحترىّ :

كأنّ على أنيابها بعد هَجعةٍ * إذا ماالنجومُ الليل حانَ انحدارُها
مُجاجةَ مِسْك صُفِّقَتْ بمُدامةٍ * معتّقةٍ صَهباءَ حان اعتِصارُها

وقال ذو الرمة :

أَسيلةُ مَجرى الدّمع هَيفاءُ طَفْلةٌ * عَرُوبٌ كإيماض الغمام ابتسامُها
كأنّ على فيها وما ذُقتُ طَعْمَه * زُجاجةَ خمر طابَ فيها مُدامُها

وقال كشاجم :

البدرُ لا يُغْنيكَ عنها إذا * غابَتْ وتُغْنيك عنِ البَدْر
فى فَمِها مِسْك ومشمولةٌ * صِرْفٌ ومنظومٌ من الدُّرّ
فالمِسْك للنَّكْهة والخمْر للرِّيقة واللُّؤلؤُ للثَّغْر

وقال الهذلىّ :

وما صَهباءُ صافِيَةٌ شمولٌ * كعين الدّيك مُنجابٌ قَذاها
تُشَجُّ بماءِ سارِيةٍ عَريِض * على ظمإ به رصف صَفاها
بأطيبَ نَكهةً من طَعْمِ فيها * إذا ما طار عن سِنَةٍ كَرَاها

وقال ابن الرومىّ :

وما تَعْتَريها آفةٌ بَشَريّةٌ * من النَّوم إلا أنها تَتَخَيَّرُ
كذلك أنْفاسُ الرِّياض بسُحْرةٍ * تَطيبُ وأنفاسُ الأنامِ تَغيَّرُ
وما ذُقْتُه إلا بشَمِّ ابتِسامِها * وكم مُخْبِرٍ يُدْنيه للعين مَنْظَر
وغيرُ عجيبٍ طِيبُ أنفاسِ روضة * مُنَوَّرة باتت تُرَاح وتُمطَر

وقال جميل :

وكأنَّ طارِقَها على عَلَلِ الكرَى * والنجمُ وَهْنًا قد دَنَا لتغوُّرِ
يَسْتافُ رِيحَ مُدامةٍ مَعْلُولة * بذكِىِّ مِسْك أو سَحِيق العَنْبرِ

وقال الشريف الموسوىّ، شاعر اليتيمة :

يا عذبةَ المَبْسِم بُلِّى الجَـوى * بنَهْـلة من ريقِك البارِدِ
أرى غَـــدِيرا ســـيِّحا ماؤُه * فهـلْ لذاكَ المـاء من وارد
مَنْ لى بذاك العسلِ الذائب الـ * ـجارى خِلَال الـــبَرَد الجامد

* * *

ومما قيل فى طيب عَرْف النساء، قالوا : من أجود ما قيل فى ذلك من قديم الشعر قول الأعشى :

ما رَوضةٌ مِن رياض الحَزْن معشبةٌ * خضراءُ جاد عليهـا مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضاحك الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ * مؤَزَّرٌ بعَمِـــيم النبت مكـتهِلُ
يومًا بأطيبَ منهـا نَشْرَ رائحـــةٍ * ولا بأحسنَ منها إذ دَنَا الأُصُـــلُ

وقول القطامىّ :

وما رِيحُ قاعٍ ذى خُزامى وحوْلَهُ * شَذًا أرَجٍ من طيِّب النَّبْت غارِبِ
بأطْيَبَ من مَىٍّ إذا ما تقَلَّبَتْ * من الليل وَسْنى جانبًا بعد جانِبِ

أخذه آبن المعتز ببعض لفظه وزاد زيادة حسنة، فقال :

وما ريحُ قاعٍ زاهِرٍ مَسَّــهُ النَّدى(١) * وروضٍ من الرَّيحان سَحَّت سحائبُهْ
فجاء سُحَيْرا بين يومٍ وليـــلة * كما جَرَّ من ذيل الغِلَالة ساحبُــه
بأطْيَبَ من أنيـابِ سَمْرَةَ مَوْهِنًا * إذا الليلُ أدجى وآرجحنَّت كتائبه
إذا رَغِبتْ عن جانب من فِراشِها * تَضوّعَ مِسْكًا أين مالَتْ جوانبُهْ

وقال آبن الرومىّ :

والعَرْفُ نَدّ ذكِىّ وهى ذاكِيَةٌ * إذا أساء جِوارَ العِطْـر أبدانُ

(١) فى الأصول : « مست » بالتاء المثناة . والسياق يقتضى ما أثبتناه .

نعيمُ كلِّ بهارٍ من مَجَامِرِها * ويُشْمِسُ الليلُ منها فهو ضَحْيان
كأنها وعُثانُ النَّدِّ يشمَلُها * شمسٌ عليها ضَبابَاتٌ وأدْجانُ

وقال ابن الأحنف :

ذَكَرْتُك بالرَّيحان لَمَّا شَمِمْتُه * وبالراح لمَّا قابلَتْ أوجُهَ الشَّرْبِ
تذكَّرتُ بالرَّيحانِ منكِ روائحا * وبالراح طَعْمًا من مُقَبَّلِكِ العَذْبِ

ومن البليغ قول سحيم :

فما زالَ بُرْدِي طَيِّبا من ثيابها * إلى الحول حتَّى أنْهجَ البُرْدُ باليا

وأبلغ منه قول الأحنف :

وَجَدَ الناسُ ساطعَ المِسْك من دِجْـ * ـلَةَ قد أوسع المَشَارعَ طيبا
فَهُم يُنكِرون ذاكَ وما يَدْ * رونَ أن قد حَلَلْتِ منها قَريبا



وقال آخر وأحسَنَ :

جاريةٌ أطيبُ من طِيبها * والطِّيبُ فيها المِسْكُ والعنبرُ
ووجْهُها أحسنُ من حَلْيِها * والحَلْيُ فيها الدرّ والجوهَرُ

وقال امرؤ القيس :

ألم تَرَ أنى كُلَّما جئتُ طارقًا * وجدْتُ بها طيباً وإن لم تَطَيَّب

وقال آخر :

أتَاها بعطْر أهلُها فتضاحكَتْ * وقالت وهل يَحتاجُ عِطْر الى عِطْر

وقد بالغوا حتَّى وصفوا طيب المواضع التى وَطِئها المحبوب .

وأول من قال ذلك النميرىّ الشاعر فى زينبَ بنت يوسف أخت الحجاج فقال :

تَضوّعَ مِسْكا بطنُ نَعْمَانَ أنْ مشَتْ * به زينبٌ فى نِسْوة خَفِرات

وقال جميل :

ألَا أيُّها الربعُ الذى غيَّر البِــلى * عَفَا وخَلَا من بعدما كان لايخلُو
تَذَأَّبَ(١) ريحُ المِسك فيه و إنمـا * بهالمسكُ أنجَرّتْ به ذيلَها جُمَلُ

وقول الآخر :

أرى كلَّأرض دُستِ فيها و إن مضت * لهـا حِجَــجٌ يزدادُ طيبـا تُرابُهـا

* * *

ومما قيل فى الأسنان، فمن محاسنها :

الشَّنَب، وهو رِقَّة الأسنان وآستواؤها وحُسْنها . الرَّتَل : حُسْن تنضيدها وآتساقها . التَّفْليج : تفرُّج ما بينها .

الشَّتَت : تفرّقها من غير تباعد بل فى آستواء وحسن . يقـال : ثغر شَتِيت، إذا كان مُفَلَّجا حسنا أبيضَ . الأشَرُ : تحزيز فى أطراف الثنايا يدل على حَدَاثة السن . الظَّلْم : المـاء الذى يجرى على الأسنان من البَريق لا من الرِّيق .

فصـــــل

فى مقابحها

الرَّوَق : طولهـا . الكَسَس : صِغَرها . الثَّعَل : تراكُبُها وزيادة سِنٍّ فيها . الشَّغَا : آختلاف منابتها . اللَّصَص : شـدّة تقارُبها وآنضمامها . اليَلَل : إقبالهـا

(١) يقال : تذأبت الريح اذا جاءت مرّة كذا ومرّة كذا . وفى الأصول : «تداءب» بالدال المهملة وهو تحريف .

على باطن الفم . الدَّفَق : انصبابُها الى قدّام . الفَقَم : تقدّم سُفْلاها على العليا . القَلَحُ : صُفْرتها . الطُّرامةُ : خُضْرتها . الحَفَر : ما يلزق بها . الدَّرَدُ : ذَهابها . الهَتَمُ : انكسارها . اللَّطَطُ : سقوطها .

فصل

فى ترتيب الأسنان

وهى أربعُ ثَنايَا ، وأربعُ رَبَاعِيَات ، وأربعُ أنياب ، وأربعُ ضَواحِك ، وثِنتا عَشْرَةَ رَحًا ، وأربعةُ نواجِذ .

قال أبو الفتح كُشاجم :

عَرَضْن فعرَّضْنَ القُلوبَ من الجوى * لأسْرَع فى كَيِّ القلوبِ من الجَمْر
كأن الشِّفاهَ اللُّعْسَ فيها خواتمٌ * من المِسْك مختومٌ بهنَّ على دُرِّ

وقال أيضا :

كالغُصْن فى روضة تمِيسُ * تَصْبُو الى حسنها النُّفُوسُ
ما شَهِدَتْ والنِّساءَ عُرْسا * فشُكَّ فى أنها عَرُوسُ
تَبْسِمُ عن باسِم بَرُودٍ * تَعبَقُ من طِيبه الكُؤوسُ
يَجْمَعُ فيه لمجتنِيه * مسكٌ وورْد وخَنْدرِيسُ

وقال المتنبى :

ويَبْسِمْنَ عن دُرٍّ تقلَّدْنَ مثلَهُ * كأنَّ التَّراقِى وُشِّحتْ بالمَباسم

وقال الصنوبرىّ :

تلك الثَّنايَا من عقْدها نُظمتْ * بل نُظِم العِقْدُ من ثَنَاياها

وقال البحترىّ

وَتَرْجِعُ الليــلَ مُبْيضًّا إذا ضَحِكتْ * عن أبيضٍ خَصِلِ السِّمْطيْنِ وَضَّاحِ

وقال ٱبن الرومىّ :

كأنّى لم أبِتْ أُسْقَى رُضاباً * يموتُ به ويحيَـا المُستَهامُ
تُعَلِّلُنيــه واضحــةُ الثَّنـايَا * كأن لِقـاءَها حَوْلًا لمَـامُ
تَنَفُّسُ كالشَّمُول ضُحَى شَمالُ * إذا ما فُضَّ عن فَمِها الخِتامُ

وقال النابغة :

تجلُو بقادمَتَىْ حمامــةِ أيكةٍ * بَرَداً أُسِفَّ لِثـاته بالإثْمِدِ
كالأُقْحُوانِ غداةَ غِبِّ سَمائه * جفَّتْ أعاليه وأسفَلُه نَدِى

وقال شقيق بن سليل :

وتَبْسِم عن ألْمَى اللّثـاتِ مفَلَّج * خَليقِ الثَّنايا بالعُــذوبة والبَرْدِ

وقال جميل :

بذى أُشُرٍ كالأُقْحُوانِ يَزِينُــه * نَدَى الطَّلِّ إلا أنه هو أمْلَحُ

وقال السمهرىّ :

كأنَّ وميضَ البرق بينِى وبينَهَـا * إذا حانَ من بعض البُيوت ٱبتسامُها

وقال آخر :

أحاذِرُ فى الظلمـاء أن تستَشِفَّنِى * عيونُ العَبارَى فى وميضِ المَضاحِكِ

* * *

وممـا قيل فى السّواك، قول بعض الشعراء : (٢٣)

أقُولُ لِسْواكِ الحبيب لك الهَنَا * بلَثْمِ فَمٍ ما ناله ثَغْــرُ عاشقِ

فقال وفى أحشائه حُرَقُ الجوى * مقالَةَ صبٍّ للديار مُفارِق
تذكَّرتُ أوطانى فقلبى كما ترى * أُعلِّلُه بين العُذَيْب وبارق

وقال آخر :

نقلَ الأراكُ بأن رِيقةَ ثَغْرِه * من قهوةٍ مزِجت بماءِ الكَوْثَر
قد صحَّ ما نقلَ الأراكُ لأنه * قدجاءيروِى عن "صِحاحِ الجوهرى"

وقال آخر :

باللهِ إن جُزتَ بوادِى الأراكْ * وقبّلَتْ أغصانُه الُّلدْنُ فاكْ
فابعث إلى المملوكِ من بعضِها * فإنَّنى والله مالِى سِواكْ

ومما قيل فى اللسان، فمن محاسنه :

إذا كان الرجلُ حادّ اللسان قادرا على الكلام، فهو ذَرِب اللسان، وفَتِيقُ اللسان .

فإذا كان جَيِّده، فهو لَسِن .

فإذا كان يضعه حيثُ أراد، فهو ذليق .

فإذا كان فصيحا بَيِّن اللَّهْجة ، فهو حُذَاقِىّ .

فإذا كان مع حِدّة اللسان بليغا، فهو مِسْلاق .

فإذا كان لا يعترِضُ لسانَه عُقْدة، ولا يتحيَّفُ بيانَهُ عُجْمة، فهو مِصْقَع .

فإذا كان المتكلمَ عن القوم، فهو مِدْرَه .

فصــل
فى عيوبه

الرُّتَّة : حُبْسةٌ فى لسان الرجل، وعَجَلة فى كلامه . الُّلكْنة والحُكْلَة : عُقْدة فى اللسان وعُجْمة فى البيان . الهَتْهتة (بالتاء والثاء): حكايةُ التواء اللسان عندالكلام .

التَّعتعة (بالتاء والثاء) : حكايةُ صوت الألْكنِ والعَىّ . اللُّثغة : أن يُصيِّر الراءَ لامًا من كلامه . الفَأْفأة : أن يتردّد فى الفاء . التَّمتمة : أن يتردّد فى التاء . اللَّفَف : أن يكون فى اللسان ثِقَل وانعقاد . اللَّيَغ : ألّا يُبَيِّن الكلام . اللَّجْلجةُ : أن يكون فيه عِىّ و إدخال بعض كلامه فى بعض . الخَنْخَنَةُ : أن يتكلم من لَدُنْ أنفه . و يقال : هى ألّا يُبَيِّن الرجل كلامه فيُخَنْخن فى خياشيمه . المَقْمَقة : أن يتكلم من أقصى حلقه .

فصـــل

فى ترتيب العِىّ

يقـال : رجل عَيِيٌّ، ثم حَصِر، ثم فَهٌّ، ثم مُفْحَم، ثم لَجْلاج، ثم أبْكَمُ . قال علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه : المرءُ مخبُوٌّ تحت لسانه .

وقال شاعر :

وما المَرْء إلّا الأصغرانِ لسانُه * ومعقولهُ والجسم خَلْقٌ مصوَّرُ

وقال امرؤ القيس :

وذلكَ من نَبإٍ جاءنى * وخُبِّرْتُه عن أبى الأسْـودِ
ولو عن نَثـا غيره جاءِنى * وجُرح اللسان كجُرح اليَد

النَّثا : القبيح من الكَلام .

وقال جرير :

لسانى وسـيْفِى صارمانِ كلاهُمـا * وللسَّيفُ أشوى وقعةً من لسانيا

قوله : أشوى، إذا أخطأ المَقْتَل .

وقال آخر :

وجُرْحُ السيفِ تَدْمُله فيَبْرى * وجُرْحُ الدهرِ ما جَرح اللسانُ

* * *

ومما وصف به حسن الحديث والنغمة، فمن ذلك قول ذى الرمّة :

ولَمَّا تلاقَيْنا جَرَتْ من عُيوننا * دموعٌ كفَفْنا غَرْبها بالأصابِع

ونِلْنا سُقاطا من حديثٍ كأنهُ * جَنى النحلِ ممزوجًا بماء الوقائِع

وقال أيضا :

وإنا لَيجرى بينَنا حينَ نَلْتقى * حديثٌ له وَشْىٌ كوشْىِ المَطارِف

حديثٌ كَوقْعِ القَطْر فى المَحْلِ يُشْتَفَى * به من جَوًى فى داخلِ القَلب لاطف (١)

وقال ٱبن الرومىّ :

ولقد سئمتُ مآرِبى * فكأنَّ طَيِّبَها خَبيث

إلّا الحديثَ فإنَّهُ * مثلُ ٱسمِه أبدًا حَديث

وقال بشّار :

وكأنَّ رجْعَ حديثِها * قِطَعُ الرياضِ كُسِينَ زَهْرا

وكأنَّ تحتَ لسانِها * هارُوتَ يَنْفُثُ فيه سِحْرا

وتَخالُ ما ٱشتَمَلَتْ عليه * ثيابُها ذَهَبا وعِطْرا

وقال البحترىّ :

فلَمَّا ٱلتقينا والنَّقا موعِدٌ لنا * تعجَّب رائى الدُّرِّ حُسْنا ولاقِطُه

فمن لُؤْلؤ تجلُوه عند ٱبتسامِها * ومن لُؤْلؤ عند الحديث تُساقطُهْ

(١) كذا بالأصول ولم نجد فى كتب اللغة التى بأيدينا وصفا من لطف على وزن فاعل، وإنما الموجود فى الأساس «داء ملاطف» أى مداخل، وتبعه السيد المرتضى فى تاج العروس؛ فإما أن تكون كلمة لاطف فى شعر ذى الرمة هذا صحيحة وإن لم ترد فى كتب اللغة، وإما أن يكون هذا البيت قد دخله التحريف .

وقال آخر :

ظَلِلْنا نَتَشاوَى عنــد أمِّ محمـــدٍ * بنَوْمٍ ولم نَشْربْ شرابا ولا خَمْرا
إذا صَمَتتْ عنَّا صَحَوْنا بصَمْتها * و إنْ نَطقتْ هاجتْ لألبابنا سُكْرا

وقال ابن الرومىّ عفا الله عنه :

وحديثُها السِّحرُ الحلالُ لو انَّه * لم يَجْنِ قتــلَ العاشق المتحرِّزِ
إنْ طال لم يُمْلَلْ و إنْ هى أوجَزتْ * ودَّ المحــدَّثُ أنهــا لم تُوجِزِ
شَرَكُ القلوب وفتنــةٌ ما مثلُها * للمطمــئِنِّ وعُقْلةُ المســتوفِزِ

وقال القطامىّ :

فهنَّ يَنْبِــذْن من قولٍ يُصِبْنَ به * مواقعَ المــاءِ من ذى الغُلَّة الصادِى

وقال علىّ بن عطية البلنسىّ : 

كلَّمتْنى فخلْتُ دُرّا نَثيرا * وتأمَّلتُ عِقْدها هل تَناثَرَ
فازْدهاها جَمالُهــا فأرَتْنى * عِقْد دُرٍّ من التبسُّم آخَر

وقال الوأواء الدّمشقىّ :

وحــديثٍ كأنَّه * أوبةٌ من مُسافِرِ
كانَ أحْلى من الرُّقا * د لدى طَرْف ساهِرِ
بتُّ ألهـــو بطِيبِـــه * فى رِياضٍ زَواهِرِ
بيْنَ ساقٍ وسامرٍ * ومُغَـــنٍّ وزامرِ

وقال الطــائىّ :

مَدَّتْ إليـــكَ بنــانةً أُسْرُوعًا * تَشْــكو الفِراقَ ومُقْلةً يَنْبُوعا
كادَتْ لِعرْفانِ النَّوى ألفاظُها * من رِقَّةِ الشَّكْوى تكون دُمُوعا

وقال ٱبن المعتز :

وسرّ أحاديثٍ عِـــذَابٍ لَوَ ٱنَّهـا * جَنى النحل لم تَمْجُجْ حلاوتَها النحْلُ

* * *

ومما قيل فى الأذن، الصَّمَعُ : صِغَرها . السَّكَكُ : كونها فى نهاية الصِّغَر . القَنَفُ : استِرْخاؤهما وإقبالهما إلى الوجه . الخَطَلُ : غلظهما .

فصـــل

فى ترتيب الصَّمَم

يقـال :

بأذُنه وَقْرٌ .

فإذا زاد، فهو صَمَمٌ .

فإذا زاد، فهو طَرَشٌ .

فإذا زاد حتّى لا يسمع الرعد، فهو صَلَخٌ .

* * *

ومما وصف به الصُّدْغ، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتزّ :

ريمٌ يتيـــهُ بحُسْن صُورتِهِ * عبَثَ الفتورُ بلحظ مُقْلتِـهِ
فكأن عَقْربَ صُدْغه وقفَتْ * لما دَنَتْ من نارِ وجْنَتِـهِ

وقال ٱبن الرومىّ :

أبدًا نحنُ فى خِـــلاف فمِنّى * فرطُ حُبٍّ ومنك لى فرط بُغْض
فبصدْغَيْكَ فوق خـطّ عذارٍ * ظُلُماتٌ وبعضُها فوقَ بعض

وقال الصاحب بن عَبّاد :

وعهدِى بالعَقارِبِ حينَ تَشْتُو * تُخَفِّف لَدْغها وتَقِــلُّ ضُرّا
فما بالُ الشتاء أتَى وهــذا * عقاربُ صُـدْغِه يزددْنَ شرّا

وقال آبن المعتزّ :

أمن سَبَجٍ فى عارِضَيْه صَوالِجُ * مُعطَّفةٌ تُفَّاحَ خديه تضرِبُ
وما ضرَّه نارٌ بخـدَّيه أُلْهِبتْ * ولكِنْ بهاقلب المُحبِّ يُعَذَّبُ
عناقيدُ صُدْغَيْه بخدَّيْه تلتوِى * وأمواجُ ردْفَيْه بخصْرَيْه تَقْلِبُ
شَرِبْتُ الهوى صِرْفا زُلالا وإنما * لواحظُه تَسْقِى وقلبِى يَشْرَبُ

وقال الثعالبىّ :

وصَوْلجَانٍ فى يدَىْ شادِنٍ * لا يسمَحُ العاشقُ أن يذْكُرَهْ
وصو لجـانُ المِسْك فى خدِّه * متَّخذٌ حبَّـةَ قلبى كُرَهْ

وقال الناشئ الأصغر :

لك صُـدْغٌ كأنما * نُونُه نونُ كاتبْ
يلْدَغُ الناسَ إذْ تَعقْـ * ـرَبَ لَدْغَ العقاربْ

وقال الصاحب بن عبّاد :

يا شادنًا فى وجْهـه عَقْربٌ * ما يَستجيبُ الدّهرَ للراقِى
يَسْـلَمُ خدّاه على لدغها * ولَدْغُها فى كَبِدى باقِ

وقال عمر المُطَّوِعىّ (١) [من شعراء اليتيمة] :

بنفسِىَ مَن تمَّت محاسِنُ وجهِه * فما هو إلا البدرُ عند تَمامِ
وأرسلَ صُدْغا فوقَ خدٍّ كأنه * جَناحُ غرابٍ فوقَ طوقِ حَمَامِ

(١) هذه النسبة الى المطوعة ، وهم جماعة فرغوا أنفسهم للغزو والجهاد ورابطوا فى الثغور وتطوعوا بالغزو وتصدوا للعدوّ فى بلاد الكفار لا اذا وجب عليهم وحصروا الى بلدهم (راجع الانساب للسمعانى) .

وقال آخر :

حَلَّتْ عقاربُ صُدغِه فى خَدِّهِ * قَمَرا بجَلَّ بها عن التشبيهِ
ولقد عَهِدناهُ يحِلُّ ببُرْجِها * فمن العجائب كيف حَلَّتْ فيهِ

وقال العماد الأصبهانىّ :

و إذا بَدَا لك صُدْغُه فى وجهه * أبصرتَه قمرًا بدَا فى العَقْرب

وقال أبو الفتح كُشاجم :

ومنعْنَ وَرْدَ خدودهنَّ فلم نُطِقْ * قَطْفًا لها لعَقَارب الأصْداغِ

* * *

ومما وصفت به الخدود والوجَنَات ، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير ؛

قال أبو الفتح كُشاجم :

غَدَا وغَدَا تورُّدُ وجنَتَيْه * لعين محبه يصف الرِّياضَا
على خدَّيْهِ ماءُ عَسْجَدىٌّ * فلو نظَر الرقيبُ إليه غَاضَا

وقال آخر :

دعوتُ بماء فى زُجاج لجاءنِى * حبيبى به خَمْرًا نظَرْتُ له شَزْرا
فقال هو الماء القَرَاح و إنما * تجلَّى له خدّى فأوهمَك الخمرَا

وقال أبو القاسم عبد الغفار المصرىّ ، شاعر اليتيمة :

وَرْدُ الخدودِ أرقُّ من * وَرْد الرِّياضِ وأنْعَمُ
هذا تنَشَّقُهُ الأُنو * فُ وذا يقبِّلُهُ الفَمُ
فإذا عدَلْتَ فأفضلُ الـ * ـورْدَيْنِ وَرْدٌ يُلْثَمُ

(٢٥)

وقال أيضـا — ويروى للوأواء الدمشقى — :

لا تظلِموا الناسَ ولا تطلُبوا * بثارِىَ اليوم أذَى مُسْـلِم
ويا لَقَـوْمى دونَكُم شادنًا * معتــدِلَ القـامة والمَبْسِم
فإنْ أبى إلا جحودَ الهـوى * وآكتتم الأمرَ ولم يُعْلِـم
قولوا له يكشِفُ عن خدِّه * فإن فيه نُقَطًا مـن دمى

وقال آبن الرومىّ :

وغــزالٍ ترى على وجنتيــه * قَطْرَ سهميه من دماء القُلوبِ
لَهْفَ نفسى لتِلْكَ من وَجَناتٍ * وَرْدُها وَرْدُ شارقٍ مهضُوبِ
أَنْهِلَتْ صِـبْغَ نفسِها ثم عُلَّتْ * من دماء القَتْــلى بغير ذُنُوب
جرحتْه العيـونُ فاقتَصَّ منها * بجَوًى فى القلوب دامِى النُّدوب

وقال أيضـا :

ياوجنتَيْـهِ اللتينِ من بَهَجٍ * فى صُدْغَيْه اللذين من دَعَجِ
ما حُمْـرةٌ فيكما أمن خَجَـلٍ * أم صِبْغَةُ الله أم دَمُ المُهَجِ

وقال أبو الفتح البستىّ :

ومُهفْهَفٍ غَنِجِ الشمائلِ أَزْعَجتْ * قلبى محاسن وجهــه إزعاجَا
دَرَتِ الطبيعةُ أن فاحِمَ شَـعْرِه * ليــلٌ فأَذْكتْ وجنتَيْه سراجا

وقال عبد الله بن المعتز :

يامَنْ يجـودُ بموعِدٍ من لحظه * ويصُدّ حينَ أقولُ أينَ المَوْعِدُ
ويظَلُّ صَـبَّاغُ الحياء بخـدِّه * تَعبًـا يُعَصْــفِر تارة ويُوَرِّدُ

وقال الراضى بالله :

يَصْفَرُّ وجهى إذا تأمّلَنِى * خوفًا ويحمرُّ خدُّه خَجَلا
حتَّى كأنَّ الذى بوَجْنته * من ماء وجْهِى إليه قد نُقِلا

وقال الخبْزأَرُزِّى :

صِلْ بخدَّى خَدَّيْكَ تلْقَ عجيبًا * من معانٍ يَحارُ فيها الضميرْ
فبِخَدَّيْكَ للرَّبيع رياضٌ * وبخدَّىَّ للدُّموع غَدِيرُ

وقال أيضا :

أظْهَرَ الكِبْرياءَ من فَرْط زَهْوٍ * فتلقَّيْتُهُ بذُلِّ الخُضوعِ
وحَبانِى ربيعُ خدّيْه بالوَرْ * دِ فأمطَرْته سَحابَ الدُّموعِ

وقال الصنوبرىّ :

رَقَّ فلو كلَّفَتْه أعيُنُنا * أن يرشَحَ الخمرَ خدُّه رَشَحا

وقال المفجّع :

ظَبْىٌ إذا عقْربَ أصداغه * رأيتَ ما لا يُحْسِن العقْربُ
تُفَّاح خدّيْهِ له نَضْرةٌ * كأنّه من دَمْعتِي يَشْرَبُ

وقال آخر :

ومُبِيحُ أسرارِ القُلو * ب بوجنتَيْه وحاجِبَيْهْ
جمَع الإلهُ له المحا * سنَ ثم أفْرَغَها عليهِ
وكأنَّ مِرْآتين عُلِّقتا بصَفْحة عارضَيْهْ
وكأنَّ وَرْدَ الجُلَّنار مُضَعَّف فى وجنتَيْهْ

وقال علىّ بن عطيّة البلنسىّ فى غلام جُرِح خدّه :

وأحْوَى رَمَى عن قِسِىّ الحَوَرْ * ســـهامًا يُفوِّقُهنّ النظَـــرْ
يقولون وجنته قُسِّـــمَتْ * ورسمُ محاســنه قـــد دَثَرْ
وما شَـــقّ وجنتَــه عابثًا * ولكنّها آيةٌ للبَشَـــرْ
جَـــلَاها لنــا اللهُ كيما نَرى * بها كيفَ كان انْشقاقُ القمَرْ

* * *

ومما وصفت به على لفظ التأنيث ، فمن ذلك قول عبد الله بن المعتزّ :

نُجْلُ العُيون ســواحِرُ اللحَظاتِ * هيَّجْنَ منك سواكنَ الحرَكاتِ
أقبلْنَ يرمينَ الجِمــار تنسُّكًا * فجعلْن قلْبَك موضِــعَ الجمَراتِ
فكأنهنّ غُصونُ بانٍ ناعم * يحمِلْنَ تُفّــاحا على الوجَناتِ

وقال ابن الرومىّ :

تَشْـــرَعُ الألحاظُ فى وجْنتِها * فتُـلاقى الرِّىّ من مَشْرَبِها
فَهْى حسْبُ العينِ من نُزْهتها * وهْى حَسْبُ الأُذْن من مَطْرَبِها

وقال ديك الجنّ :

بأبى الثـــلاثُ الآنسا * تُ الرائقَات الغانِيَاتْ
أقبلْن والأصـــداغ فى * وجَنَــاتهنَّ مُعقْــرَبَاتْ
ألفــاظُهنَّ مــؤنّثا * تٌ والجُفُون مُذَكَّرات
حـــتّى إذا عاينتهنّ * وللأُمُور مســـبَّبَاتْ
جَمَّشتَهنَّ وقلتَ طيــــبُ عِناقكُنَّ هو الحيَــاةْ
فخجلْنَ حتّى خلتُ أنّ * خدودَهنَّ معصْفَرات

⁂

(٢٦) ومما وصفت به الخِيلان، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير .

قال بعض الشعراء :

فى الساعدِ الأيمنِ خالٌ له * مثلُ السُّويْداءِ على القَلْبِ
كأنه من سَبَجٍ فاحِم * مُرَكَّبٌ من لُؤْلؤٍ رَطْب

وقال ٱبن منير الطرابلسى :

لاحَ لنا عاطِلًا فَصِيغ له * مَناطِقٌ من مَراشِقِ المُقَلِ
حياةُ رُوحِى وفى لواحِظِه * حَتْفِى بين النَّشاطِ والكَسَلِ
ما خالُهُ مِنْ فَتيتِ عَنْبرِ صُدْ * غَيْهِ ولا قَطْرِ صبغْة الكَحلِ
لكنْ سُوَيداءُ قلْبِ عاشقِهِ * طفَتْ على نار وَرْدَةِ الخجَلِ

وقال أيضا :

أنْكرتْ مُقْلَتُه سَفْكَ دمِى * وعلى وجْنَتِه فاعترفَتْ
لا تخالُوا خالَهُ فى خدِّه * قَطرةً من صِبْغ جَفْنٍ نطَفَتْ
تلكَ من نارِ فُؤادى جَذْوةٌ * فيه ساخَتْ وٱنطفَتْ ثم طفَتْ

وقال آخر :

لا تَخالُ الخالَ يعلُو خدَّهُ * نَقْطَ مِسْك ذابَ من طُرَّتِه
ذاك قلبِى سُلِبتْ حبّتُهُ * فاستَوتْ خالًا على وَجْنتِه

وقال ٱبن منير :

كأنَّ خدّيْهِ ديناران قد وُزِنا * وحَرّرَ الصَّيْرَفِىُّ الوزْنَ وٱحتاطا
نخفَّ إحداهما عن وَزْنِ صاحبِه * فحَطَّ فوقَ الذى قد خَفَّ قيراطا

وقال آخر :

أضحى ليوسُفَ فى الجمالِ خَليفةٌ * يخشاهُ كُلُّ العالمينَ اذا بَدَا
عَرِّجْ معِى وآنظر اليه لِكَىْ ترى * فى خدّه عَلَمَ الخِلافةِ أسـودَا

وقال آخر :

كم قلتُ للنفْس اليه آذهَبِى * فحُبُّـه المشهورُ من مَذْهَبِى
مُهفهفُ القَـدِّ له شـامَةٌ * من عَنْبرٍ فى خدّه المُذْهَبِ
آيَسني التـوبةَ من حُبِّـه * طلوعُه شمسًا من المَغْـربِ

وقال آخر :

ومُهفْهَفٍ من شَعْره وجبينِه * يغدُو الوَرَى فى ظُلمةٍ وضِياءِ
لا تنكروا الخالَ الذى فى خَدِّه * كلُّ الشـقيق بنُقْطةٍ سوداءِ

وقال آخر :

لَهيبُ الخدّ حينَ رأتْه عينى * هوى قلبى عليـه كالفَرَاشِ
فأحرقَهُ فصار عليـه خالًا * وها أثرُ الدُّخان على الحَواشِى

وقال آخر :

بَدَا على خـــدّهِ خالٌ يزيِّنُـه * فزادنِى شـغَفًا منه الى شَـغَفِى
كأنَّ حبَّـةَ قلبى عنـد رُؤيته * طارتْ فقلتُ لها فى الخدِّ منه قِفى

وقال آخر :

خِيـلانُ خدِّك ردّتْ * صحيـحَ قلـبى مَرِيضَا
فى العين سُودٌ ولكنْ * مازِلْنَ فى القَلْب بِيضَا

وقال آخر :

خدُّك مِرآةُ كلِّ حُســـنٍ * يحسُنُ من حسنها الصِّفاتُ
مالى أرى فوقَـــهُ نُجـومًا * قد كُسـفَتْ وهى نَـيِّراتُ

وقال آخر :

حجّتْ الى وجْهك أبصارُنا * طائفــةً يا كعبةَ الحسْن
تمسحُ خالًا منك فى وجْنةٍ * كالحجَـر الأسود فى الركْن

وقال الأسعد بن بليطة :

سكرانُ لا أدْرى وقد وافى بنا * أمِن المَلاَحةِ أم من الجِــرْيالِ
تتنفَّسُ الصَّهباء فى لَهَــواتِه * كتنفُّس الرَّيْحـان فى الآصالِ
وكأنمـا الخِيــلانُ فى وجَنَاتِه * ساعاتُ هَجْرٍ فى لَيَـال وصالِ

*
* *

ومما وصفت به على لفظ التأنيث، فمن ذلك قول أبى الفتح كُشاجم :

فَدَيْتُ زائرةً فى العِيد واصلةً * لمستهامٍ بها للوصـل منْتظِر
فلم يزلْ خـدُّها رُكْنًا ألُوذُ به * والخالُ فى صَحْنه يغْنِى عن الحَجَرِ

وقال العباس بن الأحنف :

ومحجوبةٍ فى الخِدْر عن كلِّ ناظِرٍ * ولو برزَتْ ما ضلَّ بالليل مَنْ يَسْرِى
بخـالٍ بذاك الخـدّ أحسنَ مَنْظَرا * من النُّقطة السَّوْداء فى وَضَح البَــدْر

*
* *

ومما قيل فى العِذار، فمن ذلك ما ورد فيه على سبيل المدح .

قال مانى المُوَسوس عفا الله عنه ورحمه :

وما غاضتْ محاسنُه ولٰكنْ * بماء الحُسْن أورَقَ عارضاهُ (٣٧)
سمعتَ به فَهِمتَ اليه شوْقًا * فكيْفَ لك التصبُّرُ لو تراهُ

وقال أبو فِراس :

مِن أينَ للرشإ الغَريرِ الأحْوَرِ * فى الخدّ مثلُ عِذاره المتحدِّرِ
يا مَنْ يلومُ على هواه سَفاهةً * أُنْظُر الى تلك السوالف تَعْذُرِ
قمـرٌ كأنَّ بعارضَـيهِ كِلَيْهما * مِسكٌ تساقَط فوق وَرْدٍ أحمرِ

وقال ٱبن المعذَّل :

سالتْ مسايِلُ عارضَيـ * ـه بنَفْسجا فى وَرْدِهِ
فكأنَّهُ من حُسْـنِهِ * عَبَثَ الربيعُ بخـدِّهِ

وقال الخبّاز البلدى :

وعارِض مثل دارة البَدْرِ * دارَ بوجهٍ كليـلةِ القَـدْر
فلَوْ تراهُ وحسنَ منظَـرِهِ * شهدْتَ أن الجمال للشَّعْر

وقال ٱبن المعتزّ :

وتكادُ الشمسُ تُشْبِهُهُ * ويكادُ البـدرُ يَحْكِيه
كيف لا يخضَرُّ عارضُه * ومياه الحُسْن تسقيه

وقال محمد بن وهب :

صُدُودُكَ فى الورى هتَكَ ٱستتارى * وسـاعده البـكاءُ على اشـتهارى
ولم أخْلَعْ عِـذارى فيـك إلّا * لِمَـا عاينتُ من حُسْن العِذارِ
وكم أبصرتُ من حُسنٍ ولٰكنْ * عليـك من الورى وقَعَ ٱختيـارى

وقال أبو الفرج الوأواء :

وشمسٌ[(١)] بأعلاه وليْـلانِ أُسْـبِلا * بخـدَّيْه إلا أنَّهـا ليس تَغْـرُبُ
ولَمَّـا حوى نصفَ الدّجى نصفُ خدّه * تحـيَّر حتّى مادرى أين يَذْهَبُ

(١) فى الأصل : "ليل" . والتصويب عن اليتيمة .

وقال الخُبْزَأُرُزّى :

أُنظر الى الغُنْج يجرى فى لَواحِظِهِ * وآنظرْ الى دَعَجٍ فى طَرْفه الساجى
وآنظُر الى شَعَراتٍ فوق عارِضِهِ * كأنهنَّ نِمالٌ سِرْنَ فى العاج

وقال أيضا :

وجهٌ تكاملَ حُسْنُه * لما تَطَرَّفه عِذارُه
والسيفُ أحسنُ ما تَرى * ما كان مُخْضَراً غِرارُهْ

وقال الأمير سيف الدين المشدّ :

ولائم فى عِذار بَدْرٍ * لم أستطِعْ عن هواه مَيْلا
فقلتُ والدمعُ فى جُفونِى * لفرطِ وجدى تسيل سَيْلا
ضَلَلْتُ فى خَدّه نهارا * كيفَ رشادى وصار ليلا

وقال أيضا :

ولَمَّا أن بدا فى الخدّ شَعْرٌ * توقَّف عند منتصَفِ العِذارِ
فقلتُ للائمى فيه تعجَّبْ * لنصف الليل فى نِصْفِ النهار

وقال أيضا :

ومُهفهفٍ يَحْمِى وُرُودَ رُضابِه * بصوارِمٍ سُلَّتْ من الأجفانِ
كتب العِذارُ بليقةٍ مِسْكيَّةٍ * فى خدّه سَطْرا من الرَّيحان

وقال أيضا :

يقولُ العَواذلُ لَمَّا بدا * على خدّه شَعَرٌ زائرُ
ذَوَى وَرْدُ خدّيه قلت آقْصروا * فنرجِسُ ألحاظِه وافِرُ

وقال آخر :

وقالوا تسـلَّى فقـد شانَهُ ٭ عذارٌ أراحك من صَـدِّه

فقلت وهِمْــتم ولَكنَّنى ٭ خلَعْتُ العِـذارَ على خدّهِ

وقال آخر :

بروحِى وقلبِى ذلك العارضُ الذى ٭ غدا مسْكُه فوق السَّوالف سائلا

درَى خدُّه أنِّى أُجَنُّ من الهوَى ٭ فأظهرلى قبل الجُنون سَلَاســلا

وقال آخر :

أصبحتُ مأسورًا بغُنْج لِحاظه ٭ ومقيَّدا من صُدْغه بسـلَاسِل

حتَّى بدا سـيفُ العذار مجرَّدا ٭ نخشيتُ منه فقلتُ هذا قاتِلى

وقال آخر :

قالت ٱسودَّ عارضاكَ بشَـعْرٍ ٭ و به تقْبُح الوجـوهُ الحِسانُ

قلتُ أشعَلْتِ فى فؤادىَ نارًا ٭ فعــلى عارضَىَّ منــه دُخَانُ

وقال آخر :

قلتُ وقــد أبصرتُه مُقْبِـلًا ٭ وقد بدا الشَّـعْرعلى الخـدِّ

(٢٨) صُعودُ ذا النمــلِ على خدّه ٭ يشهد أن الرِّيق من شَهْـدِ

ومثله قول الآخر :

قالوا ٱلْتَحى فاصبُ الى غيره ٭ قلتُ لهـم لستُ اذًا أسْـلُو

لو لم يكُنْ من عســلٍ رِيقُه ٭ ما دَبَّ فى عارضـه النمْــلُ

وقال آخر :

عِذارُه أحسنُ ما فيــه ٭ وتيهُهُ من أحسنِ التِّيــهِ

فى فِمه الشَّهْد فلا تعْجَبُوا ٭ إن دَبَّ نملٌ بعـذاريهِ

وقال آخر :

أصْلَى بنار الخَدِّ عَنْبر خاله * فغدا العذارُ دُخانَ ذاك العنبرِ

وقال آخر — وقد تقدّم إيراده فى صفاء الخدّ — :

أعِدْ نظرًا فما فى الخدّ نبْتٌ * حماه اللهُ من رَيْب المَنُونِ
ولكن رقّ ماءُ الوجه حتّى * أراكَ مثالَ أهدابِ الجُفُون

ومثله قول الآخر — وقد تقدّم إيراده — :

ولَمَّا ٱستدارَتْ أعينُ الناس حولَهُ * تلاحظه كيف ٱستقلَّ وسارا
تمثّلت الأهدابُ فى ماءِ وجهِه * فظنُّوا خيالَ الشَّعْر فيه عِذارا

وقال الحاجرىّ :

وما ٱخضرَّ ذاكَ الخدُّ نَبْتاً وإنما * لكثرة ما شُقَّت عليه المَرائرُ

وقال آخر :

يالائمِى فى حُبِّ ذى عارضٍ * ما البَلَدُ المُخْصِبُ كالماحِلِ
يَموجُ ماء الحسنِ فى وجههِ * فيَقْذِفُ العنْبَر فى الساحل

وقال آخر :

ولَمَّا بَدَا خطُّ العِذار بوجهِه * كظُلْمة ليل فى ضِياء نهار
تغَلْغَل فى قلبى هواه فلم أَزَلْ * خليعَ عِذار فى جَديدِ عِذار

وقال آخر :

قالوا ٱلتَحى فامتحَتْ بالشَّعر بهجَتُه * فقلت لولا الدُّجَى لم يحسُنِ القمرُ
مَن كان منتظِرا للصبر عنه به * فإنّنى لغَرَامِى كنتُ أنتَظِرُ
خَطَّتْ يدُ الحسنِ منه فوق وجنَتِه * هذى محاسنُ يأهلَ الهوى أُخَرُ

وقال آخر :

وقلتُ الشَّـعْر يُسْليني هـواه * ولم أعـلم بأنَّ الشَّـعْر حَيْني
فَظَلْتُ لِشقْوتى أفْدِى وأحمِى * سَــوادَ عِذاره بسَـوادِ عينى

وقال محمد بن عبد الله السلامى، شاعر اليتيمة :

عذارُكَ جادتْ عليـه الرِّيا * ض بأجفانهـا وبآماقهـا
وطال غرامُ الغَـوانِى به * فقـــد طَرَّزَتْهُ بأحداقهـا

وقال ابن سُكَّرَةَ الهاشمىّ :

وغزالٍ لولا نميـــمةُ شَـــعْر * ذكَّرتْه لقلتُ إحدى الجَوارى
شاربٌ أشْرَب الصَّـبابةَ قلبى * وعذارٌ خلعْتُ فيـــه عِذارى

وقال آخر :

قالوا ٱلتحى وستَسْلُو عنــه قلتُ لهم * هل يحسُن الروضُ مالم يطْلُع الزَّهَرُ
هَـلِ ٱلتحى طَرْفُهُ الساجى فأهْجُرَه * وهــل تزحْزَح عن ألحاظه الحَوَرُ

وقال أبو الفتح كُشاجم :

مَنْ عَذِيرِى من عذارَىْ قمرٍ * عرَض القلْبَ لأسبابِ التلَفْ
زِيدَ حُسْـنًا وضياءً بهـــما * فَهُو الآنَ كبدرٍ فى سَـدَفْ
خمَّشَا خـــدَّيْه ثم ٱنعطَفَا * آه ما أحسنَ ذاك المنعطَفْ
عَلِمَ الشَّـعْرُ الذى عاجَـلَهُ * أنه جارَ عليـــه فَـــوقَفْ
فهـــو فى وقْفته معـتَرِفٌ * بالتناهِى فى التعدِّى والسَّرَفْ

وقال آخر :

لا تعتقِدُوا ما لاح فى وجْنتِهِ * شَـعْرا غَلَطًا ما ذاك من شيمتِهِ
بل ساكنُ ماءِ الحسن قد حرَّكه * مَوْجٌ قذف العنبرَ فى حافتِــه

وقال عبد الله بن سارة الإشبيليّ :

ومُعــذَّرٍ رقَّت حواشى حُسنِهِ * فقــلوبُنا حَذَرًا عليــه رِقاقُ (٢٩)
لم يُكسَ عارضُه السوادَ وإنمـا * نفضَتْ عليه صِباغَها الأحداقُ

وقال أبو بكر الدانىّ، شاعر الذخيرة :

بدا على خدّه عِــذارٌ * فى مثله يُعذَر الكئيبُ
وليس ذاك العذارُ شَعْرًا * لكنّما سِــرُّه غَريبُ
لَمَّا أراق الدّماء ظُلْمـا * بدتْ على خدّه الذّنوبُ

وقال عبد الجليل الأندلسىّ :

ومُعذَّرِين كأنمـا بخُدودهمْ * طُرُقُ العيون ومَنْهَجُ الأوداجِ
وكأنما صَقَلوا الجَمالَ فأظهرُوا * مَشْىَ النِّمال على مُتُون العاجِ

* *
*

ومما وصف به العِذار على طريق الذم، فمن ذلك ما قاله الوزير أبو المغيرة ابن حَزْم، عند ما عُرِضت عليــه رسالة بديع الزمان فى الغلام الذى خطب اليه وُدّه بعد أن عَذَّر، قال :

«ورد كتابك يَنْشُد ضالّة وُدّنا، ويَرْقَع خَلَق عهدنا، ويطلب ما أفاته جريرتك إلينا، وذهبتْ به جنايتُك علينا، أيامَ غصنُك ناضر، وبدرُك زاهر، لا نجد رسولا إليك، غير لحظة تَخْرِق حجاب الدموع، أو زفرةٍ تُقيم مُنْآدَ الضُّلوع، فإن رُمْنا شكوى يَنْفُث بها مَصْدُورنا، ويستريح إليها مَهْجورنا، لقينا دُونَها أمنع سدّ، وأقبح كفٍّ وصدّ، وأفدح ردّ(١)» .

(١) فى الأصل : «وأقدح» القاف وهو خطأ . والصواب ما أثبتناه لأنه من فدح الأمر (بالفاء) : بهظ وصعب وكان ثقيلا لا يحتمل .

وفى فصل منها :

«حتَّى اذا طَفِئتْ تلك النِّيران ، وٱنتصف لنـا منك الزمان ؛ بشَعَراتٍ أغشَتْ هلالَك كُسوفا ، وقلبَتْ ديباجكَ صُوفا ، وأعادت نهارَك ليـلا ، وناحتْ عليك تلَهُّفا ووَيْلا ، وأطار حَمامَك غُرابُك ، وحجب ضياءَك ضَـبابُك ، فصار عُرسك مأْتَمـا ، وعاد وصلُك محرّما ، قال القائل :

وبتَّ مُـداما تُسِـرُّ النزيف * فأصـبحتَ تُجْـرَع خَلًّا ثَقِيفا

وصرتَ مِجَـازًا جديبَ المَحَلِّ * وقد كنتَ للطالب الخِصْبَ رِيفا

أقبلْتَ تَتَسَلَّل إلينا لِوَاذا ، وتطلُب منا عِيَاذا ، قد أنساك ذُلُّ العزل عِزَّ الوِلاية ، وأولاك طمَعا نِسيانُنا تلك الجناية ؛ أيَّامَ ترشُقنا سهامُ ألحاظك رَشْقا ، وتقتُلنا سيوفُ ألفاظك عِشْقا ، وتَمِيس غصنا ، فنثير حُزْنا ، وتطلُع شمسا ، فتُفَتِّت نفسا .

فالآن نلقاك بدمع قد جَفّ ، ووجْد قد كَفّ ، وعَزاء قد أبَّد ، وصبر قد أغار وأنجد ؛ وننظر منك الى روض قد صَوّح ، وسارٍ قد أصـبح ، وأعجَم قد أفصَـح ، ومُبْهَم قد صرح . فلا شكَّ قد رُفع الغطاء ، ولا إفكَ قد بَرِح الخَفاء ، ولا لومَ قد وقع الجزاء . وهلّا ذكرت المَثَل الممتَهَن "الصَّيْفَ ضَيَّعتِ اللبن !" ونسيتَ من أحرقتَ قلبه صـدّا ، وأقلقت جنبه رَدّا ، وملأتَ جوانحـه نارا ، وتركتَ نومه غِرارا ؛ أن يُوفيَك قَرْضا ، ويجازيَك حتَّى ترضى ؛ حين نُكِّس علَمُك ، وعثَرت قدمُك ، وضاقت طُرُقك ، وأظلم أُفُقك ، وهوى نجمُك ، وخاب قِدْحُك ، وفُلَّ سيفُك ، وحُطِّم(١) رُمْحُك ، فاطْوِ ثوبَ وصلك فلا حاجة لنا إلى لباسه ، وٱزْوِ طارقَ شخصِك فلا رغبةَ لنا فى إيناسه ، فما يشتهى اليومَ زيارةَ رمْس ، مَنْ زَهِد فيه أمس ، قال :

حانتْ منيته فاسودَّ عارضُهُ * كما تُسَوَّدُ بعد الميّت الدارُ

(١) فى الأصل : « حطط » وهو خطأ .

يامن نَعَتْهُ إلى الإخوان لحيتُه * أدبرتَ والناسُ إقبالٌ وإدبارُ
فيالَدهرٍ مضى ما كان أحسنَهُ * إذ أنت ممتنِعٌ والشَّرْطُ دينار
أيَّامَ وجهُك مصقولٌ عوارضه * وللرياض على خدّيْكَ أنوار »

وقال عليّ بن نصر الكاتب تعزيةً لمن طلعت لحيته :

«لكل حادثة يفجع بها الدهر — أحسن الله معونتك — حدّ من القلق والالتياع ومَبْلغ من التحرّق والارتياع، تستوجب فنًّا من التعزية، وتستحق نصيبا من العظة والتسلية؛ والاختصار فيها لما قرب خطبه وشانه، والإكثار لما جلّ محلّه ومكانه .

ومُصابُك هذا — أعانك الله — في بياض عارضك لما ٱسودّ، كمُصابك في سواده إذا ٱبيضّ؛ والألم ببياض رَوْضه جميا، نظير الألَم به يوم يعود هشيما .

فليس أحد يدفع عظيمَ النازل بك، ولا يستصغر جسيمَ الطارق لك؛ وإن كان ما يتعقبه من المشيب أقذى للعيون .

التفتتْ عنك النواظر، وكانت ملتفتة إليك، ووقفت عنك الخواطر، وكانت (٣٠) موقوفة عليك؛ وصيَّرك قَذى الأجفان وكنت جِلاها، وجعلَكَ كُرْبة النفوس وكنت هواها؛ وأبدلك من أنس التقبل، وحشة التنقل؛ وعوّضك من رقة الترفرف، كلفة التأفُّف، فتبارك الذى صرف عنك الأبصار، ونقَّل فيك الأطوار! ... ...

... ...

فعويلًا دائما وبكاء! وعزاء عن الذكر الجميل عزاء! فلكل أجل كتاب، وعلى كل جائحة ثواب .

ولقد ٱستوفيتَ أمد الصبا والصبابة، وٱستنبْت الحسرة عليها والكآبة. فرزيَّتُك راسية والرزايا سوائر، ومصيبتُك ثابتة والمصائب عوائر . إنا لله وإنا إليه راجعون .

ثم لاحيلة ، فإنها الأيام التى لاتثبت على حالة ، ولاتعرف غيْرَ التنقل والاستحالة ! فآجرك الله فى وجه نَضَب ماؤه ، وذهب رُوَاؤه ومات حَياؤه ! وفى ضيعة آستأجم بُّرها ، وآستدغل نَوْرها ، وأسبع طريقُها ، وآتسعت تَنُوفتُها ! وفى جاه كان عامرا نَخَرب ، ودَخْل كان وافرا فذهب ، وتَذْكار كان واصلا الى القلوب فَحُجِب ! فأصبحتَ مسبوق السكَّيت ، وظلِلْت حيا وأنت الميْت ، فلا حول ولا قوة إلا بالله من مِحَنٍ دُفعتَ إليها ، ولم تُعَنْ بحال عليها .

وقد يشغل الإنسانَ عن نوائبه المشاركون فيها ، ويسلِّيه عنها المساهمون فى مَعْنَى معانيها ، وأنت من بين هـذه المنزلة لا شريك لك ، فإنهم يعتاضون عنها ولست بمعتاض ، و يركُضون للعيش ولست بركَّاض . والدهر يطوِى محاسنَكَ طَىَّ السجلّ كتابه ، و ينشر مَقابِحكَ نشر اليمـانى أثوابه . ويَمَلُّ الطرف رؤيتك فلا يفُيق عليك جفنا ، و يمجّ السمعُ ذكَرك فلا يجد عنده أذنا» .

ومنهـا :

«وقد جعلتُ رُقعتى هذه جامعةً بين البكاء عليك والأنين ، وناظمةً بين العزاء والتأبين ، لها حلاوةُ النثر ، وعليها طَلاوة الشعر ، نَحتْها قريحةٌ عليك ، ونسجتها خواطر خاطرت اليك ، تخفِّف غرامك والناس مشاغيلُ بتثقيله ، وتكرم مكانك والإجماع واقع على تهوينه ، فإن عرفت لى ذاك و إلا عرفه الصِّدق ، وإن شكرته و إلا شكره الحق .

والسلام عليك من أسير لا يخلص بالفدية ، وقتيل بسيف السِّبال واللحية » .

وقال الصنو برىّ :

ما بَدتْ شَـعْرةٌ بخَــدِّك إلّا * قلتُ فى ناظـرَىَّ أو فى فُؤادى

أنت بدرٌ جَنَى الخسوفُ عليه * ظلمةً لا أرى لها من نَفَاد
فاسوداد العِذارِ بعدَ ٱبيضاضٍ * كٱبيضاضِ العِذار بعد ٱسوداد

وقال آخر :

أصْبحَ نَحْسًا وكان سَعْدا * مَنْ كان مَوْلًى فصار عَبْدا
بكى على حُسْنِه زمانا * لما رأى الشَّعْرَ قد تَبَدَّى
لو نَبت الشَّعْرُ فى وِصالٍ اعادَ ذاكَ الوِصالُ صَدّا

وقال الخبزأرزى :

بَدا الشَّعْرُ فى وَجْهه فانتقَمْ * لعاشِقه منه لَمَّا ظَلَمْ
وما سلَّط اللهُ نَبْتَ اللّحى * على المُرْدِ إلَّا زَوالَ النِّعَمْ
تَوَحَّشتِ العينُ فى وجْهه * وحَقَّ لها وحشَةٌ فى الظُّلَمَ
إذا اسْودّ فاضلُ قِرْطاسه * فما ظَنُّه بمَجَارِى القَلَم
ولم يَعْلُ فى خَدّه كالدُّخا * ن إلّا وأسْفَلُه كالحُمَمْ

وقال التَّنُوخىّ :

قلْتُ لأصحابِى وقد مَرّ بِى * مُنْتقِبًا بعدَ الضِّيَا بالظُّلَمَ
بالله يأهْلَ وِدادِى قِفُوا * كَىْ تُبْصِرُوا كيْفَ زَوالُ النِّعَمِ

وقال إبراهيم بن خَفاجة الأندلسىّ فى ملتحٍ :

ما للعِذارِ وكانَ وَجْهُكَ قِبلةً * قد خَطَّ فيه من الدُّجَى مِحْرابا
و إذا الشَّبابُ وكان ليس بخاشِع * قد خَرّ فيه رَاكعا وأنَابَا

وقال أيضا :

وافى بأوّله صحيفةُ صَفْحةٍ جعل العِذارُ بها يَسيل مِدادَا
متَجَهِّما تُكْلَ الشَّبابِ كأنما * لَبِس العِذارَ على الشَّباب حِدَادا

وقال عمر المُطَّوِعىّ، من شعراء اليتيمة :

غَدَا منْـذُ ٱلْتحى لَيْــلًا بهِيما * وكان كأنَّه القَمَـــرُ المُنِـــيرُ
فقـــد كَتَبَ السَّوادُ بعارِضَيْهِ * لمن يقرا : "وجاءَكُمُ النَّذِير"

وقال عبد الجليل الأندلسىّ، من شعراء الذخيرة :

وأمْرَدَ يَسْــتِهِيمُ بكل وادٍ * ويَنْصِب للحَشَا خدّا صَلِيبا ٣١
دعوتُ دُعاءَ مظلومٍ عليــه * وكان الله مستَمِعًا مُجِيبا
فَطَـوّقه الزمانُ بمـا جَنَاه * وعلّق من عِـذَاريْه الذُّنُوبَا

*
* *

ومـمـا قيل فى العُنُق، يقـال :

الجَيَـد : طولهـا . التَّلَع : إشرافها . الهَنَع : تطامُنُهـا . الغَلَب : غِلَظُها . البَتَع : شِـدّتُها . الصَّعَر : ميلُها . الوَقَص : قِصَرها . الخَضَـع : خُضُوعها . الحَدَل : عوجها .

وقال دِعْبِل :

أتاحَ لكَ الهوى بيضٌ حِسَانٌ * سَـــلَبْنَكَ بالعُيونِ و بالنُّحُـورِ
نَظَرْتَ إلى النُّحورفكِدْتَ تَقْضِى * فأوْلى لو نظَرتَ إلى الخُصُور

وقال قيس بن الخطيم :

وجِيدٍ كجِيد الرِّيم صافٍ يَزِينُه * توقُّدُ ياقوتٍ وفَصْـلُ زَبَرْجَد
كأنَّ الثرَيَّا فوقَ ثُغْـرة نَحْرِها * تَوَقّدُ فى الظَّلْمـاءِ أىَّ توقُّـــدِ

*
* *

ومما قيل فى اليد إذا باشرَتْ ما يَعْلَق بها، يقال :

من اللحم غَمِرة، ومن الشحم زَهِمة، ومن السَّمْن نَسِمة، ومن الزُّبْد وَضِرَة، ومن الجُبن نَشِمة، ومن اللبن مَذِقة، ومن البَيْض زَهِكة، ومن السمك صَمِرة، ومن الزيت قَنِمة، ومن الخمر عَتِكة، ومن الخل خَمِطة، ومن العسل ونحوه لَزِجة، ومن الطِّيب عَطِرة، ومن الغالية عَبِقة، ومن الزعفران رَدِعة، ومن العنبر لَطِخة، ومن الخَلُوق ضَمِخة، ومن الحنَّاء قَنِئة، ومن الدم ضَرِجة، ومن الماء بَلِلَة، ومن الطين لَثِقة ورَدِغة، ومن البرد صَرِدة، ومن التراب كَثِبة وغَضِرة، ومن القار حَالِكة، ومن الفحم حَمِمة، ومن المداد طَرِسة، ومن الحديد سَهِكة، ومن الفضة سَبِكة، ومن الذهب نَضِرة، ومن النار شَعِلة، ومن الرياحين فَوِحة، ومن البقل زَهِرة، ومن الفاكهة الرطبة لَزِقة، ومن اليابسة فَكِهة، ومن العمل مَجِلة ونَفِطة، ومن الخُشُونة شَثِنة وثَفِنة، ومن الشوك مَشِطة وشَظِية، ومن الحطب حَزِمة، ومن الرمح كَعِبة، ومن الصوبجان لَعِبة، ومن الجود سَبِطة، ومن العطية مَنِحة، ومن البخل جَعِدة، ومن المنع لَحِزة، ومن العدم تَرِبة، ومن الرزّ زَنِخة، ومن الصابون حَفِرة، ومن الفرصاد قانِية، ومن الرجيع قَتِمة، ومن كل القاذورات قَذِرة، ومن الوسخ دَرِنة .

*
* *

ومما مُدِحت به اليدُ، قال مؤيد الدين الطُّغْرائى :

ويدٍ تُمــدُّ المــآلَ راحتُها * أبدًا ويغْمُر ظهْرَها القُبَــلُ
إن ضَنَّ غيثٌ أو خَبَا قمرٌ * فجَبِينُه ويمينُه البَــدَلُ

وقال عبد المؤمن بن هبة الله الأصبهانىّ :

قالوا بَدَتْ عارضـــةٌ لابدَتْ * فى كفِّ ذاكَ السيِّد الأوحدِ
راحتُه راحةُ من يَجْتَـــدِى * وكَفُّه كفُّ الذى يَعتـــدِى
فـــلا أصابتْ يدَه آفـــةٌ * فكم يَدٍ عنْدى لتلك اليَـــدِ

وقال آبن دُرَيد :

يا مَنْ يقَبِّلُ كفَّ كُلِّ مُمَخْرِقٍ * هذا آبن يحيى ليس بالمِخْراقِ
قَبِّـــلْ أناملَهُ فلسْنَ أنامِلًا * لكنهنّ مَفَـاتحُ الارْزاق

وقال إبراهيم بن العباس بن محمد :

لفضـــلِ بنِ سَهْلٍ يدٌ * تقاصَرَ عنها المَثَـــلْ
فباطنُهـا للنَّـــدَى * وظاهِـــرُها للقُبَـــلْ
وبَسْـطتُها للغـــنَى * وسَـطْوتُها للأَجَلْ

وقال ابن الرومىّ :

فامْدُدْ إلىّ يدا تَعوّدَ بطْنُها * بذلَ النَّوالِ وظَهْرُها التقبيلَا

وقال أبو نُوَاس :

يا قَمَـــرًا أبـــرزَهُ مأتَمٌ * يَنْـدُبُ شَجْوا بين أتْراب
يَبْكى فيُذْرِى الدُّرَّ من نَرْجِس * ويَلْطِـــم الوَرْدَ بعُنَّاب

وقال الناشى :

مِنْ كَفِّ جاريةٍ كأنَّ بَنانَها * من فِضَّـــةٍ قد طُرِّفت عُنَّابا
وكأنّ يُمْناها إذا نَطَقَتْ بها * تُلْقِى على يدها الشِّمالِ حِسَابَا

وقال الراضى بالله :

قالوا الرَّحِيلَ فأنْشبت أظفارَها * فى خَدِّها وقـد ٱعتلَقْنَ خِضَابا
فاخضَرَّ تحتَ بَنَانِهـا فكأنَّهـا * غرِسَتْ بأرضٍ بنَفْسَجٍ عُنَّابا

وقال ٱبن كيغلغ :

لَمَّا ٱعتَنقْنا للوَدَاعِ وأعربَتْ * عَبَراتُنـا عنَّا بدَمْـعٍ ناطقِ (٣٢)
فرَّقْن بينَ معَاجِرٍ ومحاجرٍ * وجمعْنَ بينَ بنَفْسَجٍ وشَقائِقِ

وقال كُشاجِمُ :

فمـا أنْسَها لا أنْسَ منها إشارةً * بسَـبَّابةِ اليُمـنى إلى خاتمَ الفَمِ
وأعلنتُ بالشكوى إليها فأومَأَتْ * حِـــذارًا من الواشينَ ألا تَكَلَّمِ
فلم أرَ شَكْلا واقعًا فوقَ شَكْلِه * كَعُنَّابةٍ تُومِى بها فوق عَنْـدمِ

✦ ✦ ✦

ومما قيل فى النهود، يُقال :

ثُنْدُوة الرّجُل، ثَدْى المرأةِ، خِلْف الناقةِ، ضَرْع الشاة والبقرة، طُبْىُ الكَلْبة .

قال ٱبن الرومىّ :

صُدورٌ فوقَهُنَّ حِقَاقُ عاجٍ * وحَلْىٌ زانَهُ حُسْنُ ٱتِّسـاقِ
يقولُ الناظِرُونَ إذا رأَوْها * أهٰذا الحَلْىُ من هٰذِى الحِقَاقِ
وما تِلْكَ الحِقَاقُ سوَى ثُدِىٍّ * قُدِدْنَ من الحِقَاقِ على وِفَاقِ
نَواهِدُ لا يُعــدُّ لهَنَّ عيْبٌ * سِوى مَنْعِ المُحِبِّ من العِنَاقِ

وهو مأخوذ من قول بعض الأعراب :

أبَتِ الرَّوادِفُ والثُّدِىُّ لقُمْصِها * مَسَّ البُطونِ وأن تَمَسَّ ظُهُورا

وقال محمد بن مُنَاذِر :

ولهـا ثَدْيانِ ما عَــدَوا * من حِقَاقِ العاجِ أن كَعَبا
قُسِمتْ نِصفَيْنِ دِعْصَ نقًا * وقَضِيبًا لانَ فاضْـطَرَبَا

وقال عبد الله بن أبى السِّمْط بن مَرْوان :

كأنَّ الثُّـدِىّ إذا ما بَدَتْ * وَزانَ العُقُودُ بهنّ النُّحورا
حِقاقٌ من العاجِ مكنونَةٌ * يَسَعْنَ من الدُّرِّ شيئًا كثيرا

وقال علىّ بن الجهم :

كنتُ مُشْـــتاقًا وما يَحْجُزُنِى * عَنْكَ إلا حاجزٌ يمنعُـــنِى
شاخِصٌ فى الصدْر غضبانٌ على * قَبَبِ البَطْن وطَىِّ العُكَنِ
يمْـــلَأُ الكَفَّ ولا يَفْضُـــله * وإذا أثْنَيْتَـــه لا يَنْـــثَنِى

وقال ٱبن الرومىّ :

مُلْقِماتٌ أطفـالَهُنَّ ثُـدِيًّا * ناهِدَاتٍ كأحسَنِ الرُّمَّانِ
مُفْعَماتٌ كأنهـا حافلاتٌ * وهى صُفْرٌ من دِرَّة الألبانِ

وقال ٱبن المعتزّ :

قَبِيحٌ بمثلكِ أن تَهْجُـــرى * وأقبحُ من ذاكَ أن تُهْجَرِى
أقاتِلَتِى بفُـتُور الجُــفُون * ورُمَّانتيْنِ على مِنْـــبَرِ
كحُقَّيْنِ من لُبِّ كافورةٍ * برأسَيْهما نُقطتَـا عنـــبرِ

*
* *

ومـمـا قيل فى البطن، يقال :

الدَّحَل : عظَمُه . الحَبَن : خروجه . الثَّجَل : اِسترخاؤه . القَمَل : ضخَمُه . الضُّمُور : لَطَافته . العَجَر والبَجَر : شُخُوصه . التَّخَرْخُر : ٱضطرابه .

قال محمد بن مُنَاذِر :

والبَطنُ ذُو عُكْنةٍ لطيفٌ * صِفْرٌ وِشَاحاه جائلان
أشْرَفَ من فوقِهِ عليــــه * ثَدْيانِ ميْــلانِ ناهِــدانِ

... ...

⁂

ومما قيل فى الأرداف والخصور، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير.

فمنه قول عبد الله بن طاهر :

صبٌّ كئيبٌ يشتكِيكَ الهوى * كما ٱشتكى خَصْرُكَ من رِدْفكا
لسانُه عن وصْفِ أسـقامِه * أكَلُّ منه عن مَدى وصْفِكا

وقال ٱبن أبى البغل :

كأنَّه فى ٱعتـــداله غُصُن * وفى السَّراويل منه أمواجُ
إذا مشى كالقَضيب جاذَبهُ * رِدْفٌ له كالكَثِيب رَجْراجُ
ويعـــلَمُ الله أنَّنى رجُـــل * إليــه مذ قد كَبرتُ محتاجُ

وأنشد أبو بكر بن دُرَيْد عفا الله عنه ورحمه :

قد قلتُ لَمَّـا مَرّ يَخْطِرُ ماشِـيًا * والرِّدفُ يجْذِب خَصْرَه من خَلْفه ﴿٣٥﴾
يا مَنْ يُسَـلِّم خَصْره من رِدْفِه * سَـلِّمْ فُؤادَ محبِّه من طَرْفه

وقال السرىّ الرفَّاء :

ضَعُفتْ معاقِدُ خَصْره وعُهودُه * فكأَنَّ عَقْدَ الخَصْر عَقْدُ وفائه

وقال المتنبى :

وخَصْر تثبتُ الأبصارُ فيه * كأنَّ عليه من حَدَقٍ نِطاقَا

وقال السرىّ الرفّاء :

أحاطَتْ عيونُ الناظرينَ بخَصْره * فهُنّ له دونَ النِّطاق نطاقُ

وقال الأمير سيف الدين المشدّ :

وأَهْيف القدِّ بتُّ أشكُو * له تـــلَافِى وما تـلَافَى
فلانَ عِطْفا ودقَّ خَصْرا * وإنمـا رِدْفُـه تجـافَى

وقال أبو نُوَاس :

لَيِّنُ القَـدِّ لَذيذُ المُعْتَنَقْ * يُشْبِهُ البدرَ إذا البدرُ اتَّسَقْ
مثقلُ الرِّدفِ إذا وَلَّى حكى * مُوثَقًا فى القيد يَمْشِى فى زَلَقْ
وإذا أقبلَ كادتْ أعينٌ * نَحْوه تجرَحُ فيـــه بالحَدَقْ

وقال آخر وأجاد :

أيا مَنْ نِصْـفهُ غُصنٌ * يميلُ ونِصْفُه كَفَلُ
صِـــفاتُكَ فى تَبايُنِها * فمُنْفَصـلٌ ومُتَّصـلُ
فنصفُك موجُ عاصفةٍ * ونصفُك شاربٌ ثَمِلُ

✦ ✦ ✦

ومما وصفت به على لفظ التأنيث، فمنه قول أبى عُبَادة البحتُرىّ :

كأنّهـنّ وقـد قارَبْنَ فى نظَـرِى * ضِدّيْنِ فى الحسن تَثْقِيلا وإخْطافا
ردَدْنَ ما خَفَّفتْ عنه الخُصور إلى * ما فى المـآزر فاستَثْقلْنَ أرْدافا

وقال آخر :

لهـا رِدْفٌ تعَلَّقَ فى لَطيف * فذاك الرِّدف لى ولها ظَلُومُ
يُعَـذِّبُنى إذا فكَّرتُ فيـــه * ويُتْعِبها إذا قصَدتْ تقُومُ

وقال مؤمل وأفرط :

مَنْ رأى مثلَ حِبَّتى * تُشْبِه البـدرَ إذ بَدا
تدخُـلُ اليومَ ثم تَدْ * خُلُ أردافُها غَـدَا

وقال أبو هلال :

تَمْشِى بأردافٍ أَبَيْنَ قُعُودَها * بين النِّساءِ كما أبيْنَ قيامَهـا

وقال علىّ بن عطية البلنسى :

و إنْسِيَّةٍ زارتْ من اللَّيْلِ مَضْجَعى * فعانقْتُ غُصنَ البان منها الى الفَجْر
أُسائلُها أيْـنَ الوِشَاحُ وقد سرتْ * مُعَطَّـلةً منـه معطَّـرةَ النَّشْر
فقالَتْ وأومَتْ للسِّـوارِ نَقَلْتُـه * إلى مِعْصَمِى لمـا تَقَلْقَلَ فى خَصْرى

وقال الطائىّ :

من الِهيف لو أنَّ الخَلاخلَ صُيِّرت * لهـا وُشُحًا جالتْ عليهـا الخلاخلُ

وقال إسحاق الموصلىّ :

ظِبـاءٌ كالْيَعَافيرِ * كُنُوسٌ فى الَمقاصيرِ
وأَدبرنَ بأَعْجـازٍ * كأوْساط الزَّنابِـيرِ

وقال عمر بن أبى ربيعة :

يتقابَلْنَ كالبُـدُور على الأغْـ * ـصانِ فى مُنْقَل من الأرْدَاف
بخُصُورٍ تَحْكى خُصُورَ الزَّنابِـ * ـير ضعافٍ هَمَمْنَ بالانْقصاف

وقال آخر :

عظُمَتْ روادفُها فآذَتْ خَصْرَها * ووشاحُها قَلِقٌ كقَلْب الُمغْـرَم

وقال آخر :

آخرُهَـا مُتْعِبٌ لأوَّلِهـا * فبعضُها جائِرٌ على بَعْض

وقال آخر :

تَمْشى فتُثْقِلُهــا روادفُها * فكأنَّها تمشى إلى خَلْف

وقال البجلىّ :

إن العـــزيزَ علىّ خَصْرُكِ إنه * بالرِّدْف حُمِّل منــك ما لا يُحْمَل
فخُذِى له جِسْمى مكانَ وشاحه * إن العلِيـــل بشَــكْله يتعَلَّلُ

* * *

ومما قيل فى السُّوق، فمن ذلك قول الأمير سيف الدّين المشدّ :

ساقٍ تجَـــلَّى كأنَّه قمَـــرٌ * يحْمِـــل شمساً أَفْديه من ساق
شَمَّـــر عن ساقِـــه غلائِـــلَهُ * فقلْتُ مهلا وٱكفُفْ عن الباقى
لَمَّـــا رآنِى وقـــد فُتِنْتُ به * من فَرْط وَجْدى وعُظْم أشواقى
غنَّى وكأسُ المُـــدامِ فى يدِه * قامتْ حروبُ الهوى على ساق

وقال عُرْوة :

فقُمْنَ بطيئًـا مَشْيهنَّ تأوُّدا * على قَصَبٍ قدضاقَ عنه خَلاخلُهْ
كما هزَّتِ الميزانَ رِيحٌ فحرَّكتْ * أعالِيــه منه وٱرجحَنَّتْ أسافِلُهْ

وقال كُثَيِّر عَزَّة :

ويَجْعَلْنَ الخلاخِلَ حين تَلْوِى * بأَسْوُقِهنَّ فى قَصَبٍ خِدَال

وقال كُشاجم :

قلتُ وقد أبصرتُهــا حاسِرًا * عن ساقِها فاضلَ سِرْبالِها
لو لم تَكُنْ من بَرَدٍ ساقُهــا * لٱحترَقَتْ من نار خَلْخَالِها

وله أيضا :

وإذا لَبِسْنَ خَلاخِلًا * كذَّبْنَ أسماءَ الخَلاخل

* * *

(٣٦) ومما وصفت به القدود، فمن ذلك قول أبي فِراس الحمدانيّ :

غُلامٌ فوقَ ما أصِفُ * كأنّ قَوَامَهُ ألِفُ
إذا ما مالَ يُرْعِبُنِي * أخافُ عليه ينْقَصِفُ
وأشفَقُ من تأوُّده * أخافُ يُذِيبُه التَّرَفُ

وقال الخُبْزأرُزِّى :

أهْيفُ يحْكِى بقدِّه الألِفَا * يَخْسَر مَن لم يكُنْ به كَلِفا
أحسنُ من بهجة الخلافة والأمـ * ـن لمن قد يُحاذرُ التَّلفا
لو أبْصرَ الوجهَ منه مُنْهزِمٌ * يطلُبُه ألْفُ فارسٍ وَقَفا

وقال مانى :

أتمنّى الذى إذا أنا أوْمأْتُ إليه بطَرْف عيني تجنّى
أهْيفٌ كالقَضِيب لو أنّ رِيحًا * حرّكتْ هُدْبَ ثوبِه لتثنّى

وقال آخر :

أيا سائلى عن قَدِّ محبوبِيَ الّذِى * كَلِفْتُ به وَجْدًا وهِمْتُ غَراما
أبى قِصَرَ الأغصان ثُمّ رأى القَنَا * طِوالًا فأضحى بينَ ذاكَ قَوَاما

وقال آخر، وهو محمد بن التلمسانى :

يا مُخْجِلًا بِقَوامِه * أغْصانَ باناتِ اللِّوَى
ما أنتَ عِنْدِى والقَضِيـ * ـبُ اللَّدْنُ فى حدٍّ سَوَى
هذاكَ حَرّكه الهَوا * ءُ وأنتَ حَرّكتَ الهَوَى

وقال آخر :

يا غُصُنا راحَ الصِّبَا * يَثْنِيه لا رِيحُ الصَّـبَا
ما إنْ بدَا للعَيْنِ إلا ٱرتاحَ قَلْبِي وَصَـبَا
ولا ٱنْثَنَى يَخْطِـر إلا إزْدادَ قلبي وَصَـبا

وقال آخر، وهو كُشَاجم :

مُعْتدلٌ من كُلِّ أعطافه * مُسْتحسَنُ القامةِ والمُلْتَفَتْ
لو قيستِ الدّنيـا ولَذّاتُهـا * بساعةٍ من وَصْـله ما وَفَتْ
سُلِّطت الألحاظُ منـه على * قلبِي فلو أوْدَتْ به ما ٱشْتَفَتْ
وٱستعذَبَتْ رُوحى هَواه فلا * تَصْحُو ولا تَسْلُو ولو أُتْلِفَتْ

✧

ومما قيل فى العِنَاق، فمن ذلك ما ورد على لفظ التذكير .

فمنه قول الحسين بن الضحاك :

ومُوَشَّحٍ نازعتُ فضلَ وِشَاحِه * وكسوتُهُ من ساعِدَىَّ وِشَاحا
بات الغَيُور يشُقُّ جلدةَ خَدِّه * وأمالَ أعطـافًا علىَّ مِـلَاحا

وقال آخر :

بِتُّ وبدرُ الدُّجى نديمى * وهو مُوَاتٍ بلا ٱمْتِنـاعِ
فقلتُ للحـاسـدينَ لَمَّا * أشرقَتِ الشمسُ بالشُّعَاع
القَلْبُ والطَّرف مَـنْزِلاهُ * وَهْو إلى الآنَ فى الذِّراع

وقال ٱبن المعتز :

ما أقْصَر الليـلَ على الراقِدِ * وأهْونَ السُّـقْمَ على العـائِد
يَفْدِيكَ ما أبقيْتَ من مُهْجتِي * لستُ لمَـا أوْليتَ بالجاحد

كأنّنى عانقتُ ريحانةً * تنفّستْ فى ليلها البارد
فلو ترانا فى قميص الدّجى * حسبْتنا فى جسدٍ واحد

وقال أبو هلال فى نحو ذلك :

ونحنُ فى نظْم الهوى واحدٌ * كأنّنا عِقْدانِ فى نحْرِ

وقال الصولى :

طالَ عُمْرُ الليلِ عِنْدى * إذ تولّعْتَ بصَدِّ
يا ظَلُوما نقضَ العهْـ * ـدَ ولم يُوف بعهْد
أنسيتَ الوصل إذ با * تا على مرْقدِ وَرْدِ
واعتنقنا كوِشاح * وانتظمْنا نظْمَ عِقْد
وتعطّفْنا كغُصْـ * ـنين فقدّانا كقدّ

وقال ابن عبدكان الكاتب :

وكلانا مُرْتدٍ صاحِبَه * كارتداء السَّيف فى يَوْمِ الوَغى
بخدودٍ شافياتٍ من جَوًى * وشِفاهٍ مُرْوِياتٍ من ظَما
نتساقى الريقَ فيما بيننا * زقَّ أُمّات القطَا زُغْبَ القطَا

وقال على بن الجَهْم :

سَقَى اللهُ ليلا ضمَّنا بعد فُرْقة * وأدْنى فؤادًا من فؤادٍ مُعذَّب
فبِتْنا جميعًا لو تُراق زُجاجةٌ * من الخَمْر فيما بيْننا لم تَسَرَّبِ

وقال الخُبْزأَرُزِّىّ :

طوّقْتُه طَوْق العِناقِ بساعِدى * وجعلتُ كفّى للِثام وِشاحَا
هـذا هو الفوْزُ العظيمُ نخلْنا * مُتعانقيْن فما نُريدُ بَرَاحا

وقال صالح بن يونس :

لِى سَـيِّدٌ ما مثلُه سَـيِّدٌ * تَصدّت الحمَّى له فاشتكى
عانقتُـــه عِنْـدَ مُوافاتِه * والأُفْقُ بالليلِ قد احْلَوْلَكا (٣٧)
فجـاءتِ الحمَّى كعاداتهـا * فلم تجِــدْ ما بيْنَنا مَسْلَكا

وقال الحسين بن علىّ بن بِشْر الكاتب :

ضَمَمْتُه ضمَّ مُفْـرِط الضَّمِّ * لا كَأَبٍ مُشْــفِقٍ ولا أُمِّ
ولم نَزَلْ والظلامُ حارِسُنا * جسمَيْنِ مستودَعَيْنِ فى جسْم
أَلثُمُــه فى الدُّجَى و بَرْقُ ثَنَـا * يَاهُ يُرِينى مواضِعَ اللَّـــثْم
ثمَّ افترقْنا عِنْد الصبــاحِ وقَدْ * أَثَّرت فيه كهَيْئــةِ الحَـثْمِ

وقال أبو عبد الله الحامدىّ :

سَقَانِى وحَيَّـانِى وباتَ مُعانِقِى * فياعَطْفَ مَعْشوقٍ على ذُلِّ عاشِقِ
و ياليــلةً باتتْ سَـــواعِدُنا بهـا * تَدُورُ على الأعناقِ دَوْرَ المَخَـانِقِ
نَبُثُّ من الشَّـكْوى حديثًا كأنَّهُ * قلائدُ درٍّ فى نُحــور العَـــوَاتِقِ

* * *

وممـا ورد على لفظ التأنيث ، فمن ذلك قول أبى إسحاق الصابى :

هَيفـاءُ تَحْـكِى قَضيبا * قد جَمَّشَـــتْه الرِّياحُ
تَفْــتَرُّ عن سِمْط دُرٍّ * عليه مِسْـــكٌ وراحُ
جَرَّدتُهـا وٱعتنَقْنـا * كُلٌّ لكُلٍّ وِشـاحُ
باتَتْ وكـلٌّ مَصُونٍ * لِى من حِمَـاها مُبَاحُ
فى ليــلة لم يَعِبْهـا * فى الدّهْرِ إلا الصَّبَاحُ

وقال أيضا :

أقــولُ وقد جَرَّدتُها من ثيابها * وعانقتُهــا كالبــدرِ فى ليــلة التّمِّ
لَئن آلمَتْ صَـدْرِى بشِدّة ضَمِّهــا * لقد جبرَتْ قلبى وإنْ أوهنَتْ عَظْمِى

وقال أبو الفضل الأصبهانى :

ياليــلةً قُرِنتْ لنــا * فيها المآرِبُ بالنَّجاحْ
بِتْنــا بِرَغْم وُشاتِنَــا * متعانِقَيْنِ الى الصَّباحْ
متمــازِجيْن كأنَّنا * روحانِ من ماء وراحْ
ظنَّ الوشاةُ لفَرْط ضَـمِّـى أنَّنى بعضُ الوِشَاحْ

* * *

ومما قيل فى وصف مَشْى النساء، يقال :

تَهَالكتِ المرأةُ : إذا انفتلَتْ فى مِشْيتها . تأوّدتْ : إذا اختالتْ فى تَثَنٍّ وتكسُّر . بَدَحتْ وتبدَّحتْ : إذا أحسنت مِشْيتها . تَهزَّعتْ تهزُّعا : إذا اضطربت فى مِشْيتها . قَرْصَعَتْ قَرْصعةً ، وهى المِشْية القبيحة ، وكذلك مَثَعتْ مَثْعا .

وقال الأعشى :

غَرَّاءُ فَرْعاءُ مَصْـقُولٌ عوارِضُها * تمشِى الهُوَيْنَى كما يمشِى الوجِى الوَحِلُ
كأنَّ مِشْيَتَها من بيت جارَتِهــا * مَرُّ السحابةِ لا ريث ولا عَجَــلُ

وقال آخر :

يَمشِين مَشْىَ قَطا البِطاحِ تأوُّدًا * قُبَّ البطونِ رواجِحَ الأكْفَالِ

وقال ابن عائشة من أبيات :

فكأنّهنّ إذا أردْنَ خُطًا * يَقْلَعْنَ أرجُلَهنَّ من وَحَلِ

وقال أبو الفتح كُشاجم :

وتهتزُّ فى مَشْيِها مِثْلَ ما * تَهُزُّ الصَّبا غُصنًا ناعِما
وتأْمُر بالأمْرِ فيه الذى * كَرِهتُ فأرضَى به راغما

وقال آخر :

شبَّهتُ مِشْيتَها بِمشْيةِ ظافِرٍ * يختالُ بيْنَ أسنَّةٍ وسُيوفِ
صَلِفٍ تباهَتْ نفسُه فى نَفْسِه * لما انثنَى بسِنَانِه المَرْعُوفِ

وقال آخر :

تمشِى الهُوَينَى اذا مَشَتْ فُضُلا * مَشْىَ النَّزيفِ المخمُورِ فى صَعَد
تظَلُّ من زَوْرِ بيْتِ جارتِها * واضعةً كفَّها على الكَبِد

وقال المُنَخَّل اليَشْكُرِى :

ولقد دَخَلْت على الفتا * ة الخِدْرَ فى اليَوْمِ المَطِير
فدَفَعْتُها فتدافعَتْ * مَشْىَ القَطَاة الى الغَدِيرِ
ولَثِمْتُها فتنفَّسَت * كتنفُّس الظَّبْىِ البَهِيرِ

وقال عمر بن أبى ربيعة :

أبصَرْتُها ليلةً ونِسْوتُها * يمشِينَ بين المَقامِ والحَجَر
يرفُلْن فى الرَّيْط والمُرُوط كما * تَمْشِى الهُوَينَى سواكِنُ البقر

وقال ابن مُقْبل :

يَهْزُزْن للمَشىِ أوصالًا منعَّمةً * هَزَّ الجَنُوبِ ضُحًى عَيْدانَ يَبْرِينَا (١)

(١) العيدان : النخل الطوال واحدته بهاء . و يبرين : اسم قرية كثيرة النخل والعيون العذبة بحذاء الأحساء .

أو كاهتزازِ رُدَيْنِيٍّ تداوَلَهُ * أيْدِى التجَّار فزادُوا مَتْنَه لِينَا
يَمْشِينَ هَيْلَ النَّقَا مالتْ جوانبُه * يَنْهالُ حِينًا وينهالُ الثَّرَى حِينا

وقال أشجعُ السلمىّ :

وماجتْ كمَوْجِ الماءِ بَيْنَ ثِيابِها * يَميلُ بها شَطرٌ ويَعْدِلُها شَطْرُ
اذا وَصَفَتْ مافوقَ مَجْرى وِشاحِها * غلائلُها رَدَّتْ شهادَتَها الأُزْرُ

(٣٨) وقال العباس بن الأحنف :

شمسٌ مقدّرةٌ فى خَلْق جاريةٍ * كأنما كَشْحُها طَىُّ الطَّوامِيرِ
كأنها حينَ تمشى فى وَصائِفها * تَخْطُو على البَيْضِ أوخُضْرِالقوارِيرِ

انتهى الغرض فى وصف الأعضاء، وما شاكلها واتصل بها .

فلنذكُرْ إن شاء الله تعالى ما جاء فيما قدّمناه من الأمثال .

فأما ما جاء منها فى الإنسان، يقال :

« شديدٌ على الإنسان مالم يعوَّد » . « وما عُلِّمَ الإنسانُ إلا ليَعْلما » . «الناس من جهة التمثِيلِ أَكْفَاء» . «الناس أخيافٌ وشَتَّى فى الشِّيَم» . «الناس بزمانهم أشبهُ منهم بآبائِهم» . «وما الناس إلا هالكٌ وابنُ هالك» .

والناسُ أولادُ عَلّاتٍ فمن عَلِمُوا * أن قد أقلَّ فمهْجُورٌ ومحقُورُ

وقال آخر :

الناسُ أكيس من أن يحسُدوا رجُلًا * حتَّى يَرَوْا عنده آثار إحْسَان

ويقال: "المرءُ أعلم بشأنه" . "المرءُ معَ من أحَبّ". "دَعِ امرأً وما اختار" . "كلُّ امرئ فى شأنه ساع" . "كلُّ امرِئ مُصَبَّحٌ فى أهله" . "كلُّ امرِئ من

تَنْجُو صاحِبِه خلْو" . "المرء يَعْجَزُ لا مَحالة" . "المرء تَوَّاقٌ الى ما لَمْ يَنَلْ" . "المرء يجمعُ والزمانُ يفرِّقُ" .

ويقـال : "الرجال بالأموال" . "تُقَطِّعُ أعناقَ الرجال المطامعُ" . "ولكلِّ دهرٍ دولةٌ ورجالٌ" .

* * *

ومما يتمثل به فى ذكر النفس، يقال : "النفسُ مُولعَةٌ بحُبِّ العاجِلِ" . "النفس أعلَمُ مَنْ أخُوكَ النافِعُ" . "أكْذِبِ النفسَ إذا حدّثْتَها" . "ما عاتبَ الرجلَ اللبيبَ كنَفْسِــه" . "الجُودُ بالنفس أقصى غايةِ الجُود" . "نَفْسُ عِصامٍ سَوّدتْ عِصَـامًا" .

* * *

ومـا يتمثل به من أعضاء الإنسان الظاهرة والباطنة

ما قيــل فى الرأس والشـــعر

"مَنْ نَجَا برأسه فقـد رَبِحَ" . "رماه بأخْفاف رأســه" أى بالدواهى . اختلفَتْ رُءوسها فرتَعَتْ" . "كُلُّ رأسٍ به صُدَاع" .

ويقال : "أدقُّ من الشَّعر" . "أهْوَنُ من الشَّعر الساقِط" .

ما يتمثل به من ذكر الوجه

"وجهُ المحرِّش أقبحُ" . أى وجه مبلّغ القبيح أقبح من وجه قائله .

"فى وَجْه مالك تَعْرِفُ إمرتُه" . "قَبْلَ البُكاء كان وجْهُكَ عابسا" .

قال أبو تمـام :

وما أُبالى وخيرُ القــول أصـــدقُه * حقَنْتَ لى ماءَ وجهى أم حقَنْتَ دمى

وقال ابن الرومىّ :

وقَلَّ مَنْ ضَمِنتْ خَيْرًا طَوِيَّتُه * إلا وفى وَجْهِهِ للخَيْرِ عُنْوانُ
له مُحَيًّا جميلٌ يُسـتَدَلُّ به * على جميلٍ وللبُطْنان ظُهْرانُ

وقال آخر :

صَلَابةُ الوجْه صَلَاحُ الفتَى * ورِقَّةُ الوَجْه من الخُرْقـة

ما يتمثل به من ذكر العين ، يقـال :

"أسرَعُ من طَرْف العيْن" . "أسرَعُ من لَمْح البَصَر" . العَيْنُ تَرْجُمانُ القلب". "شاهِدُ البُغْض اللحظ". "رُبَّ عَيْنٍ أَنَمُّ من لسان". "ليس لمَـا قرّتْ به العينُ ثَمَن". "نظرةٌ مِن ذِى عَلَق" . "عينٌ عَرَفَتْ فذَرَفتْ" . "لحظُـهُ أصدقُ من لفظِه" . "ليس لعينٍ ما رأتْ ، ولٰكنْ لِكفٍّ ما أخذَتْ" . "لا تطلُبْ أثرًا بعـد عَيْنٍ" . "من أطاع طَرْفَه، أصاب حَتْفَه" . "وأىُّ عارٍ على عين بلا حَوَر" . "والدّمعُ قد يُعْلِنُ ما فى الصُّدُور" .

ومن الأبيات :

وعينُ الرِّضا عن كلِّ عيبٍ كَليلةٌ * ولكنَّ عين السُّخْط تُبْدى المَسَاوِيا

وقال الأمير أبو الفضل الميكالىّ :

كَمْ والدٍ يَحْـرِمُ أولادَه * وخَيْرُه يَحْظى به الأَبعَدُ
كالعين لا تنظُر ماحَوْلَها * ولَحْظُها يُدْرِك ما يَبْعُـدُ

ما يتمثل به من ذكر الأنف

"أنفُك منك وإن كان أجدعَ" : يضرب فى القريب السوء .

"شفيتُ نفسى وجدعتُ أنفى" . "لأمرٍ ما جدعَ قصيرٌ أنفه" . كلُّ شىء أخطأ الأنفَ جلل" . "لُدِغتُ حيث لا يضعُ الراقى أنفَه" . يضرب للأمر الذى لادواء له .

"رُبَّ حامٍ لأنفِه وهو جادِعه" . يضرب لمن أنِفَ من الشىء فتوقعه الأنَفَةُ فى أشدَّ منه .

"مات حتْفَ أنفِه". "جدَعَ الحلالُ أنفَ الغيرةِ". قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم .

"أنْفٌ فى السماء، وآستٌ فى الماء !" .

ما يتمثل به من ذكر الفم ، واللسان ، والأسنان

"كل جانٍ يدُه إلى فيه" . "حدثنى فاهُ إلى فىَّ" . "فلان خفيفُ الشفة . أى قليل المسألة .

"سكتَ ألفا ونطقَ خلفا" . "قرَعَ سِنَّ النادمِ" . "كدَمْتَ فى غير مكدَمٍ" . أى طلبت غير مطلب .

"وجُرحُ الدهرِ ما جرَحَ اللسانُ" . "وجُرحُ اللسان كجُرحِ اليد" .

ما يتمثل به من ذكر الأُذُن

"جاء فلانٌ ناشرًا أذنيه" . "لبستُ على ذلك أذنَىّ" . "أساءَ سمعًا فأساءَ إجابةً" . "كلامه يدخل فى الأذن بلا إذن" . "جعلتُ ذلك دَبْرَ أذنى" .

ما يتمثل به من ذكر العُنُق

"حَسْبُكَ من القِلادة ما أحاط بالعُنُق" . "أذَلَّ الحرصُ أعناقَ الرجال" .

وقال أبو الفتح البستىّ : (٣٩)

فكَمْ دقَّتْ وشَقَّتْ واسترقَّتْ * فُضُولُ العيش أعناقَ الرجالِ

ما يتمثل به من ذكر اليد

"أهدى من اليدِ إلى الفَم" .

"ألزمُ من اليمينِ للشِّمال" .

"يَدَاكَ أوْكَتَا، وفُوكَ نَفَخ" . "اليَدُ العُلْيا خيرٌ من اليد السُّفْلَى" . "آثَرُ لدَيْه من يمين يَدَيْه" . "ذَهَبُوا أيْدِى سَبَا" . أى متفرّقين .

"بالساعِدِ تَبْطِشُ الكفُّ" . "على يَدِى دارَ الحديثُ" . اذا كان خبيرا بالأمر .

"هو على حَبْل ذراعِه" . أى مواوقه .

"تَرِبَتْ يَدَاهُ" . دعاء عليه بالفقر .

"ما تَبُلُّ إحدى يديهِ الأخرى" . للبخيل .

"تَرَكَه على أنْقَى من الراحة" . "فلان يُقَلِّب كَفَّيه" . "سُقِط فى يَدَيه" . للنادم .

"أعطاهُ عن ظَهْرِ يدٍ" . أى آبتداء لا عن مُكافَاة .

"ما سَدّ فَقْرَكَ مثلُ ذاتِ يَدِك" . "إن الذَّلِيلَ الذى ليستْ له عَضُدُ" . "يدٌ تَشُجُّ ، وأخرى منك تأْسُونِى" . "على اليَدِ ردُّ ما أخذتْ" . "وما الكَفُّ إلا إصْبَعٌ ثم إصْبَع" .

ومن الأبيـات :

قد تَطْرِفُ الكَفُّ عيْنَ صاحِبِها * ولا يَرَى قَطْعَها من الرَّشَدِ

وقال آخر :

فلَوْ أنَّهـا إحْدَى يَدَىَّ رُزِئْتُهـا * ولكن يَدِى بانتْ على إثْرِها يَدُ

وقال أبو تمـام :

وهل يَسْتعيضُ المرءُ من خَمْسِ كَفِّه * ولو صاغَ من حُرِّ اللُّجَيْنِ بَنانَها

ما يتمثل به من ذكر الصدر والقلب

"صَدْرُكَ أوسع لسِرِّكَ" . "صُدُور الأحرار، قُبورُ الأسْرار" . "لا بدّ للصُّدُور من أن يَنْفِثَ" . "أَلْزَمُ له من شعَرَات صَدْره" . "ما جَعَل اللهُ لرجلٍ من قَلْبَيْن فى جَوْفه" . "القَلْب طَليعةٌ" . "القلوبُ تتقَلَّب" .

قال بعض الشعراء :

مَتى تجمعِ القلْبَ الذَّكِىَّ وصارماً * وأنْفًا حمِيًّـا تجتَنِبْكَ المَظَـالِمُ

وقال آخر :

إنَّ التباعُدَ لا يضُـ * ـرّ إذا تقاربتِ القُلُوب

ما يتمثل به من ذكر الظهر والبَطْن والجَنْب

"اِستظْهِر على الدهر بخِفَّة الظَّهْر" . "قَلَب الأمْرَ ظهرًا لبَطْنٍ" . "لا تجعل حاجتِى بظَهْرٍ" . أى لا تُلقِها وراء ظهرك .

"انقَطَع السَّلى فى البَطْن" . لتناهى الشِّدّة .

"نَزَتْ به البِطْنة" . لمن لا يحتمل النِّعمة .

"لكُلِّ جَنْبٍ مَصْرَعٌ" .

"لجَنْبه فلْتكُن الوَجْبَة" . فى الدعاء عليه .

"دمِّثْ لجَنْبِك قبلَ النَّوم مُضْطَجَعا" .

ما يتمثل به من ذكر الكبد والدم والعروق

"يا بَرْدَها على الكَبِد!" "فلانٌ بين الخِلْب والكَبِد" . "ما ينفَعُ الكَبِدَ يَضُرّ الطِّحَال" .

ويقال :

"جَرَى منه مَجْرى الدّم فى العُرُوق" . "هو أعَزُّ من دَمِ الفُؤاد" . "يسرُّك من دمِك". "لا تكايَلْ بالدّم" . "لا يَحْزُنك دمٌ هَراقَه أَهْلُه". للجانى على نفسه .

"فلانٌ لا يشرَبُ الماء إلا بَدِم" . "العِرْق نَزَّاع" . "ألا إنَّ عِرْقَ السُّوء لا بُدّ مُدْرِكُ" !

ما يتمثل به من ذكر الساق والقدم ، يقال :

"الْتفَّتِ الساقُ بالساق" . فى الشدّة .

"كشفَتِ الحربُ عن ساقِها، وكَشرتْ عن نابِها" . "قَدَحَ فى ساقه" . اذا عمل فى شىء يكرهه .

"لا يُرسِلُ الساقَ إلا مُمْسكًا ساقا" . "قد شَمَّرتْ عن ساقِها ، فشمِّرى !" فى الحثّ على الجدّ .

ويقال :

"له قدَمٌ فى الخير" . أى سابقةٌ .

" إنك لا تَسْعَى برجْلَى مَنْ أتَى " .

وقال الشاعر :

إنَّ قُريشًا وهى من خَيْرِ الأُمَمْ * لا يَضَعُونَ قَدَمًا على قَدَمْ

من ضُرِب به المثلُ من الرجال على لفظ أفعل للتفضيل

يقولون :

" أسْخَى من حاتِم " . " أجودُ من كَعْب بنِ مامَةَ " .

"أجودُ من هَرِم" . قال الميدانى : هو هَرِم بنُ سِنان بن أبى حارثة .

وفيه يقول زُهَيْر بن أبى سُلمى :

إن البخيلَ مَلومٌ حيثُ كانَ ولـ * ـكنَّ الجـوادَ على عِلَّاتِه هَرِمُ

"أقْرى من مَطاعِيم الرِّيح" . ومطاعيم الريح أربعة : منهم أبو مِحجَن الثقفىّ .

وكان لبيدُ بن ربيعة العامرىّ يُطْعِم إذا هَبَّت الصَّبا .

"أشجَعُ من ربيعة بن مُكَدَّم" . "أعزُّ من كُلَيْب بن وائل". "أعزُّ من مَرْوان القَرَظ" . "أسْودُ من قَيْس بن عاصم" . "أحْلَمُ من الأحنف بن قيس" . "أزْكَنُ من إياس بن معاوية" . " أفتَكُ من البرَّاض بن قيس النمرىّ، خليع بنى كنانة " .

فتك بعُرْوة الرحَّال ، والمُساور بن مالك الغَطَفانىّ ، وأسد بن خيثم الغنوىّ بسبب لَطيمة النعمان . وبسبب ذلك كانت أيام الفجار الأخر؛ وسنذكرها فى وقائع العرب إن شاء الله تعالى .

"أوْفَى من الحارث بن عُبَاد" . وخبره مشهور مع مهلهل أخى كُلَيب لمـا أمنه يوم تَحْلاق اللِّمَ .

" أوْفَى من عَوْف بن مُحَـلِّم " . " أوْفَى من هانِئ بنِ قبيصة " . وخبره مشهور فى أدرع النعمان ؛ وبسببها كانت وقعة ذى قار .

"أوفَى من السَّمَوْءل بن عادياء" . "أجملُ من ذِى العِمامةِ" . وهو سعيدُ بنُ العاص ابن أمية ، و يكنَى أبا أُحَيْحةَ ؛ وهو المقول فيه :

أبُو أُحَيحةَ مَنْ يَعْتَمّ عِمّتَــه * يُضْرَبْ ولو كان ذا مالٍ وذا وَلَدِ

"أمضَى من سُلَيْك المَقانِب" .

"أغلَى فِداءً من حاجب بنِ زُرارة ، ومن بِسْطام بن قَيْس ، ومن الأشعث" . أسرتْه مَذْحِج ففدى نفسَه بثلاثة آلاف بعير .

"أعْدَى من الشَّنْفَرَى ، ومن السُّلَيْك بن السُّلَكة" . " أبطأُ من فِنْد" . وهو مولًى لعائشة بنت طلحة ؛ وقال أبو هلال العسكرى : عائشة بنت سعد بن أبى وقّاص ، بعثت به مولاته ليقتبس نارا ، فأتى مصر ، فأقام بها سنة ، ثم جاء يشتدّ ومعه نار ، فتبددت فقال : تَعِسَت العجلةُ !

"أنْوَمُ من عَبُّود" . كان عبود عبدًا أسودَ ؛ وكان الله عز وجل قد بعث نبيا الى قومه . قال الميدانى : إن النبى هو خالدُ بن صفوانَ ، نبىُّ أهل الرَّسّ . فلم يؤمن به أحد منهم إلا ذلك العبدُ الأسودُ ، و إن قومه آحتفروا له بئرا فصيروه فيها وأطبقوا عليه صخرةً . فكان ذلك الأسود يخرج من القرية فيحتطب ، ويبيع الحطب فيشترى به طعاما وشرابا ، ثم يأتى به إليه فيُعينُه الله تعالى على الصخرة فيرفعها و يدلى إليه الطعامَ والشراب . فاحتطب يوما وجلس فنام على شِقّه الأيسر سبعَ سنين . ثم هَبَّ من نومه فانقلب على شِقّه الأيمن ، فنام سبع سنين ، وهو يظن أنه نام ساعة من نهار . ثم آحتمل حُزْمته وأتى القريةَ ، فباع الحطب وجاء الى الحفرة فلم يجد النبىّ وكان قد بدا للقوم فأخرجوه . فكان يسأل عن الأسود ، فيقولون : لا نَدْرى . فضرب به المثل لمن ينامُ نوما طويلا . وقيل فيه غير ذلك . وذكره الميدانى فى أمثاله ولم يذكر السبعة الثانية ، و إنما ذكرها صاحب كتاب المفاخر (١) .

"أنعَمُ من خُرَيم الناعم ." وهو رجل من ولد سنان بن أبى حارثة ، كان فى زمن الحجاج .

"أبلَغُ من سَحْبان وائل" . و يقال "أخطَبُ من سَحْبان" . وهو الذى يقول :

لَقَــدْ عَلِمَ الحَىُّ اليَمانُونَ أنّنى * إذا قلتُ أمّا بعــدُ أنّى خَطيبُها

"أخطَبُ من قُسّ" . هو قُسُّ بن ساعدة بن حُذَافة بن زُهَير بن إياد بن نزار وكان من حكماء العرب وهو أوّل من كتب من فلان الى فلان ؛ وأوّل من أقرّ بالبعث من غير علم ؛ وأوّل من قال : "البيّنة على من آدّعى ، واليمين على مَنْ أنكر" . وقيل : إنه عُمِّر مائةً وثمانين سنةً .

---

(١) هو كتاب "الفاخر" وتوجد منه نسخة بدار الكتب المصرية .

روى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : وفَدَ وَفْد بكر بن وائل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ! فلما فرغ من حوائجهم قال : أفيكُمْ مَنْ يعرفُ قُسَّ بنَ ساعدة الإيادىّ ؟ فقالوا : كلنا نعرفه ! قال : ما فعل ؟ قالوا : هَلَك ! فقال النبىّ صلى الله عليه وسلم : كأنِّى به على جمل أحمر بعُكَاظ قائما ، يقول : «أيها الناسُ اجتمعوا واسمعوا وعُوا ! كلُّ مَنْ عاش ماتَ ، وكلُّ مَنْ مات فاتَ ، وكل ما هو آت آت ! إنّ فى السماء لَخبرا ، و إن فى الأرض لَعبَرا : مهادٌ موضوع ، وسَقفٌ مرفوع ، وبحارٌ تَمُوج ، وتجارةٌ لن تَبُور ، وليلٌ داج ، وسماءٌ ذاتُ أبراج ! أقسَم قُسٌّ حقًّا : إن كان فى الارض رضا ليكونَنَّ بعده سخط ! و إن لله عز وجل دينا هو أحبُّ إليه من دينكم الذى أنتم عليــه ! مالى أرى الناس يذهبونَ فلا يرجعُون ؟ أرَضُوا فأقاموا ؟ أم تُركوا فناموا ! » ثم أنشد أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه شعرا حفظه له ، وهو :

فى الذاهبيــن الأوّلـــيـن من القُرون لنا بَصائرْ
لَمَّا رأيتُ مَــوارِدًا * للموت ليس لهَا مَصَادرْ
و رأيتُ قَــومى نَحْوَها * تسعى الأصاغِر والأكابرْ
لا يَرْجِـــعُ الماضى إلىّ * ولا من الباقيــن غابرْ
أيقنتُ أنِّى لا محَــا * لةَ حيثُ صار القومُ صائرْ

و يقال : ‹‹أعْيا من باقل›› . وهو رجل من ربيعة ابتاع ظَبيا وحْشيا بأحدَ عشرَ درهما ، وجعل بقية الدراهم فى فيه . فسُئل عن ثمنه ، ففعل بيديه تُجاه السائل (أى فتح أصابعه وفغر فاه وأدلى لسانه يشير بذلك إلى ثمنه) . فحصل من ذلك انفلات الظبى ؛ وسقوطُ الدراهم ؛ والإساءة على السائل . فضُرِب به المثل . (٤١)

‹‹أبرُّ من العَمَلَّس›› . كان برا بأمه فكان يحملها على عاتقه .

‹‹أبرُّ من فَلْحَس›› وهو رجل من شيبان . حمل أباه على ظهره وحجّ به .

وفيه أيضا يقال :

‹‹أسْألُ من فَلْحَس›› . كان سيدا عزيزا ، يَسْألُ سهما فى الجيش وهو فى بيته فيُعطى لعزه ؛ فاذا أُعطى سأل لامرأته ؛ فاذا أُعطى سأل لبعيره ، وكان له ولد يقال له زاهر ، فكان مثلَه ، فقيل فيــه :

‹‹العَصَا من العُصَيَّة›› .

ويقال : "أخيبُ صفقةً من شيخ مَهْو" . وهو حىّ من عبد القيس آشتروا الفَسْوَ من إياد وكانوا يُعَرفون به ، فعرفت به عبد القيس . قال الميدانى : هذا الشيخ آسمه عبدالله بن بيدرة ، آشترى الفَسْوَ من إياد بِبُرْدَىْ حِبَرة ، وقال لقومه : آشتريتُ لكم عار الدهر ، فقالت عبد القيس فى ذلك :

إن الفُسَاةَ قبلنا إيَادُ * ونحن لا نَفْسُو ولا نَكَادُ

وفيهم يقول شاعر :

يامَنْ رَأى كصَفْقَةِ آبن بيدَرَهْ * من صَفْقة خاسرة مُخَسَّرَهْ
المُشْتَرِى العارَ ببردَىْ حبَرَهْ * شَلَّتْ يمينُ صافقٍ ما أخسَرَهْ

"أخسرُ صَفْقةً من أبى غَبْشَانَ" . فانه باع مفاتيح الكعبة من قُصَىّ بزِقّ خمر .

"أضَلُّ من سِنَانٍ" وهو آبن أبى حارثة المرّى ؛ وكان قومه عنفوه على الجود ، فركب ناقة له ورمى بها الفلاة ، فلم يُرَ بعد ذلك . وسمته العرب ضالّة غطفان ؛ وقالوا : إن الجانّ آستفحلته تطلبُ كَرَم نجله .

"أبطَشُ من دَوْسَر" . وهى كتيبة النعمان .

"أهدى من قَيْس بن زُهَير" .

"أفرغُ من حَجَّامِ ساباطَ". يقال إنه كان إذا أعوزه من يَحْجُمُه حجم أمّه ، فلم يزل يحجمها حتى نَزَف دَمُها فماتت .

"أندَمُ من الكُسَعِى" . وآسمه مُحارب بن قيس ، وقيل عامر بن الحارث . وكان أرمى الناس ، لا يخطئ له سهم ، فخرج ومعه قوس وخمس سهام فرمى صيدا فى الليل فأصاب سهمُه ونفذ ، فوقع فى الحَجَر فقدَح نارا . ثم رمى كذلك حتى آستنفد السِّهامَ . وهو يظن أنه أخطأ فى الجميع فكسر قوسه ، وخلع إبهامه . فلما أصبح رأى رميّته ، فندم على فعله .

"أمنعُ من الحارث بنِ ظالم" . وسيأتى خبره فى وقائع العرب .

"أبخَلُ من مَادِر" . وسيأتى خبره فى باب الهجاء .

"أكذَبُ من مُسَـيْلِمَة الحَنَفِىّ" . (وخبره مشهور فى دعواه النبوّة) ومن المُهَلَّب" وكان يكذب لأصحابه فى حرب الأزارقة، يَعِدُهم بالنَّجْدَة والإمداد) .

"أحمقُ من راعى ضأن ثمانينَ" (وذلك أن أعرابيا بَشّر كسرى ببشارة سرّ بها، فقال له كسرى : سَـلْنى ما شئتَ ! فقال : أسألك ضأنا ثمانين) ؛ ومن هَبَنَّقةَ" وهو ذو الوَدَعات؛ واسمه يزيد بن ثَرْوان أحد بنى قيس بن ثعلبة، وبلغ من حُمْقه أنه ضلّ له بعير، فنادى مَنْ وجد بعيرى فهو له، فقيل له : فلم تنشده ؟ قال : فأين حلاوة الوِجْدان . وفيه يقول الشاعر :

عش بجَدّ وكُنْ هَبَنَّقَةَ القيْـ * ـسىّ نَوْكًا أو شيبةَ بنَ الوليد
رُبَّ ذى إرْبَة مُقِلٌّ من الما * ل وذى عُنْجُهِيَّة مَجْـدود

العنجهية : الجهـــل

"أحمقُ من ربيعَةَ البَكّاء" . هو ربيعةُ بن عامر بن ربيعةَ بن عامر بن صَعصعَة . ومن حُمْقه أن أمّه بعد تزوّجتْ أبيه، فدخل عليها الخباءَ، وكان قد التحى فوجد زوجها يباضِعُها، فتوهم أنّه يريد قتلَها، فبكى وهتَكَ الخباء، واجتمع النـاس وسألوه عن شأنه، فأخبرهم أنه وجده على بطنها يريد قتلها، فقالوا : "أهون مقتول" فصار مثلا .

"أَتْيَهُ من أحمق ثَقيف" . وهو يوسف بن عمرو .

"ألَصّ من شظَاظ" . وهو رجل من بنى ضَبَّةَ .

"أزْنى من قِرْد" . وهو قرد بن معاوية بن هُذَيل .

"أمْطَل من عُرْقوب" . وقال كعب بن زهير :

كانت مَواعيدُ عُرْقوبٍ لهـا مَثَلا * وما مَوَاعيدُها إلا الأباطيلُ .

"أشأم من خَوْتَعَةَ" . وهو رجل من بنى غُفَيلة بن قاسط أخى النمر بن قاسط .

"أشأمُ من قُدَارِ" . (وهو عاقر الناقة) ؛ ومن أحمر ثمودَ (وهو عاقرها أيضا) .

"أشأم من طُوَيْس" وهو مخنَّث، كان يقول إنه ولد يوم مات النبيّ صلى الله عليه وسلم؛ وفُطم يوم مات أبو بكر؛ وبلغ يوم قَتل عُمَر؛ وتزوَّج يوم قَتل عثمان؛ وولد له يوم قَتل عليّ .

"أمكَرُ من قيس بن زُهَير" .

وأما من ضرب بها المثل من النساء

"يقال : أنجَبُ من مارية"(١). ولدت لزرارة : حاجبا، ولَقيطا، وعَلْقمة .

"أنجَبُ من بنت الحارث". ولدَتْ لزيَاد العبسى بَنيه الكَمَلَة، وهم : ربيعة الكامل، وعمارة الوهاب، وقيسُ الحافظ، وأنَسُ الفوَارس . (٤٢)

"أنجبُ من أمّ البنين"(٢). ولدت لمالك بن جعفر بن كلاب، مُلَاعبَ الآسنة عامرا، فارسا .

"أنجبُ من عاتِكة" . ولدت لعبد مناف هاشما، وعبدَ شمس، والمطّلبَ .

"أسرَعُ من نِكاح أمّ خارجة". وهى عُمَيرة بنتُ سعد بن عبد الله بن قُدار بن ثعلبة بن معاوية ابن زيد بن الغوث بن أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث بن نَبْت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبإ ابن يشْجُب بن يعرُب بن قحطان . ولدت فى نَيِّف وعشرين حَيًّا من العرب . كان الرجل يقول لها : خِطْبٌ! فتقول نُكْحٌ! .

قال أبو الفرج الأصبهانى : فمن ولدت، الدِّيلُ، وليث، والحارث بنو بكر بن عبد مناف بن كنانة؛ وعاضرةُ بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خُزَيمة؛ والعنبرُ، وأَسيد، والهُجَيم بنو عمرو بن تميم؛ وخارجةُ ابن يشكر (وبه كانت تكنّى)؛ وسعد بن عمرو بن ربيعة بن حارثة بن مُزيقيا (وهو أبو المُصْطَلق) .

قال : وزعموا أن بعض أزواجها طلّقها فرحل بها ابن لها عن حيه الى حيها فلقيها راكب، فلما تبينته، قالت لابنها : هذا حاطب لى لاشكّ فيه، أفتراه يعجلنى أن أنزل عن بعيرى، فجعل ابنها يسبّها .

---

(١) صوابه الخرشب وهى فاطمة بنت الخرشب الأنمارية انظر "مجمع الأمثال" و "تاج العروس".

(٢) هم كما فى "أمثال الميدانى" أبو براء، وملاعب الأسنة عامر، وطفيل فارس قرزل وربيعة، ٢
ومعاوية، وأم البنين هى ابنة عمرو بن عامر فارس الضحياء» وبذلك تعلم ما فى الأصول من السقط .

"أحمقُ من المَمْهورة إحدى خَدَمَتَيْها" . وذلك أن زوجها طلقها ، فطالبته بمَهْرها ، فأخذ أحد خَلْخَاليها من رجْلها وأعطاها إيّاه ، فرضيت به .

"أحمقُ من دُغَةَ" . هى ماريةُ بنت مَغْنج(١) بن ربيعة بن عجل ، وقيل بنت منْعج ؛ تزوّجت وهى صغيرة فى بنى العَنْبر بن تميم ، فحملت . فلما أدركها المخاض ، ظنّت أنها تريد الخلاء. فتبرزت فولدت فاستهلّ الولدُ . فانصرفت وهى تقدّر أنها انما أحدثت . فقالت لضَرّتها يا هَنْتاه ، هل يفغُر الجَعْرُ فاه ؟ قالت : نعم ، ويدعو أباه ! فمضت ضَرّتُها للولد فأخذته ، فبنو العنبر تسمّى بنى الجَعْراء .

"أبْصَرُ من زَرْقاءِ اليمامة". وهى امرأة من طَسْم ، كانت تُبصر الراكبَ على مســيرة ثلاث ليال . وسيأتى إن شاء الله تعالى خبرُها فى وقعة طَسْم وجَديس .

"أزنى من هرٍّ" . وهى امرأة يهودية ؛ وهى التى قطع المهاجرُ يدَها فيمن قطع من النساء حين شَمِتْن بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

"أشبقُ من حُبَّى المَدَنِيّــة" . "أشأم من البَسُوس" . وهى جارةُ جَسَّاس بن مُرّة ، صاحبةُ الناقة التى قتل بسببها كُلَيبٌ ، وثارت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنةً .

ويقـال :

"أمنــعُ من أمِّ قِرْفَةَ" . وهى امرأة مالك بن حُذَيفــة بن بدر الفزارى . كان يُعَلَّق فى بيتها سبعون سيفا ، كلُّ سيف لذى مَحْرَم منها . فضُرِب بها المثل والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) فى الأصل "معج" وفى اللسان والقاموس وشرحه "مغنج" وفى بعض النسخ "منعج" قال المفضل ابن سلمة : من أعجم العين فتح الميم ومن أهملها كسر الميم . قاله البكرى فى شرح أمالى القالى .

*

الباب الثالث

من القسم الأوّل من الفن الثانى

فى الغَزَل، والنَّسِيب، والهوى، والمحبة، والعِشْق

ولْنبدأ بذكر الهوى، لأنه السبب الباعث على الغَزَل. وذلك أنه إذا حلَّ فى الأجسام ارتاحت النفوس، ورقَّت القلوب، وانجذبت الخواطر، وصَفَت الأذهان، وسهُل على القرائح فأبرزته الألسُن. والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم. (٤٣)

ذكر شيء ممّا قيل فى الهوى، والمحبة، والعشق، وما قيل فى ماهية العشق، وحقيقته وسببه، وما قيل فى مدحه، وذمه، والممدوح منه، والمذموم، وضرر العشق فى الدّنيا، والآفات التى تجرى على العاشق: من المرض، والجنون، والضَّنا، والمخاطرات بالنفوس وإلقائها الى الهلاك.

ثم نذكر أخبارَ ... ... ومن أخرجه عن دينه حتَّى كفر بربه، ومن قَتل، وقُتِل فيه، ومن قتل نفسه.

ثم نذكر ما ورد فى التحذير من فتنة النساء، وذمِّ الزنا، والنظر الى المُرْدان، والتحذير من اللِّواط، وعقوبة اللائط، وغير ذلك من أمر العشق، على ما سنشرحه إن شاء الله تعالى فنقول، وبالله التوفيق.

أمَّا ماهية العشق وحقيقته، فقد تكلم عليه أوائل الحكماء والفلاسفة وغيرهم من المسلمين، على ما نشرحه إن شاء الله تعالى.

فأما كلام الحكماء والفلاسفة

فقال أفلاطون : العِشْق : حركة النفس الفارغة بغير فكرة .

وسئل ديوجانس عن العشق فقال : سوء اختيارٍ صادف نفسا فارغة .

وقال أرسطاطاليس : العشق هو عمى الحِسِّ عن إدراك عيوب المحبوب .

وقال فيثـاغورس : العشق ، طبع يتولد فى القلب و يتحرّك و ينمى ثم يتربَّى ، و يجتمع إليـه موادّ من الحرص ، وكلما قَوِىَ ازداد صاحبـه فى الاهتياج واللَّجاج ، والتمـادى فى الطمع ، والفكر فى الأمانىِّ ، والحرص على الطلب ، حتى يؤدّيه ذلك الى الغم المقلق .

و إلى هذا المعنى أشار المتنبي بقوله :

وما العِشْقُ إلا غِرّةٌ وطَماعةٌ * يعرِّض قلبٌ نفسَه فيُصابُ

وقال بعض الفلاسفة : لم أر حقًّا أشبَه بباطل ، ولا باطلا أشبه بحق من العشق ، هَزْله جِدّ ، وجدّه هَزْل ، وأوّلُه لعب ، وآخره عَطَب .

وقد ذهب بعضهم الى أنه مرضٌ وسْواسيٌّ شبيه بالمـاليخوليا .

وأما كلام الإسلاميين وما قالوه فيه

فقـد حكى عن أبى العاليـة الشامىّ ، قال : سأل المأمون يحيى بن أكثم عن العشق : ما هو ؟ فقال : هو سوانحُ للمرء يَهِيم بها قلبـه وتُؤْثرها نفسه ، قال فقال له ثمـامة : اسكت يايحيي ، إنمـا عليك أن تجيب فى مسئلة طلاقٍ أو مُحْـرِمٍ صاد ظبيا ، أو قتلَ نملة ، فأما هذه فمسائلنا نحن ، فقال له المأمون : ما العشق يا ثمامة فقـال : العشق جليسٌ مُمْتِـع ، وأليف مؤنِس ، وصاحب مملَّك ، ومالك قاهر ،

مسالكه لطيفة، ومذاهبه غامضة، وأحكامه جائرة؛ مَلَكَ الأبدانَ وأرواحها، والقلوبَ وخواطرَها، والعيونَ ونواظرَها، والعقولَ وآراءَها، وأُعطِى عنانَ طاعتها، وقيودَ تصرفها، توارى عن الأبصار مَدْخَله، وغِيض فى القلوب مسلكه؛ فقال له المأمون: أحسنتَ والله ياثمامة! وأمر له بألف دينار.

وحكى عن الفضل بن يعقوب قال: لما اجتمع ثمامة بن أشرس ويحى بن أكثم عند المأمون، قال ليحيى: خبِّرنى عن العشق ماهو؟ فقال: يا أمير المؤمنين، سوانح تسنَح للعاشق يؤثرها، ويهيم بها تسمَّى عشقا، فقال له ثمامة: يايحيى، أنت بمسائل الفقه أبصر منك بهذا: ونحن بهذا أحذق منك، فقال المأمون: فهاتِ ما عندك، فقال: يا أمير المؤمنين، إذا امتزجت خواطرُ النفوس بوصل المشاكلة نتجتْ لمح نور ساطع تستضىء به نواظر العقول، ويتصوّر من ذلك اللمح نور خاص بالنفوس متصل بجواهرها يسمَّى عشقا، فقال له المأمون: صدقت، هذا وأبيك الجوابُ!

وحكى عن الأَصْمَعى قال: دخلت على هارون الرشيد فقال: يا أَصْمَعىّ، إنى أرقت ليلتى هذه، فقلت: ممّ؟ أنام الله عين أمير المؤمنين، قال: فكَّرت فى العشق ممَّ هو فلم أقف عليه، فِصفْه لى حتَّى إخاله جسما مجسما، قال الأصمعىّ: لا والله ما كان عندى قبل ذلك فيه شيء، فأطرقت مليًّا ثم قلت: نعم ياسيّدى، إذا تقاربت الأخلاق المشاكلة، وتمازجت الأرواح المشابهة، لمح نورٌ ساطع يستضىء به العقلُ، وتهتز لإشراقه طِباع الحياة، ويتصوّر من ذلك النورِ خُلُق خاص بالنفس متصل بجوهريتها يسمَّى العشق، فقال: أحسنت والله ياغلام، أعطه وأعطه وأعطه! فأعطيت ثلاثين ألف درهم.

وحكى عن الأصمعىّ أنه قال : لقد أكثر الناسُ فى العشق، فما سمعت أوجزَ ولا أجمل من قول أعرابيّة (وقد سئلت عن العشق) فقالت ؟ ذلٌّ وجنونٌ، قلت: هذه صفة ثمرة العشق ومآله .

(٤٤) والتحقيق أن العشقَ شدّةُ ميل النفس إلى صورة تلائم طبعها، فإذا قوى فكرها فيه تصوّرتْ حصولَها وتمنّتْ ذلك، فيتجدّد من شدّة الفكر مرضٌ .

وقيل لبعضهم : ما العشقُ ؟ فقال : ارتياح فى الخلْقة، وفرح يجول فى الرُّوح، وسرور ينساب فى أجزاء القُوى .

وقال أبو العيناء : سألت أعرابيًّا عن الهوى، فقال : هو أظهر من أن يخفى، وأخفى من أن يُرى، كامنٌ ككمون النار فى الحجر، إن قدحتَه أورى، وإن تركته توارى .

وسئل يحيى بن معاذ عن حقيقة المحبة فقال: التى لا تزيد بالبر، ولا تنقص بالجفاء.

وسئل بعض الصوفية عن الهوى والمحبة فقال : الهوى يحلّ فى القلب، والمحبة يحلّ فيها القلب .

وللعشق مراتب من ابتدائه الى انتهائه .

ذكر مراتب العشق وضروبه

قالوا : أوّل مايتجدّد الاستحسان للشخص تحدُث إرادةُ القرب منه، ثم المودّة، (وهو أن يودّ لو ملكه)، ثم يقوى الودّ فيصير محبة، ثم يصير هوًى (فيهوِى بصاحبه فى محابِّ المحبوب من غير تمالك)، ثم يصير عشقا، ثم يصير تَتَيُّمًا (والتتيّم : حالة يصير بها المعشوق مالكا للعاشق لا يوجد فى قلبه سواه)، ثم يزيد التتيّم فيصير وَلَهًا (والوَلَه : الخروج عن حدّ الترتيب، والتعطل عن أحوال التمييز) .

وقال بعضهم : أول مراتب العشق الميل الى المحبوب، ثم العلاقة، ثم الحب، ثم يستحكم الهوى فيصير مودّة تزيد بالمؤانســة، وتَدْرُس بالجفاء والأذى، ثم الخُلَّة، ثم الصَّبابة (وهى رقة الشوق) تولّدها الألفة، و يبعثها الإشفاق، و يهيجها الذكر، ثم تصــير عشقا . وهو على أضرب؛ فمبدؤه يصفى الذهن، ويهذب العقل ؛ كما قال ذو الرياســتين لأصحابه : « آعشقوا، ولا تعشقوا حراما ، فإن عشق الحرام يطلق اللسان، و يرفع التبلّد، و يطلق كفّ البخيل، و يبعث على النظافة و يدعو إلى الذكاء، فإذا زاد مرض الجســد ، فإذا زاد أخرج العقل وأزال الرأى فاســتهلك ، ثم يترقّى فيصير وَلَهًا، و يسمَّى ذو الوله مُدَلَّهًا، ومستهاما، ومستهْتَرا، وحيرانَ؛ ثم بعدها التتيّم فيدعى متيما ، والتتيّم نهاية الهوى ، وآخر العشــق ؛ ومن التتيّم يكون الداء الدَّوىّ ، والجنون الشاغل .

وقال بعض الحكماء : أول الحب العلاقة (وهو شيء يحـدثه النظر أو الســمع فيخطُر للبال، و يعرض للفكر، و يرتاح له القلب، ثم ينمى بالطمع، واللَّجاج، و إدمان الذكر) ، ثم يقوى فيصير حُبًّا ، ثم يصير هوًى، ثم يصير خُلَّة، ثم عشقا، ثم وَلَهاً ، فيسمَّى صاحبه مُدَلَّها، ومستهاما، وهائما، وحيرانَ، ثم يصير متيّما، وهو أرفع منازل الحب، لأن التتيم : التعبُّـد، والوجد : ألم الحب، والهَيَمَان : الذهاب فى طلب غرض لا غاية له، والكَلَف والشغَف : اللَّهَج بطلب الغرض .

وقال الفرّاء : اللَّوْعة : حُرقة القلب من الحب .

وقال أبو عُبَيد القاسم بن سـلّام : العلاقة : الحب اللازم للقلب، والجوى : الهوى الباطن، واللَّوْعة : حرقة الهوى، واللاعج : الهوى المحرق، والشَّغَف : أن يبلغ الحب شَغاف القلب (وهو جلد دُونه) ، والتَّتيم : أن يســتعبده الهوى، والتَّبْــل :

أن يُسقمه الهوى، يقال : رجل متبول؛ والتّدْليهُ : ذَهاب العقل من الهوى، يقال : رجل مُدَلَّهٌ ؛ والهُيُــوم : أن يذهب على وجهه؛ والشَّغَف : إحراق القلب مع لذة يجدها وهو شبيه باللَّوْعة .

وقال أبو عبدالله بن عرفة : الإرادة قبل المحبة، ثم المحبة، ثم الهوى ثم العشق . وقال ٱبن دُرَيْد : الصَّبابة رِقَّة الهوى . وٱشتقاق الحب من أحب البعير، إذا بَرَك من الإعياء .

ذكر ما قيل فى الفرق بين المحبة والعشق

قالوا : المحبة جنس، والعشق نوع . فإن الرجل يحب أباه وأمه، ولا يبعثه ذلك على تَلَف نفسه، بخلاف العاشق .

وقد حكى أن بعض العشاق نظر إلى جارية كان يهواها، فارتعدت فرائصُه وغُشِىَ عليه، فقيل لبعض الحكماء : ما الذى أصابه ؟ فقال : نظر من يحبُّه، فانفرج قلبه، فتحرك الجسم لٱنفراج القلب، فقيــل له : فنحن نحب أهالينــا ولا يصيبنا ذلك فقال : تلك محبة العقل، وهذه محبة الرُّوح .

وقالوا : كل عشق يسمى حبا، وليس كل حب يسمَّى عشقا . لأن العشق ٱسم لمــا فَضَل عن المحبة، كما أن السَّرَف ٱسم لمــا جاوز الجُود، والبُخْل ٱسم لمــا نقص عن الٱقتصاد، والجبنَ ٱسم لمــا فَضَل عن شدّة الٱحتراس، والهَوَج ٱسم لمــا فَضَل عن الشجاعة .

قال الشاعر :

ثلاثةُ أحبــابٍ فحُبُّ علاقــةٌ * وحُبٌّ تِمِلَّاقٌ وحُبٌّ هو القتــلُ

* * *

(٤٥) وأما سبب العشق وما قيل فيه، فقالوا: سبب العشق مصادفة النفس ما يلائم طبعَها فتستحسنه وتميل اليه . وأكثر أسباب المصادفة النظر . ولا يكون ذلك باللمح، بل بالتثبت فى النظر ومعاودته بالنظر، فإذا غاب المحبوب عن العين طلبتْه النفسُ، ورامت التقربَ منه، وتمنَّتْ الاستمتاعَ به، فيصير فكرها فيه، وتصويرها إياه فى الغَيْبة حاضرا، وشغلُها كله به، فيتجدّد من ذلك أمراضٌ لانصراف الفكر إلى ذلك المعنى . وكلما قويت الشهوة البدنية قوِىَ الفكر فى ذلك . وقد أمر الله عز وجل بغَضِّ البصر فقال: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ . فقرن غض البصر بحفظ الفرج، لأنه يسببه ويؤول إليه .

وعن علىّ رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تُتْبِعِ النظرةَ النظرةَ، فإن لك الأُولى وليسَتْ لك الآخرةُ " .

وعن أبى هُرَيرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "العَيْنانِ تَزْنيانِ، وزِناهُما النظَرُ " .

وعن علىّ رضى الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يا علىُّ، اتَّقِ النظْرَة بعد النَّظْرة فإنها سَهْم مَسْمومٌ، يُورِث الشَّهوةَ فى القَلْبِ " .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " نَظَرُ الرجُلِ إلى محَاسِن المرأةِ سَهْمٌ مسمومٌ من سِهَام إبليسَ " .

وعن يحيى بن سعيد قال : كان عيسى بن مريمِ عليه السلام يقول : " النظرُ يَزْرعُ فى القلبِ الشهوةَ، وكفى بها خَطِيئةً ! " .

وعن سفيان قال: قال عيسى عليه السلام: "إيَّاكُم والنظرَ، فإنَّه يزْرَعُ فى القلبِ الشهوة، وكفَى بها لصاحبها فِتْنةً» .

وقال الحسن البصرىّ: من أطلق طَرْفه، أطال أَسَفَه .

وقال ذو النون: اللَّحَظاتُ تورث الحَسَرات، أوّلها أسَفٌ، وآخرها تَلَفٌ . فمن تابع طَرْفه، تابع حَتْفه .

وقال حكيم: أوّل العشْق النظر، وأوّل الحريق الشَّرَر .

وقال أبو الفرج بن الجوزىّ: البصر صاحب خَبَرَ القلب . ينقل إليه أخبـار المُبصَرات، وينقش فيه صُوَرها، فيجول الفكر فيها فيشغَلُه ذلك عن الفكر فيما ينفَعُه من أمر الآخرة، فاحذَرْ من شر النظر، فكم أهلك من عابد، وفسَخ عزمَ زاهـد، وهو سبب الآفات، إلا أن علاجه فى بدايته قريب؛ فإذا كرر تمكن الشر فصعب علاجه . فإن النظرة إذا أثَّرت فى القلب، فإن أعجل الحازم بغضِّها، وحسم المـادّة من أوّلها سُهل علاجه، وإن كرر النظر نَقَّب عن محاسن الصورة ونقلها إلى قلب متفرّغ ونقشها فيه؛ فكلما تواصلت النظرات كانت كالمياه تسقى بها الشجرة، فلا تزال تنمو فيفسُد القلب، ويُعْرِض عن الفكر فيما أُمرَ به، ويخرج بصاحبه الى المِحَن، ويوجب آرتكاب المحظورات، ويلقى فى التلف .

وقد أكثر الشعراء فى وصف ما يحدثه النظر من البلايا، فمن ذلك، قول الفرزدق:

تَزوّدَ منهـا نظـــرةً لم تَدَعْ لَهُ * فُؤادًا ولم يَشْعُرْ بمـا قد تَزوَّدا
فلَمْ أر مقتُــولًا ولم أر قاتلًا * بغَيْر سلاح مِثْلَها حينَ أقْصـدَا

وقال إبراهيم بن العباس بن صول الكاتب:

فمن كانَ يُؤْتى من عدوٍّ وحاسِدٍ * فإنِّىَ من عينِى أُتِيتُ ومن قَلْبِى
همـا آعتَــوَرانى نظرةً ثم فِكْرةً * فمـا أبقَيَا لى من رُقَاد ولا لُبِّ

وقال إسمعيل بن عمار الأعرابى :

عَينانِ مشئومتانِ وَيْحَهُما * والقَلْبُ حَيْرانُ مُبتَلًى بهما
عَرَّفتاه الهوى لظُلْمِهما * يا ليْتنى قبله عَدِمتُهما

وقال أبو عبد الله المارستانىّ :

رَمَانِى بها طَرفى فلم يُخْطِ مَقْتَلى * وما كُلُّ من يُرمَى تُصابُ مقاتِلُهْ
إذا مُتُّ فابكُونى قَتِيلا لِطَرْفه * قَتيلَ عدُوٍّ حاضرٍ ما يُزايِلُهْ

وقال ٱبن المعتز :

متَيَّمٌ يَرْعَى نُجُومَ الدُّجى * يَبْكى عليه رحمةً عاذِلُهْ
عَيْنى أشاطَتْ بدمى فى الهَوى * فابكُوا قَتِيلًا بعضُه قاتِلُهْ

وقال المتنبي :

وأنَا الَّذى ٱجتلَب المنِيَّةَ طَرْفُه * فَمَن المطالَبُ والقتيلُ القاتلُ

وقال ٱبن المعتز :

وما أَدرى إذا ما جَنّ ليلٌ * أشوقًا فى فُؤادى أم حَريقا
ألَا يا مقلَتَىَّ دهَيْتُمانى * بلحظكما فذُوقَا ثم ذُوقا



وقال أبو عبد الله بن الحجاج :

يا مَنْ رأى سُقْمى يَزِيـ * ـدُ وعلّتى تُعْيِي طَبِيبى
لا تَعْجَبَنَّ فهكذا * تَجْنى العيونُ على القُلُوب

وقال أبو منصور بن الفضل :

لواحِظُنا تَجْنى ولا عِلْمَ عِندَها * وأنفُسُنا مأخوذةٌ بالجَرائرِ
ولم أَرَ أغْبى من نُفُوسٍ عفائِفٍ * تُصدِّقُ أخبار العُيونِ الفَواجِرِ
ومَنْ كانتِ الأجفانُ حُجّابَ قلبِه * أَذِنَّ على أحْشائِه بالفَواقِرِ

وقال أبو محمد بن الخفاجى :

رمَتْ عينُها عَيْنى وراحتْ سليمةً * فَمَنْ حاكمٌ بين الكَحِيلة والعَبْرا؟
فياطَرْفُ قد حَذَّرْتُكَ النظرةَ التى * خَلَسْتَ فما راقبْتَ نهيا ولا زَجْرا
و يا قلبُ قد أرْداكَ من قبلُ مرةً * فوَيْحكَ لِمْ طاوعْتَه مرَّةً أُخْرى؟

وقال عبد المحسن بن غالب الصورى :

ما نَظْرةٌ إلا لها سَكْرَةٌ * كأنَّما طَرْفُك خَمَّارُ
هذا هوًى يَصْدُرُ عنه جَوًى * يَتْلُوه لَوْعاتٌ وأفْكارُ
وهذه أفعالُها هذِه * ما بعد رَأْى العينِ إخبارُ
ولم يكُن أوّلَ مَنْ غرنِى * كلُّ غَرير الطَّرْف غَرَّارُ

وقال أبو شجاع الوزير :

لَأُعذِّبَنَّ العينَ غيْرَ مُفكِّرٍ * فيها جرَتْ بالدمعِ أم فاضَتْ دَمَا
ولأَهْجُرَنَّ من الرُّقاد لذيذَهُ * حتَّى يصيرَ على الجُفُون مُحرَّما
سفَكَتْ دمِى فلأَسْفِكنّ دموعَها * وهى التى بَدَأتْ فكانتْ أظلَما
هىْ أوقعَتْنِى فى حبائل فتنةٍ * لو لم تَكُنْ نظرَتْ لكنتُ مسَلَّما

وقال آخر عفا الله عنه :

يا عينُ أنت قتَلْتِنى * وجعَلْتِ ذنْبَك من ذُنوبِى
وأراكِ تَهْوَيْنَ الدمو * عَ كأنَّها وَفْق الحبيبِ
تالله أحلِفُ صادقًا * والصِّدقُ من شِيَمِ الأريبِ
لو مُيِّزَتْ نُوَبُ الزما * ن من البعيد الى القَريب
ما كُنَّ إلا دُونَ مَا * جنَتِ العيونُ على القُلُوب

وقال آخر وأجاد :

أنا ما بينَ عَدُوَّيْنِ هما قلبي وطَرْفِي
ينظُر الطَّرْفُ ويهوى الـقَلْبُ والمقصودُ حَتْفِي

وقال ٱبن الحريرىّ :

فَتَصَبَّرْ ولا تَشِمْ كلَّ بَرْقٍ * رُبَّ برقٍ فيه صَواعِقُ حَيْنِ
وٱغضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِحْ من غَرَامٍ * تكتسِي فيه ثوبَ ذُلٍّ وشَيْنِ
فَقِيادُ الفَتى موافقةُ النفـس وبَدْءُ الهوى طُمُوحُ العَيْنِ

فصـــل

قالوا : ومن أسباب العشق سماع الغِناء وإنشاد الغَزَل ؛ فإن ذلك يصور فى النفس نقوش صور فتخمِّر خميرةَ صورة موصوفة ، ثم تصادف نظرا مستحسنا ، فتتعلق النفس بما كانت تطلبه حالة الوصف .

فصـــل

وذكر بعض الحكماء أنه لا يقع العشق إلا لمجانس ، وأنه يضعف ويقوى على قدر التشاكل . واستدل بقول النبىّ صلى الله عليه وسلم : "الأرواحُ جنودٌ مُجَنَّدة ما تعارَفَ منها ٱئتلَفَ وما تناكَرَ منها اختَلَفَ" . قال : وقد كانت الأرواح موجودة قبل الأجسام ، فمال الجنس الى الجنس ؛ فلما افترقت فى الأجساد بقى فى كل نفس حب ما كان مقارنا لها . فإذا شاهدت النفس من نفسٍ نوعَ موافقة مالت إليها ظانّةً أنها هى التى كانت قرينتَها . فإن كان التشاكل فى المعانى كانت صداقةً

ومودّة، وإن كان فى معنى يتعلق بالصورة كان عشقا . وإنما يوجد الملل والإعراض من بعض الناس لأن التجربة أبانت ارتفاع المجانسة والمناسبة .

وأنشدوا على ذلك :

وقائلٍ كيْفَ تهاجَرْتُما * فقلتُ قَوْلا فيه إنْصافُ
لم يَكُ من شَكْلى ففارَقْتُه * والناس أَشْكال وأُلَّافُ

قال أبو الفرج بن الجوزىّ : فإن قيل : إذا كان سبب العشق نوعَ موافقة بين (٤٧) شخصين فى الطباع، فكيف يحب أحدهما صاحبه والآخر لايحبه؟ فالجواب أنه يتفق فى طبع المعشوق ما يوافق طبع العاشق ، ولا يتفق فى طبع العاشق ما يلائم طبع المعشوق . فإذا كان سبب العشق اتفاقا فى الطباع بطل قولُ من قال : إن العِشق لايكون إلا للأشياء المستحسنة . إنما يكون العِشق لنوع مناسبة وملاءمة، ثم قد يكون الشىء حسنا عند شخص غير حسن عند آخر . وحكى على ذلك حكاية رفعها بالسند الى علىّ بن الحسين القرشىّ عن رجل من أهل المدينة كان أديبا ظريفا طَلَّابا للأدب والمُلَح، قال : كنت يوما فى مجلس رجل من قريش ومعَنا قَيْنَة ظريفة حَسَنة الصورة، ومعنا فتًى من أقبح مارأته العين، والقَيْنة مقبلة عليه بحديثها وغنائها . فبينا نحن كذلك إذ دخل علينا فتًى من أحسن الناس وجهًا، وأسراهم (١) ثوبا، وأطيبهم ريحا، فأقبل علىّ صاحب البيت فقال : إن فى أمر هذين لعجبا ! قلت : وما ذاك ؟ قال : هذه الجارية تحب هذا (يعنى القبيحَ الوجهِ) وليس لها فى قلبه محبة، وهذا الحسن الوجهِ يحبها وليس له فى قلبها محبةٌ . فبينا نحن على شرابنا إذ سرّ الفتى الحسن الوجه فتغنَّى وقال :

---

(١) فى الأصول : «وأثراهم» بالثاء المثلثة، والصواب ما أثبتناه (بالسين المهملة) أى أجودهم ثوبا . والسرىّ : الجيد من كل شئ .

بِيَدِ الذى شُغِفَ الفؤادُ بهم * فَـرَجُ الذى أَلْقَ من السُّقْمِ
فاستيقِنِي أنْ قد كَلِفتُ بكم * ثم ٱفْعَـلِي ما شِئْتِ عن عِلْمِ

فأقبلت عليه وقالت : قد علمنا ذاك ، فَمَهْ ثم تركته ، وأقبلت على القبيح الوجه ، فلبثنا ساعة ، ثم تغنى الفتى أيضا :

أَلَا ليتنِي أعمى أصمُّ تقودُنِي * بُثَيْنَـةُ لا يخفَى علىَّ كلامُها

فقالت : اللهم أعط عبدك ماسأل ، فغاظتنى ، فقلت لها : يافاجرة تختارين هذا ، وهو أقبح من ذنوب المُصِرِّين على هذا الذى هو أحسنُ من توبة التائبين ، فقالت لى : ليس الهوى بالآختيار ، ثم أنشأت تغنى وتقول :

فلا تَلُمِ المُحِبَّ على هَـوَاه * فكلّ متـيَّمٍ كلِفٍ عمـيدِ
يَظُنُّ حبيبَه حَسَنا جمـيلًا * وإن كان الحَبِيبُ من القُرودِ

فقلت : أجل إنه لكما قلتِ ، وليس فى هـذا حيلة ، وذكرت قول عُمَر ابن أبى ربيعة :

فتَضاحَكْنَ وقـد قُلْن لنا * حَسَنٌ فى كلِّ عينٍ مَنْ(١) تَوَدّ

فصـــل

قالوا : ويتأكد العشق بإدمان النظر ، وكثرة اللقاء ، وطول الحديث ؛ فإن ٱنضم إلى ذلك معانقة أو تقبيل فقد تمَّ ٱستحكامُه .

وقد ذكر حكماء الأوائل أنه إذا وقعت القُبَل بين ، المُتَحابَّيْن ووصلت بِلَّة من ريق كل واحد منهما إلى مَعدة الآخَر ، ٱختلط ذلك بجميع البدن ووصـل إلى جِرْم

---

(١) فى الأصول « ما » وماأثبتناه أنسب .

الكبد، وهكذا إذا تنفس كل واحد منهما فى وجه صاحبه، فإنه يخرج مع ذلك النفس شيءٌ من نسيم كل واحد منهما فيختلط بأجزاء الهواء، فإذا آستنشق من ذلك الهواء دخل فى الخياشيم، فوصل بعضه إلى الدماغ فسرى فيه كسَرَيان النُّور فى جِرْم البِلَّور، ووصل بعضه إلى جِرْم الرئة، ثم إلى القلب فَيدِبُّ فى العروق الضوارب فى جميع البدن فينعقد فى بَدَن هذا ما تحلل من بَدَن هـذا فيصير مزاجا، فيتولد به العشق ويَنْمى . هذا ما قيل فى سبب العشق والله أعلم .

* * *

وأما ما قيل فى مدحه وذمه والممدوح منه والمذموم، قال آبن الجوزى فى كتابه المترجم بـ "ذَمِّ الهوى" : آختلف النـاس فى العشق، هل هو ممـدوح أو مذموم . فقال قوم : هو ممدوح، لأنه لا يكون إلا من لَطَافة الطبع، ولا يقع عند جامد الطبع . ومن لم يجد منه شيئا فذلك من غِلَظ الطبيعة . فهو يجلو العقولَ، ويصفِّى الأذهان، ما لم يُفْرِط . فإن أفرط عاد سُمًّـا قاتلا . وقال آخرون : هو مذموم، لأنه يستأسر العاشق ويجعله فى مقام المستعبَد . قال : قلت : وفصل الحكم فى هذا الفصل أن نقول : أما المحبة والودّ والميل إلى الأشـياء المستحسنة والملائمة فلا يُذَم، وأما العشـق الذى يزيد على حدّ الميـل والمحبة فيملِك العـقلَ ويُصرِّف صاحبه على غير مقتضى الحكمة فذلك مذموم ويتحاشى من مثله الحكماء .

هذا ما قيل فى مدحه وذمّه مجملا، والله تعالى أعلم .

* * *

فأما الممدوح منه، وهو الذى قدّمنا ذكره، فقـد وقع فيه جماعة من الخلفاء والأكابر فلم يُعَب عليهم ولا تَنَقَصهم . وقد تكلموا فى مدحه وتفضيله بمـا سنذكر منه إن شاء الله تعالى طَرَفا .

(٤٨) فقالوا : العشق يولِّد الأخلاقَ الحميدة، وقالوا : لو لم يكن فى الهوى إلا أنه يشجِّع الجبانَ، ويصفِّى الأذهان، ويبعث حزم العاجز ، لكفاه شرفا .

وقال أعرابى : من لم يُحِبَّ قط فهو ردىء التركيب جافى الطبع كَزُّ المعاطف .

وقد روى أن الشعبىّ كان ينشد :

إذا أنتَ لم تَعْشَق ولم تَدْرِ ماالهوى * فأنْتَ وعَــيْرٌ فى الفَــلَاة سَواء

وسمع آبنُ أبى مليكة غناء وهو يؤذِّن فطَرِب ، فقيل له فى ذلك ، فقال :

إذا أنت لم تَطْرَبْ ولم تَدْرِ ما الهــوى * فكن حَجَرا من يابسِ الصَّخر جَلْمَدا .

وسئل أبو نوفل : هل يَسْلَم أحدٌ من العشق؟ فقال : نعم ، الجِلْفُ الجافى الذى ليس فيه فضل ، ولا عنده فَهْم ، فأما من فى طبعه أدنى ظَرْف ، أو معــه دَماثة أهل الحجاز و رقَّةُ أهل العراق ، فهيهات .

وحكى أبو الفرج بن الجوزى بسند يرفعه إلى اليمان بن عمرو مولى ذى الرياستين ، قال : كان ذو الرياستين يبعثنى ويبعث أحداثا من أهله إلى شيخ عالم بخرسانَ ، له أدبٌ وحسنُ معرفة بالأمور ، ويقول لنا : تعلَّموا منه الحكمة ، فإنه حكيم ! و كنا نأتيه ، فإذا آنصرفنا من عنده سألنا ذو الرياستين وآعترض ما حفظناه فنخبره به ، فقصدناه ذات يوم فقال : أنتم أُدباءُ ، وقد سمعتم الحكمة ولكم جِدَاتٌ ونِعَمٌ ، فهل فيكم عاشق؟ فقلنا : لا . فقال : آعشَقُوا ، فإن العشق يُطْلِق اللسان العَيِىّ ، و يفتح حِيلَة البليد ، ويبعث على التنظيف ، وتحسين اللبـاس ، وتطييب المَطْعَم ، و يدعو الى الحركة والذَّكاء ، و يُشَرِّف الهمة ، و إياكم والحرام ، فانصرفنا من عنده الى ذى الرياستين ، فسألَنا عما أخذنا فى يومنا ذلك فهِبْنَاه أن نخبره ، فعزَم علينا فأخبرناه ، فقال : صدَق والله ، فهل

تعلمون من أين أخذ هذا؟ فقلنا : لا . قال ذو الرياستين : إن بَهْرامَ جُور كان له ابن، وكان قد رشَّحه للأمر من بعده، فنشأ الفتى ناقصَ الهمة، ساقطَ المُروءة، خامل النفس، سيئ الأدب. فغمه ذلك ووكَّل به من يلازمه من المؤدِّبين والحكماء ليعلموه، فكان يسألهم عنه فيحكون عنه مايغُمُّه من سوء فهمه وقلة أدبه، الى أن سأل بعض مؤدِّبيه يوما فقال له المؤدِّب : قد كنا نخاف سُوءَ أدبه، فحدث من أمره ما صيَّرنا الى اليأس من فلاحه ، قال : وما ذاك الذى حدث ؟ قال : إنه رأى ابنــة فلان المَرْزُبان فعشقَها حتى غلب عليــه هواها ، فهو لا يَهْــذِى إلا بها ، ولا يتشاغل إلا بذكرها. فقال بهرام : الآن رجوتُ فلاحه، ثم دعا بأبى الجارية، فقال : إنى مُسِرٌّ إليك سرّا فلا يعدُوَنَّك، فضمن له ستره، فأعلمه أن ابنه قد عَشِق ابنته، وأنه يريد أن ينكِحَها إياه، وأمره أن يأمرها بإطماعه فى نفسها، ومراسلته من غير أن يراها، فإذا استحكم طمعه فيها تجنّتْ عليه وهَجَرتْه، فإن استعتبها أعلمتْه أنها لا تصلح إلا لملك، ومَنْ همته همة الملوك، وأنه يمنعُها من مواصلته أنه لا يصلح للمُلْك، ثم ليعلمه خبرهما، فقبل أبوها ذلك منه. ثم قال للمؤدِّب الموكل به : خوّفه منى وشجعه على مراسلة المرأة، ففعل ذلك وفعلتْ الصبيّة ما أمرها به أبوها. فلما انتهت الى التجنى عليه، وعلم الفتى السبب الذى كرهتــه له ، أخذ فى الأدب وطلب الحكمة والعلم والفُروسـية والرِّماية وضرب الصوالجــة حتَّى مَهَر فى ذلك . ثم رفع الى أبيــه أنه محتاج من الدوابّ والآلات والمطاعم والملابس والنـدماء الى فوق ما عنده . فَسُر الملك بذلك ، وأمر له بمـا طلب . ثم دعا مؤدّبه فقال : إن الموضع الذى وضع به ابنى نفسه من حبِّ هذه المرأة لا يُزْرِى به. فتقدّمْ اليه أن يرفع ذلك الىّ ويسألنى أن أزوّجه إياها. ففعل ورفع الفتى ذلك الى أبيه، فاستدعى أباها، وزوّجه بها، وأمر بتعجيلها اليه، وقال له : إذا اجتمعتَ بها فلا تُحْدِث شيئا حتَّى آتيك، فلما اجتمع أتاه، فقال : يابُنَىَّ لا يضعنَّ

منها عندك مراسلتُها إيَّاك وليست فى حبالك ، فإنى أنا أمرتها بذلك ؛ وهى أعظم الناس منَّةً عليك بما دعتك إليه من طلب الحكمة، والتخلق بأخلاق الملوك، حتَّى بلغت الحدّ الذى تصلح معه للمُلْك بعدى . فزِدْها من التشريف والإكرام بقدر ما تستحق منك، ففعل الفتى ذلك، وعاش مسرورا بالجارية، وعاش أبوه مسرورا به، وأحسن ثواب أبيها ، ورفع مرتبته وشرفه بصيانة سره وطاعته، وأحسن جائزة المؤدّب ، (٤٩) وعقد لآبنه على المُلْك من بعده .

قال اليمان : ثم قال لنا ذو الرياستين : سلوا الشيخ الآن : لِمَ حملكم على العشق؟ فسألناه، فحدّثنا بحديث بهرام جور وآبنه .

فهذا ممن آرتفع بالهوى وترقَّى بسببه إلى مرتبة الملك .

وحكى آبن الجوزىّ أيضا قال : حدّث القاسم بن محمد النُّمَيْرِىّ قال : ما رأيت شابا ولا كهلا من ولد العباس أصونَ لنفسه، وأضبطَ لجأشه، وأعفَّ لسانا وفَرْجا من عبد الله بن المعتزّ، وكان ربما عَبْثنا بالهزل فى مجالسه، فجرى معنا فيه فيما لا يقدح به عليه قادح؛ وكان أكثَرَ ما يَشْغَل به نفسه سماعُ الغناء؛ وكان كثيرا ما يَعيب العِشْق و يقول : هو ضرب من الحمق؛ وكان اذا رأى منا من هو مطرق أو مفكِّر اتهمه بالعشق و يقول : وقعْتَ والله يافلان، وقلّ عقلك وسَخُفْتَ، الى أن رأيناه، وقد حدث به سهو شديد، وفكر دائم، وزفير متتابع، وسمعناه ينشد أشعارا منها :

ما لِى أَرَى الـــثُّرَيَّا * ولا أَرَى الرَّقِيبـا
يا مُرْسِـــلًا غزالًا * أما تَخَـافُ ذيبَـا

وسمعناه مرة أخرى ينشد وهو يشرب فى إناء قد لفه، فاتهمناه فيه، وكتب عليه هذا الشعر :

ما قَليـلٌ منكَ لى بقَليـلِ * يا مُنى عينى وغايةَ سـولِى

سَـل بحقِّ الله عينيكَ عنِّى * هل أحَسَّتْ فى الهوى بقَتِيلِ
أنت أفسدْتَ حياتِى بهَجْرٍ * ومَمَـاتِى بحِسابٍ طَـويلِ

وأنشـد :

أَسَرَ الحُبُّ أمِـيرًا * لم يكُنْ قبْـلُ أسيرا
فارحَمُـوا ذُلَّ عَزيز * صار عَبْدًا مستَجيرا

وأنشد يوما وقد رأى دار بعض الناس فقال :

أيا دارُكَمْ فِيكِ من لَذَّةٍ * وعَيْشٍ لنا كانَ ما أطْيَبَهْ
ومن قَيْنةٍ أفسَدتْ ناسكًا * وكانَتْ له فى التُّقى مَرْتَبَهْ

وقال أيضا مرّة :

لقـد قتلَتْ عيناكَ نفْسًا كريمـةً * فلا تأمَنَنْ إن مُتُّ سَـطْوَةَ ثائرِ
كأنَّـ فؤادِى فى السَّماء معَلَّقٌ * إذا غِبْتَ عن عينِى بمِخْلَب طائرِ

وأنشد يوما وفى يده خاتم :

حَصَلْتُ منك على خا * تَمٍ حـوَتْه البنـانُ
فمـا يُفـارِقُ كَفِّى * كأنَّه قَهْرمانُ
يأهلَ وُدِّى بَعُدْتُم * وأنـتُمْ جِـيرانُ

قال النميرىّ : فقلتُ له : جعلنا الله فداك ، هذه أشياء قد كنت تعيب أمثالها منا ، ونحن الآن ننكرها منـك ، وكان يرجع عن بعض ذلك تصنعا ، ثم لا يلبث مستوره أن يظهر حتى تحقق عنـدنا عشقه ، ودخل فى طبقة المرحومين ، فسمعته يوما ينشد :

مَكْتُومُ يا أحسَنَ خلقِ الله * لا تَتْرُكِينِى هكذا باللهِ

ثم تنفس إثر ذلك فأجبته :

قد ظَفِر العِشقُ بعبد الله * وٱنْهتكَ السِّترُ بحمد الله
فقل له سَمِّ لنا سَيِّدى * هذا الذى تَهْوى بحقِّ الله

فضحك وقال : لا، ولا كَرامة !

فكتبتُ إليه من الغَد :

بكَتْ عينُــه وشَكَا حُرقةً * من الوَجْد فى القَلْب ما تنطفِى
فقلتُ لَهُ سيِّدى ما الذى * أرى بِكَ قال سَقَام خَفِى
فقلتُ أعِشْقٌ فقال ٱقْتصِر * على ما تَرى بى أما تَكْتَفِى

فكتب إلىّ :

يا مَنْ يُحدِّث عَنِّى * بظَنِّ سمــع وعيْنِ
إن كنتَ تَخْطُب سِرِّى * فارجِعْ بخُفَّىْ حُنَيْنِ

فكتبت إليه :

هَيْهاتَ لحظك عِنْدى * يُقِـرُّ فيــه بعِشْـقِك
دَعْ عنــك خُفَّىْ حُنَيْنٍ * وٱحْرِص على حَلِّ رِبْقك
تعالَ نَحْتالُ فيمــا * تهـوى برِفْقِى ورفْقِـك

وصرتُ إليه فقال : يا أبا طيب، قد عصيتُ إبليسَ أكثر مما عصى ربه إلى أن أوقعنى فى حبائله، فأنشدته :

من أيْنَ لا كان إبليـ * ـسُ جاءنى بِكَ يَسْعَى
أبْداكَ لى من بَعِيــدٍ * فقلت طَوْعًا وسَمْعًا

فأخبرنى بقصته، فسعيت له بلطيف الحيلة وأعاننى بحزم الرأى حتّى فاز بالظفر.

قال أبو بكر الصولى : آعتل عبد الله بن المعتز فأتاه أبوه عائدا وقال : ما عراك يا بنىّ؟ فانشأ يقول :

أيُّها العاذلُونَ لا تَعْذُلُونِى * وآنظُروا حُسْنَ وجهها تَعْذرُونى
وآنظروا هل تَرَوْنَ أحسنَ منها * إن رَأَيْتُم شَبِيهها فآعذُلُونِى
بى جُنُون الهوى وما بى جُنُونٌ * وجُنونُ الهوى جُنونُ الجنونِ

قال : فتتبع أبوه الحال حتّى وقع عليها، فابتاع الجارية التى شُغِف بها بسبعة آلاف دينار ووجّهها إليه .

وحكى أن الرشيد كان له ثلاث جوارٍ آشتد شغفه بهنّ، فقال العباس بن الأحنف على لسانه :

مَلَك الثَّلاثُ الآنِساتُ عِنانِى * وَحَلَلْنَ من قلبى بكُلِّ مكانِ
مالى تُطاوعُنِى البريّةُ كلُّها * وأُطِيعُهنَّ وهُنَّ فى عِصْيانِى؟
ما ذاك إلا أن سلطان الهوى * وبه عززن أعزُّ من سلطانِى

أخذ المعنى والروىَّ سليمان بن الحَكَم المستعين أحدُ خلفاء بنى أمية بالأندلس فقال :

عَجبًا يهابُ الليثُ حدّ سِنَانِى * وأهابُ لَحْظ فَواتِرِ الأجْفانِ
وأقارعُ الأهوالَ لا متَهيِّبًا * منها سِوى الإعراض والهِجْرانِ
وتملَّكتْ نفسِى ثلاثٌ كالدُّمى * زُهرُ الوُجُوهِ نواعمُ الأبدانِ
ككوا كِبِ الظلْماء لُحْنَ لناظِرٍ * من فوقِ أغصانٍ على كُثْبانِ
هذى الهِلالُ وتلك بنتُ المشترِى * حُسْنًا وهذِى أختُ غُصنِ البانِ
حاكمتُ فيهنّ السُّلُوَّ إلى الصِّبا * فقضى لسُلْطانٍ على سُلطانِ

فأبحْنَ من قلبى الحِمَى وثَنَيْنَنى * عن عِزّ مُلْكِى كالأسير العانِى
لا تَعْذِلوا مَلِكا تذلّل فى الهوى * ذُلُّ الهوى عِزٌّ ومُلْك ثانِى
إن لم أُطِعْ فيهنّ سُلطانَ الهوى * كَلَفا بهنّ فلسْتُ من مَرْوانِ
وإذا الكريمُ أحَبَّ أمَّن إلفَهُ * خَطْبَ القِلَى وحوادثَ السُّلْوانِ

وقال العباس :

لا عارَ فى الحُبِّ إنَّ الحبَّ مَكْرُمَةٌ * لكنّه ربّما أزْرى بذى الخَطَر

❖

وأما القسم المذموم منه، وهو الذى ثَنَّينا بذكره فى صدر هذا الفصل فقد أكثر الناس القول فى ذمه، و بيّنوا أسبابه .

فقال ٱبن الجوزىّ : بيان ذمه أن الشئ إنما يعرف مذموما أو ممدوحا بتأمل ذاته وفوائده وعواقبه، وذات العشق لَهَج بصورة، وهذا ليس فيه فضيلة فتمدح، ولا فائدةَ فى العشق للنفس الناطقة، إنما هو أثر غلبة النفس الشَّهْوانية .

وقال بعض الحكماء : ليس العشق من أدواء الحُصَفاء الحكماء، إنما هو من أمراض الخُلَعاء الذين جعلوا دأبهم ولهَجهم متابعةَ النفس، و إرخاءَ عِنان الشهوة، و إمراح النظر فى المستحسنات من الصور . فهنالك تتقيد النفس ببعض الصور فتأنس ثم تألف، ثم تَتُوق، ثم تَلْهَج، فيقال: «عَشِق» . وليس هذا من صفة الحكماء: لأن الحكيم من ٱستطال رأيُه على هواه، وتسلطت حكمتُه على شهوته؛ فرُعُونات طبعه مقيَّدة أبدا كصبىّ بين يدى معلمه أو عبد بمرأى سيده؛ وما كان العشق قط إلا لأرعن بَطَّال . وقَلّ أن يكون لمشغول بصناعة أو بتجارة، فكيف لمشغول بالعلوم والحكم، فإنها تصرفه عن ذلك . ولهذا لا تكاد تجده فى الحكماء .

(٥١) وقال ٱبن عُقَيل: العشــق مرض يعترِى النفوس العــاطلة، والقلوب الفارغة المتلمحة للصور لدواعٍ من النفس، و يساعدها إدمان المخالطة، فيتأكد الإِلْف، و يتمكن الأنس، فيصير بالإدمان شَــغَفا؛ وما عَشِق قط إلا فارغٌ؛ فهو من علل البَطَّالين، وأمراض الفارغين من النظر فى دلائل العبر، وطلب الحقائق؛ المستدل بها على عِظَم الخالق. ولهذا قلما تراه إلا فى الرُّعْن البَطِرين، وأرباب الخلاَعة النَّوكى. وما عَشِق حكيم قط، لأن قلوب الحكماء أشدّ تمنعا عن أن توقفها صورة من صُوَر الكون مع شدّة تطلبها، فهى أبدا تلحظ وتَخْطَف ولا تقف. وقَلَّ أن يحصل عشق من لمحة، وقَلَّ أن يُضِيف حكيم إلى لَمْحَــة نظرةً، فإنه مارّ فى طلب المعــانى، ومن كان طالبا لمعرفة الله لا توقفه صورة عن الطلب لأنها تحجبه عن الصور.

وقال ابن الجوزىّ: وٱعلم أن العشاق قد جاوزُوا حدّ البهائم فى عدم ملكة النفس فى الانقياد إلى الشهوات، لأنهم لم يرضَوْا أن يصيبوا شهوة الوطء وهى أقبح الشهوات عند النفس الناطقة من أىّ موضع كان حتى أرادوها من شخص بعينه فضمُّوا شهوة إلى شهوة، وذَلُّوا للهوى ذلّا على ذل. والبهيمة إنمــا تقصد دفع الأذى عنها حسبُ؛ وهؤلاء استخدموا عقولهم فى تدبير نيل شهواتهم.

ثم قال: والعشق بَيِّن الضرر فى الدِّين والدنيا؛ أما فى الدِّين فإنه يشغَلُ القلب عن الفكر فيما به خُلِق من معرفة الله تعالى، والخوف منه، والقرب إليه؛ ثم ينفذ ما ينال من موافقة غرضه المحرّم الذى يكون فيه خُسْران آخرته، و يعرّضه لعقوبة خالقه. فكلما قَرُب من هواه، بَعُد من مولاه. ولا يكاد العشق يقع فى الحلال المقدور عليه فان وقع فياسْرعان زوالُه. قالت الحكماء: كل مملوك مملول. وقال الشاعر:

وزادنى شَغَفا بالحبِّ أن مَنَعتْ * أَحَبُّ شىء إلى الإنسان ما مُنِعا

فان كان المعشوق لا يباح اشتدّ القلق به والطلب له ؛ فان نيل منه غرض فالعذاب الشديد فى مقابلته . على أن بلوغ الغرض يزيد ألمًا فتربى مرارة الفراق على لذّة الوصال . كما قال الشاعر :

كلّ شيء رَبْحُتُه فى التّدانِى * والتّلاقِى خَسِرْتُه فى الفِرَاق

فان منعه خوفُ الله تعالى عن نيل غرض فالامتناع عذاب شديد فهو معذب فى كل حال .

هذا ضرره فى الدين .

وأما ضرره فى الدنيا فانه يورث الهَمّ الدائم ، والفكر اللازم ، والوسواس ، والأرَق ، وقلة المَطْعَم ، وكثرة السهر ، ويتسلط على الجوارح فتنشأ الصفرة فى البدن ، والرِّعدة فى الأطراف ، واللّجلجة فى اللسان ، والنُّحول فى الجسد . فالرأى عاطل ، والقلب غائب عن تدبير مصلحة ، والدموع هواطل ، والحسَرات تتتابع ، والزَّفرات تتوالى ، والأنفاس لا تمتدّ ، والأحشاء تضطرم ؛ فاذا غشّى على القلب غشاء ثانيا أخرج إلى الجنون ، وما أقرَبَه حينئذ من التلف !

قال : هذا ، وكم جنى من جناية على العرض ، ووَهّن الجاه بين الخلق ، وربما أوقع فى عقوبات البدن وإقامة الحدود .

وقال جالينوس : العشق من فعل النفس ، وهى كامنة فى الدماغ والقلب والكبد .

وفى الدماغ ثلاثة مساكن :

مسكن للتخيّل ، وهو فى مقدّم الرأس ؛ ومسكن للفكر ، وهو فى وسطه ؛ ومسكن للذّكر ، وهو فى مؤخّره .

ولا يسمى عاشقا إلا من إذا فارق معشوقه لم يخل من تخيله فيمتنع من الطعام والشراب باشتغال الكبد، ومن النوم باشتغال الدماغ بالتخيل والفكر والذكر، فيكون جميع مساكن النفس قد اشتغلت به .

وقال الجاحظ : ذُكر لى عن بعض حكماء الهند أنه قال : إذا ظهر العشق عندنا فى رجل أو امرأة غَدَونا على أهله بالتعزية .

قال : وبلغنى أن عاشقا مات بالهند عشقا ، فبعث ملك الهند إلى المعشوق فقتله به .

وقال الربعى : سمعت أعرابية تقول : مسكينٌ العاشق ! كل شىء عدوه ، هُبُوب الريح يُقْلِقه ، ولَمَعان البرق يؤرّقه ، ورسوم الديار تُحْرِقه ، والعــذْل يؤلمه ، والتذكُّر يُسْقِمه ، والبعد والقُرْب يهيجه ، والليل يُضاعف بلاءه ، والرقاد يهرُب منه . ولقد تداويتُ بالقرب والبعد فلم ينجع فيه دواء ، ولا عَزَّانى(١) عزاء .

وقال شاعر :

وقد زَعَمُوا أنّ المحبَّ إذا دنَا * يُمَلّ وأن النَّأْىَ يَشْــفِى من الوجْد
بكلٍّ تداوينا فــلم يُشْفَ ما بِنَـا * على أنَّ قُرْبَ الدار خيرٌ من البعد

وأنشد المــارستانىّ :

إذا قَــرُبَتْ دارٌ كلِفْتُ وإن نأَتْ * أَسِفتُ فلا بالقُرْب أسلُو ولا البُعْدِ
وإن وعَدَتْ زاد الهَوى لانتظارها * وإن بَخِلتْ بالوعد مُتُّ على الوعْدِ
ففى كُلِّ حبٍّ لا محــالَةَ فَرْحةٌ * وحُبُّك ما فيــه سِوى مُحكَم الجَهْدِ

(٥٣) وحكى الزبير بن بكّار قال : حدّثنى موهوب بن راشد قال : وقفت امرأة من بنى عُقَيل على أختٍ لهـا فقالت لهـا : يافلانةُ ، كيف أصبحتِ من حبِّ فلان؟ قالت : قَلْقَلَ والله حبُّه الساكنَ ، وسكَّن المتحرّك ، ثم أنشدتها :

---

(١) فى الأصول : « ولاعزّ بى » وما أثبتناه أنسب لاستقامة المعنى .

ولو أنَّ مابى بالحصى فَلَقَ الحصى * وبالرِّيح لم يُسمَعْ لهُنَّ هُبُوبُ
ولو أنَّنِى أستغفِرُ الله كلَّما * ذكرتُك لم يُكتَبْ علىَّ ذُنُوبُ

قالت : لاجَرَمَ والله، لا أقف حتَّى أسأله كيف أصبح من حبِّك، فجاءته فسألته فقال : إنما الهوى هَوَانٌ ، وإنما خُواف باسمه، وإنما يعرف ما أقول من كان مثلى قد أبكته المَعَارِف والطلول .

وقال مسلم بن عبد الله بن جندب الهذلىّ : خرجت أنا وريان السواق الى العقيق فلقينا نسوةً نازلات من العقيق ذوات جمالٍ وفيهن جارية حسناء العينين، فأنشد ريان قولَ أَبِى :

أَلَا ياعبادَ اللهِ هذا أخُوكُمُ * قَتِيلٌ فهلَّا فيكُمُ اليومَ ثائِرُ
خُذُوا بدَمى إن متُّ كلَّ خَرِيدةٍ * مريضةِ جَفْنِ العين والطَّرْف ساحرُ

وأقبل علىّ وأشار إليها فقال : يا بن الكرام، دمُ أبيك فى أثوابها فلا تطلب أثرا بَعْدَ عين، قال : فأقبلت علىّ امرأة جميلة، أجملُ من تيك، فقالت : أنت ابن جندب ؟ فقلت : نعم، فقالت : إن أسيرنا لا يُفَكُّ، وقتيلنا لا يُودى ، فاحتسب أباك، واغتنم نفسك ! ومَضَيْن .

ذكر شىء من الشعر المقول فى ذم العشق والحب

قال الأَصْمَعِىّ : سئل أعرابىّ عن الحُبِّ فقال : وما الحب؟ وما عسى أن يكون؟ هل هو إلا سحر أو جنون ثم قال :

هَلِ الحُبُّ إلا زَفْرَةٌ بعد زَفْرةٍ * وحَرٌّ على الأحشاءِ ليس له بَرْدُ
وفَيْضُ دموعِ العينِ منِّى كلَّما * بدا عَلَمٌ من أرضكُمْ لم يكُنْ يَبْدُو

وقال : قلت لأعرابى : ما الحب ؟ فقال :

الحُبُّ مَشْغَلَةٌ عن كلّ صالحـةٍ * وَسَكْرَةُ الحبِّ تنْفِى سَكْرَةَ الوَسَن

وقال محمد بن عبد الله بن مُنَاذِر :

مَنْ فتًى أصـبَحَ فى الحُبِّ سَـقَاه الحُبُّ سُمَّـا
كُلَّما أخْفى جـوى الحُبِّ عليـــه الدمع نَمَّـا
سـاهرٍ لا يَطْعَم النوْ * مَ إذا الليـل أدْلَهَمَّا
كُلَّمـا راقَبَ نَجْمـا * فَهَوى راقبَ نَجْمـا
أنتُمُـــو هَمِّى فإن لم * تَصِلُونِى متُّ غَمَّـا
يا ثِقَاتِى خَطَـمَ الحُبُّ لكُمْ أنْـفِى وزَمَّا
يا أخِى دائِى جَوى الحبِّ وداءُ النـاسِ حُمَّى
لا تَـلُمْ مُفْتَضِحا فى الْـ * ـحُبِّ إن الحُبَّ أعمى

وقال محمد بن أبى أُمية :

فوالله ما أَدْرى أمن لوعةِ الهَوى * صَبَرتُ على التقصير أم ليس لى قَلْبُ
أُقَبِّــحُ أمرا والفـؤاد يودّه * أجُنَّ فُؤادى فى الهَوى بل هو الحُبُّ

وقال أبو عُبادة البحترى :

قال بُطْـلا وأَفَال الرأى مَنْ * لم يقُلْ إن المَنَايا فى الحَدَقْ
إن تَكُنْ مُحْتَسِبًا مَنْ قد ثَوى * بِحِمام فاحتَسبْ من قد عَشق

وقال أبو تمـام :

أمَّا الهوى فهو العذابُ فإن جَرَتْ * فيـــه النَّوَى فالتَّيْمُ كُلّ التَّيْمِ

وقال ابن أبى حُصينة :

والعِشقِ يجتذِبُ النفوسَ الى الرَّدى * بالطَّبْـع واحَسَدًا لمن لم يَعْشَــقِ
طَرَق الخيــالُ فهاج لى بطُروقه * ولَهًـا فليتَ خَيالَهـا لم يَطْــرُق

وقال صالح بن عبد القدوس :

عاصِ الهَوى إن الهوى مَرْكَبٌ * يَصْعُبُ بعد اللّين منه الذَّلُولْ
إن يَجْلُبِ اليَوْمَ الهَوى لَذَّةً * ففى غَدٍ منه البُكا والعَوِيلْ

وقال ابن المعتزّ :

فَكأنَّ الهَوى امرُؤٌ عَلَوِىٌّ * ظَنَّ أنّى ولِيتُ قَتْل الحُسَيْنِ
وكأنّى لَدَيْهِ نَجْلُ زِيادٍ * فهو يَخْتارُ أوجَعَ القِتْلَتَيْنِ

(٥٣) وقال أبو عبد الله بن الحجاج :

وَيْحَكَ يا قَلْبِىَ ما أغْفَلَكْ * تَعْشَق مَنْ يعشَقُ أن يقْتُلَكْ
وأنتَ يا طَرْفِىَ أوقَعْتَنِى * وَيْحَكَ يا طَرْفِىَ مالى ولَكْ
قد كانَ من حَقِّ بكائى على * تَبَتُّلِى بالحُبِّ أن يَشْغَلَكْ
حتّى توصلت لقَتْلِى فلا * كُنْتَ ولا كانَ الذى أرْسَلَكْ

وقال عبد المحسن بن غالب الصورىّ :

وكانَ ابتداءُ الذى بى مُجُونا * فلَمَّا تمَكَّنَ أمسى جُنونَا
وكنتُ أظُنُّ الهوى هَيِّنا * فلاقَيْتُ منه عَذَاباً مُهِينا

وقال أبو بكر بن محمد بن عمر العنبرىّ :

يا صاحِ إنّى مُذْ عرفْتُ الهوى * غَرِقْتُ فى بحر بِلَا ساحِلِ
عَيْنِى لِحَيْنِى نَظَرتْ نظرةً * رُحْت بها فى شُغُلٍ شاغِلِ
عُلِّقْتُه فى البيتِ من فارسٍ * لكنَّه فى السِّحْر من بابِلِ
يَظْلِمُنى والعَدْلُ من شأنهِ * ما أوْجَعَ الظُّلْمَ من العادل!

وقال آخر :

مَنْ سَرَّه أن يَرى المَنايَا * بعَيْنِه مَنْظَرا صُرَاحا

فلْيَحْسُ كأسًا من التجَنِّى * وليَعْشَقِ الأَوجُهَ المـلَاحا
يا أعيُنًا أُرسِلَتْ مِراضـا * فاختَلَسَتْ أعيُنًـا صحاحَا

وقال آخر :

ما أقْتَلَ الحُبَّ والإنسانُ يجهَلُهُ * وكلُّ ما لم يَذُقْــه فهو مجْهُولَ
راح الرُّماةُ إلى بعض المَهَا فإذا * بَعضُ الرُّماةِ ببَعْضِ الصَّيدِ مَقْتُول

وأما الآفات التى تجرى على العـاشق من المرض والضَّنا والجنون والمخاطرات بالنفوس و إلقائها إلى الهلاك ، فهى كثيرة جدّا مشاهدة ومسموعة .

فمن ذلك ما حكاه أبو الفرج بن الجوزىّ بسند يرفعه ، قال : لمّـا بعثت قُرَيشٌ عمارةَ بن الوليد مع عمرو بن العاص الى النجاشىّ يكلمانه فيمن قدم عليه من المهاجرين ، فراسل عمارة جارية لعمرو بن العاص كانت معه فصغت إليه ، فاطلع عمرو على ذلك فوَجِدَ على عمارة . وكان عمارة أخبر عَمْرا أن زوجة النجاشىّ عَلِقته وأدخلتْه إليها ، فوشى عمرو بعمارة عند النجاشىّ وأخبره بالخبر ، فقال له النجاشىّ : آئتنى بعلامة أستدلُّ بها على ما قلتَ ، ثم عاد عمارة فأخبر عمرا بأمره وأمر زوجةِ النجاشىّ ، فقال له عمرو : لا أقبل هذا منك إلا أن تُعطِيَك من دُهْن الملك الذى لايَدَّهن به غيره . فكلمها عمارة فى ذلك فقالت : أخاف من الملك ، فأبى أن يرضى منها حتَّى تعطيه من ذلك الدُّهْن ، فأعطته منه فأعطاه عمرا فجاء به عمرو إلى النجاشىّ فنفخ سحرا فى إحليل عمارة ، فذهب مع الوحش (فيما تقول قريش) فلم يزل متوحِّشا يرد ماء فى جزيرة بأرض الحبش حتى خرج إليه عبدالله بن أبى ربيعة فى جماعة من أصحابه فرَصَده على المـاء فأخذه فجعل يصيح به : يابجير أرسلنى ، فإنى أموت إن أمسكتنى ، فأمسكه فمات فى يده .

وحكى عن محمد بن زياد الأعرابىّ قال : رأيت بالبادية أعرابيا فى عُنُقه تمائمُ وهو عُرْيانٌ وعلى سوءته خرقة وفى رجله حَبْل ومن خلفه عجوز آخذة بطَرَف الحبل

وهو يَعَضّ ذراعيه، فقلت للعجوز : من هذا ؟ فقالت : ابن ابنتى، فقلت لها : أبه مَسٌّ من الجن؟ فقالت : لا والله،ولكنه نشأ وآبنة عمّ له فى مكان واحد فعُلِّقها وعُلِّقته، فحبسها أهلها ومنعوها منه فزال عقله وصار الى ماترى، فقلت لها : فما آسمه؟ قالت : عِكْرِمة، فقلت : أيا عِكرِمة ما أصابك ؟ قال : أصابنى داء قيس وعروة وجميل، فالجسم منى نحيل، والفؤاد عليل؛ قال : فتركته ومضيت .

وحكى عن عباس بن عبيد، قال : كان بالمدينة جارية ظريفةٌ حاذقةٌ بالغناء، فهَوِيتْ فتى من قريش فكانت لا تُفارقه ولا يفارقها . فملّها الفتى وفارقها وتزايدت محبتها له حتى ولِهَتْ . وتفاقم الأمر بها حتّى هامت على وجهها ومزّقت ثيابها، فرآها مولاها فى ليلة من الليالى وهى تدور فى السِّكك ومعه أصحاب له ، فجعلت تبكى وتقول :

الحُبُّ أوّل ما يكُونُ لجَاجَة * تَأْتِى به وتَسوقُه الأقدارُ
حتّى إذا آقتَحم الفتى لُجَجَ الهوى * جاءت أمورٌ لا تُطاق كِبَارُ

قال : فما بقى أحد إلا رحمها، فقال لها مولاها : يافلانة، آمضى معنا إلى بيتنا، فأبت وقالت :

* شَغَلَ الحَلْىُ أهْلَه أن يُعارَا *

قال : وذكر بعض من رآها ليلة وقد لقِيتْها جاريةٌ أخرى مجنونةٌ فقالت لها : فلانة، كيف أنت؟ قالت : كما لا أُحب، فكيف أنت من وَلَهك وحُبِّك ؟ قالت : على ما لم يَزَلْ يتزايد على مَرّ الأيام، قالت لها : فغَنِّى بصوتٍ من أصواتك فإنى قريبة الشَّبَه بك، فأخذت قصبة تُوقِّع بها وغنّت :

يامَنْ شَكَا ألَمًا للحُبّ شبّهه * بالنار فى القلْب من حُزْنٍ وتَذْكارِ
إنّى لأُعْظِمُ ما بِى أن أشَبِّهه * شيئا يُقاس إلى مِثْلٍ ومِقْدار
او أنّ قَلْبِىَ فى نارٍ لأحْرَقها * لأنّ أجزاءه أذْكى من النّار

ثم مضت .

وحكى عن سليمان بن يحيي بن معاذ قال : قدم علىّ بنيسابورَ إبراهيم بن سبابة الشاعر البصرى ، فأنزلته علىّ ، فجاء ليلة من الليالى وهو مكروب قد هاجَ فجعل يَصيح بى : يا أبا أيوب ، فخشيت أن يكون قد غشيَتْه بليةٌ ، فقلت : ما تشاء ؟

فقال : * أعيانِيَ الشادِنُ الرَّبِيبُ *

فقلت : بماذا ؟

فقال : * أشْكُو إليه فلا يُجِيبُ ! *

فقلت : داره وداوه ،

فقال :

مِنْ أينَ أبْغِى شِفاء دائِى * وإنما دَائِىَ الطَّبِيب

فقلت : إذنْ يفرّج الله عز وجل .

فقال :

يا رَبِّ فَرِّج إذًا وعَجِّل * فإنَّك السامِعُ المجُيبُ

ثم آنصرف .

وحدّث عن على بن محمد النوفلىّ عن أبى المختار عن محمد بن العبدىّ قال : إنى بمزدلفة بين النائم واليقظان إذ سمعت بكاء حرقا وغناء عاليا . فاتبعتُ الصوت فإذا أنا بجارية كأنها الشمس حسنا ومعها عجوز ، فلَطِئْتُ بالأرض لأمتع عينى بحسنها فسمعتها تقول :

دعوتُكَ يا مولاى سرا وجَهْـرة * دعاءَ ضعيف القلب عن محمل الحبِّ

بُليتُ بقاسى القلب لا يَعرِف الهوى * وأقتَلِ خلق الله للهائم الصبِّ

فإن كنتَ لم تقض المودّة بيننا * فلا تُخْـلِ من حبٍّ له أبدا قلبي
رضيتُ بهذا ما حييتُ فإن أمتْ * فحسبي مَعَـاذا في المعاد به حسبي

قال : وجعلت تردّد هذه الأبيات وتبكي، فقمتُ إليها وقلت : بنفسي من أنتِ؟ مع هذا الوجه وهـذا الجمال يمتنع عليك من تريدين ؟ قالت : نعم، والله إنه يفعل تصبرا وفي قلبه أكثر ممـا في قلبي، قلت : فإلى كم البكاء ؟ قالت : أبدا أو يصير الدمع دما، وتتلَف نفسي غما . فقلت : إن هذه آخر ليلة من ليالي الحج، فلو سألتِ الله تعالى التوبة مما أنتِ فيه، رجوتُ أن يذهب حبه من قلبِك، قالت : ياهـذا، عليك بنفسك في طلب رغبتك، فإني قد قدّمت رغبتي إلى من ليس يجهل بغيتي ! وحوّلتْ وجهها عني، وأقبلتْ على بكائها وشعرها .

وحكى أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزيّ في كتابه المترجم بـ"ذم الهوى" بسند رفعه إلى هشام بن عروة قال : أذِنَ معاوية بن أبي سفيان يوما للناس، فكان فيمن دخل عليه فتى من بني عُذْرة ، فلما أخذ الناس مجالسهم، قام الفتى العذريّ بين السماطين فأنشأ يقول :

مُعاويَ ياذا الفَضلِ والحِلْم والعَقْلِ * وذا البِرِّ والإحسانِ والجُودِ والبَذْلِ
أتيتكُ لمّـا ضاقَ في الأرض مَسْكَني * وأنكَرْتُ ممـا قد أُصِبتُ به عَقْلي
ففَرِّجْ كَلَاكَ اللهُ عنّي فإنني * لَقِيتُ الذي لم يَلْقَـهُ أحدٌ قَبْـلي
وخُذْ لِي هداكَ اللهُ حقِّ من الذي * رماني بَسْهم كان أهونُه قَتْـلي
وكنت أرجّي عــدْلَه إن أتيتُـه * فأكثر تَرْدادي مع الحَبْس والكَبْلِ
سَبانِيَ سُعْدى وانبرى لخُصُومتي * وجارَ ولم يَعْـدِلْ وغاصَبَني أهْلي
فطَلَّقتُها من جَهْـدِ ما قد أصابَني * فهذا أميرَ المؤمنين من العَدْلِ

فقال معاوية : أُدْنُ بارك الله عليك ، ما خَطْبك ؟ فقال : أطال الله بقاء أمير المؤمنين، إنى رجل من بنى عُذْرة، تزوجت ابنة عمّ لى . وكانت لى صِرْمةٌ من الإبل وشُوَيْهات فأنفقت ذلك عليها، فلما أصابتنى نائبة الزمان وحادثات الدهر، رَغب عنى أبوها . وكانت جارية فيها الحياء والكرم ، وكَرِهَتْ مخالفة أبيها ، فأتيت عاملك مروان بن الحكم مستصرخا به راجيا لنصرته . فذكرت له قصتى، فأحضر أباها وسأله عن قضيتى . وكان قد بلغه جمالها، فدفع لأبيها عشرة آلاف درهم وقال له : هذه لك ، وزوجنى بها وأنا أضمن خلاصها من هذا الأعرابى"، فرغب أبوها فى البذل فصار الأمير لى خصما وعلىَّ منكِرا فانتهرنى وأمر بى الى السجن وأرسل الى" أن أطلقها فلم أفعل . فحبسنى وضيّق علىّ وعذبنى بأنواع العذاب، فلما أصابنى مَسُّ الحديد وألَمُ العذاب ولم أجد بُدًّا عن ذلك طلقتها . فما استكملت عدّتها حتّى تزوج بها . فلما دخل بها أرسل إلىّ فأطلقنى . وقد أتيتك يا أمير المؤمنين مستجيرا بك، وأنت غياث المكروب، وسند المسلوب . فهل من فرج؟ ثم بكى وقال فى بكائه :

فى القَلْبِ مِنِّىَ نارُ * والنار فيها اسْتِعارُ
والجسْم منِّى نَحيلُ * واللونُ فيه ٱصْفِرارُ
والعيْنُ تَبْكى بشَجْوٍ * فَدَمْعُها مِدْرارُ
والحُبُّ داء عَسِيرٌ * فيه الطَّبيبُ يَحارُ
حُمِّلتُ منه عَظيما * فما عليه ٱصْطبارُ
فليس لَيْلِىَ لَيْلًا * ولا نَهارى نَهارُ

فرقَّ له معاوية وكتب إلى ٱبن الحكم كتابا غليظا، وكتب فى آخره :

رَكِبْتَ أمرًا عظيما لستُ أعْرِفُهُ * أستغفرُ اللهَ من جَوْرِ امرئٍ زانى
قد كُنتَ تُشْبِه صُوفيًّا له كُتُبٌ * من الفرائض أو آيات فُرْقانِ

حتّى أتانا الفتى العُذْرىُّ منتحِباً * يَشْكُو إلىّ بحقّ غيرِ بُهْتانِ
أُعطِى الإلٰهَ عُهودًا لا أَخِيسُ بها * أوْ لا فبُرِّئت من دِينٍ وإيمانِ
إن أنتَ راجَعْتنى فيما كَتَبْتُ به * لأجعلَنَّك لَحْمًا بين عِقبانِ
طَلِّق سُعادَ وَجَهِّزها معجَّلةً * مع الكُمَيْت ومعْ نَصر بن ذبيانِ
فما سمعتُ كما بُلِّغتُ من عَجَب * ولا فعالُك حقًّا فعلَ إنسانِ

ثم طوى الكتّاب ودفعه إلى الكميت ونصر بن ذبيان وقال : آذهبَا به إليه؛ قال : فلما ورد كتاب معاوية على آبن الحكم وقرأه تنفس الصُّعَداء وقال: وَدِدْتُ أن أمير المؤمنين خلّى بيني و بينها سنة ثم عرضني على السيف وجعل يؤامر نفسه فى طلاقها فلا يقدر؛ فلما أزعجه الوفد طلقها وأسلمها إليهما . فلما رآها الوفد على هذه الصورة العظيمة وما آشتملت عليه من الجمال المفرط، قالوا : لا تصلح هذه إلا لأمير المؤمنين؛ وكتب آبن الحكم كتابا لأمير المؤمنين معاوية، ودفعه إليهما مع الجارية . فكان مما كتب فيه يقول :

لا تحنَثَنَّ أميرَ المؤمنين فقَدْ * أُوفِى بعَهْدك فى رِفْق وإحسانِ
وما ركِبتُ حراماً حينَ أعْجَبَنِى * فكيفَ سُمِّيتُ باسم الخائنِ الزانى؟
أعذر فإنك لو أبصرتها لجرَتْ * منك الأمانى على تمثال إنسانِ
وسوف تأْتيكَ شمسٌ ليس يعْدِلها * عند البَرِيَّة من إنس ومن جانِ
حَوْراءُ يقصُر عنها الوصفُ إن وُصفتْ * أقولُ ذلك فى سرٍّ وإعلانِ

فلما ورد الكتّاب على معاوية وقرأه قال : لقد أحسن فى الطاعة، ولكن أطنب فى ذكر الجارية، ولئن كانت أعطيت حسن النَّغمة مع هذا الوصف الحسن فهى أكمل البرية؛ فأمر بإحضارها، فلما مثلتْ بين يديه آستنطقها فاذا هى أحسن الناس كلاما، وأكملهم شَكْلا وَدَلالا، فقال: يا أعرابىّ، هذه سعدى، ولكن هل لك عنها

من سَلْوة بأفضل الرغبة؟ قال: نعم، إذا فرَّقت بين راسى وجسدى، فقال: أعوّضك عنها يا أعرابىّ ثلاث جوارٍ أبكار ومع كل واحدة ألف دينار، وأقسم لك من بيت المـال ما يكفيك فى كل سنة و يعينك على صحبتهنّ . فشهق شهقة ظن معاوية أنه مات، فقال له: ما بالك يا أعرابىّ؟ قال : أشرُّ بال وأسوأ حال، ٱستجرت بعدلك من جور ٱبن الحكم، فعند من أستجير من جورك؟ ثم أنشأ يقول :

لا تَجْعَلَنِّى والأمثالُ تُضْرَبُ بِى * كالمُستغيث من الرَّمضاء بالنار
أُرْدُدْ سُعادَ على حَيْرانَ مكتئبٍ * يُمسى و يُصْبِـح فى هَمٍّ وتَذْكَارِ
قد شَــفّه قلَقٌ ما مثــلُه قَلَقٌ * وأُسْعِرِ القَلْبُ منــه أىّ إسعارِ
كَيْفَ السُّلُوُّ وقد هام الفؤاد بها * وأصــبَحَ القلبُ عنها غيْرَ صَبَّارِ

(٥٦) قال : فغضب معاوية غضبا شديدا ثم قال : يا أعرابىّ، أنت مقرٌّ بأنك طلقتها ومَرْوان مقرٌّ بأنه طلقها، ونحن نخيرها فان ٱختارتك أعدناها إليك بعَقْد جديد، و إن اختارت سواك زوّجناه بها؛ ثم ٱلتفت إليها أمير المؤمنين وقال: ما تقولين يا سُعْدى؟ أيمـا أحبُّ اليك ، أمير المؤمنين فى عزه وشرفه وسلطانه وما تصيرين اليه عنده ، أو مروانُ بنـ الحكم فى عَسْفه وجَوْره، أو هذا الأعرابىّ فى فقره وسُوء حاله؟ فأنشأت تقول :

هذا و إن كانَ فى فَقْــرٍ و إضرارِ[(١)] * أعَزُّ عندِىَ من قَوْمى ومن جارِى
وصاحِبِ التَّــاجِ أو مَرْوانَ عامِلِهِ * وكلِّ ذى دِرْهمٍ عِنْــدى ودينــارِ

ثم قالت : والله يا أمير المؤمنين ما أنا بخاذلته لحادثة الزمان ولا لغَدَرات الأيام، و إن لى معه صحبةً لا تُنْسى، ومحبة لا تَبلى، والله إنى لأحق مَنْ صبر معه فى الضراء

(١) روى هذا الشعر فى نسخة أخرى على وجه آخر وهو :

هذا و إن أصبح فى أطمار * وكان فى نقص من اليسار
أكثرعندى من أبى وجارى * وصاحب الدرهم والدينار
* أخشى إذا غدرت حر النار *

كما تنعّمت معه فى السّراء؛ فعجب كُلّ من كان حاضرا، فأمرله بها ثم أعادها له بعقد جديد، وأمر لها بألف دينار، فأخذها وآنصرف يقول :

خَلُّوا عن الطَّرِيق للأعْرابِى * ألم تَرِقُّــوا وَيْحكُمْ ممَّا بِى!

[قال[(١)] : فضحك معاوية وأمر بها فأدخلت فى قصوره حتى آنقضت عدّتها من آبن الحكم ثم أمر برفعها الى الأعرابى] .

ولقد ساق آبن الجوزى فى كتابه من أخبار العشاق وما نالهم من الأمراض والجنون والضنا ، وقصّ كثيرا من أخبارهم ، تركنا إيراد ذلك رغبــةً فى الآختصار لأنه أمر غير منكور .

* * *

وأما من خاطر بنفسه وألقاها إلى الهلاك لأجل محبوبه :

فمن ذلك ما روى عن أبى ريحانة أحد حجاب عبد الملك بن مروان أنه قال : كان عبــد الملك يجلس يومين فى الأســبوع جلوسا عامًّا للنــاس، فبينا هو جالس فى مُستَشْرَفٍ له وقد أدخلت عليه القِصص، إذ وقعت فى يده قِصّة غير مترجمة فيها :

«إن رأى أمير المؤمنيـــن أن يأمر جاريته فلانة تغنينى ثلاثة أصوات ثم ينفذ فىّ ما شاء من حكمه، فعل ! » .

فاستشاط من ذلك غضبا وغيظا، وقال: يا رباح، علىّ بصاحب هذه القصة، فخرج الناس جميعا فأدخل عليه غلام كما عذّر من أحسن الفتيان، فقال له عبد الملك : يا غلام، هذه قصتك؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين، قال : وما الذى غرّكَ منّى؟ والله لأمثلَنّ بك ولأردعنّ بك نظراءك من أهل الجسارة، ثم قال : علىّ بالجارية، فجىء بها

(١) وجدت هذه الزيادة فى بعض النسخ .

كأنها فلقة قمر و بيدها عودها ووضع لها كرسىّ فجلستْ ، فقال عبد الملك : مرها يا غلام، فقال لها : يا جارية، غنينى بشعر قيس بن ذَريح :

لقد كنتِ حَسْبَ النفسِ لو دام ودنا * ولكنّما الدنيـا متاع غُـرورِ
وكنّا جميعًا قبـل أن يَظْهرَ الهـوى * بأنعـمِ حالَىْ غبطـةٍ وسُـرورِ
فما بَرِح الواشُـونَ حتّى بدَتْ لنـا * بُطونُ الهـوى مقـلوبةً لظُهـورِ

فغنّت ، فخرج الغلام من جميع ما كان عليه من الثياب تخريقا، ثم قال له عبد الملك : مرها تغنك الصوت الثانى، فقال : غنينى بشعر جميل :

ألا ليْتَ شِـعْرِى هـل أَبِيتَنَّ ليلةً * بوادى القُرى إنى إذاً لسَـعيدُ
إذا قلتُ مابِى يابُثينـةُ قاتلى * من الحُبِّ قالت ثابتٌ ويَزِيدُ
و إن قلتُ رُدِّى بعضَ عقْلِى أعِشْ به * مع النـاس قالتْ ذَاك مِنكَ بَعِيدُ
فلا أنا مردُودٌ بمـا جئتُ طالبًا * ولا حُبُّهـا فيما يَبِيـد يَبِيـدُ
يمـوتُ الهوى منِّى إذا مالقِيتُها * ويَحْيـا إذا فارقْتُهـا فيعُـودُ

فغنته الجارية فسقط الغلام مغشيًّا عليه ساعة ثم أفاق ، فقال له عبد الملك : مرها فلتغنك الصوت الثالث، فقال : ياجارية غنينى بشعر قيس بن الملوّح :

و فى الجيرةِ الغادِينَ من بَطْنِ وَجْرةٍ * غزالٌ غَضِيضُ المُقْلتيْنِ رَبيبُ
فلا تحسَبِى أنّ الغَرِيبَ الذى نَأى * ولكنّ من تَنْأيْنَ عنه غَريبُ

فغنته الجارية فطرح نفسـه من المستَشْرف ، فتقطع قبل وصـوله الى الأرض . فقال عبد الملك : ويحه ! لقد عَجّل على نفسه ، ولقد كان تقديرى فيـه غيرَ الذى فعـل، وأمر بإخراج الجارية عن قصره فأُخرجت . ثم سأل عن الغـلام فقالوا : غريب لايعرف إلا أنه منذ ثلاث ينادى فى الأسواق و يده على رأسه :

غَدًا يكثُرُ الباكُونَ منـا ومِنكُمُ * وتَزْدادُ دارِى مِنْ دِيارِكُمُ بُعْدَا

وحكى أن مثل هذه الحكاية جرت فى مجلس سليمان بن عبد الملك .

حكى عن أبى عثمان الجاحظ أنه قال : قعـد سليمان بن عبـد الملك يوما للظّالم وعُرِضتْ عليه القِصَص فمرّت به قِصة فيها : إنْ رأى أمير المؤمنين أن يُخرج الىَّ فلانة (إحدى جواريه) حتَّى تغنينى ثلاثة أصوات فعل . فاغتاظ سليمان وأمر أن يؤتى برأسه ثم أتبع الرسول برسول آخر فأمره أن يدخلَ الرجلَ اليه . فلما مثل بين يديه قال له : ما الذى حملك على ما صنعت؟ فقال : الثقة بحلمك، والاتكال على عفوك، فأمره بالجلوس، فجلس حتى لم يبـق من بنى أميـة أحد، ثم أمر بإخراج الجارية فأخرجت ومعها عود، ثم قال : اخترْ، فقال : تغنى لى بقول قيس بن الملوح :

تعلّق رُوحِى رُوحَها قبـلَ خَلْقِنا * ومن بَعْدِ أنْ كُنّا نِطَافًا وفى المَهْدِ
فعَـاشَ كما عِشْـنا فأصبح ناميًا * وليسَ وإن متْنا بمنقصِف (١) العَهْدِ
يكاد فَضِيض المـاء يَخدِشُ جلْدَها * اذا اغتسلت بالمـاء من رِقّة الجِلْدِ
وإنّى لمُشْـتاق الى رِيح جَيْبِها * كما آشتاقَ إدريسُ إلى جَنّة الخُلْدِ

فغنت ثم قال : تأمر لى برطل فأمر له به فشربه ثم قال : تغنى بقول جميل :

عَلِقتُ الهوى منها وَلِيـدًا فلم يَزلْ * الى اليـوم يَنْمِى حبُّهـا ويزِيدُ
وأفنيتُ عُمْرِى فى انتظار نَوالهـا * وأَبْلَيْتُ فيهـا الدَّهرَ وهو جديدُ
فلا أنا مردودٌ بمـا جئتُ طالبًا * ولا حُبُّهـا فيما يَبِيـد يَبِيـدُ
إذا قلتُ مابى يابُثينـةُ قاتِـلِى * مِن الحُبِّ قالت ثابت ويَزِيدُ
وإن قلتُ ردّى بعضَ عَقْلِى أعِشْ به * مع النـاس قالتْ ذاكَ منكَ بعيدُ

---

(١) كذا بالأصل ولعله « بمنقضب » أى « بمنقطع » .

فغنّت، فقال له سليمان : ما تريد، قال : تأمر لى برطل، فأمر له به فشربه، ثم قال : تغنى بقول قيس بن ذريح :

"لقد كنت حَسبَ النفس" الأبيات

فغنت ، فقال له سليمان : قل ما تشاء ، قال : تأمر لى برطل ، فأمر له به ، فما آستتمه حتّى وثب فصعد الى أعلى قبة ثم زَجَّ نفسه على دماغه فمات ، فاسترجع سليمان وقال : أتُراه توهَّم الجاهلُ أنى أُخرج إليه جاريتى وأردّها الى ملكى ؟ ياغلام خذ بيدها فانطلق بها الى أهله إن كان له أهل، و إلا فبيعوها وتصدّقوا بثمنها عنه؛ فلما آنطلقوا بها نظرتْ الى حفرة فى الدار قد أُعِدَّت للمطر، فجذبت يَدَها من أيديهم وأنشأت تقول :

مَنْ ماتَ عِشْقا فليمُتْ هكذا * لا خَـــيْر فى عشْق بلا موْتِ

وزجت نفسها فى الحفرة على دماغها فماتت .

وقد حكى أيضا مثل هذه، وأنها وقعت للرشيد .

روى عن أبى بكر محمد بن علىّ المخزومىّ قال : آشتريتُ للرشيد جارية مدنية، فأُعْجِبَ بها وأمرالفضلَ بن الربيع أن يبعث فى حَمْل أهلها ومواليها لينصرِفوا بجوائزها — وأراد بذلك تشريفها — فوفد الى مدينة السلام ثمانون رجلا، ووفد معهم رجل من أهل العراق آستوطن المدينة كان يهوى الجاريةَ؛ فلما بلغ الرشيدَ خبرُ مَقْدَمِهم أمرالفضلَ أن يخرج إليهم ليكتب آسمَ كل واحد منهـم وحاجتَه، ففعل، فلما بلغ الى العراقىّ قال : ما حاجتك؟ قال له : إن أنت كتبْتَها وضَمِنت لى عَرْضَها مع ما يُعرَض أنبأتك بها، فقال : أفعلُ ذلك ، فقال : حاجتى أن أجلس مع فلانة حتّى تغنّينى ثلاثة أصوات وأشربَ ثلاثةَ أرطال، وأخبَرها بما تُجِنّ ضُلوعى من حبها ؛ فقال الفضل : أنت مُوَسْوَس مدخُول عليك فى عقلك، فقال : ياهذا ، قد أُمِرتَ أن تكتب ما يقول كلُّ واحد منا

فاكتب ما أقول وآعرضه ، فإنَ أُجبت إليه و إلا فأنت فى أوسع العـذر ، فدخل الفضل مغضَبا فوقف بين يدى الرشيد، وقرأ عليه ما كتب من حوائجهم؛ فلما فرغ قال : يا أميرالمؤمنين فيهم واحد مجنون ، سأل ما أُجِلُّ مجلس أميرالمؤمنين عن التفوه به ، فقال : قل ولا تجزَعنّ ، فقال : قال كذا وكذا ، فقال : آخرج إليه ، وقل له : اذا كان بعد ثلاث ، فاحضُرْ ليُنجزَ لك ما سألت ، وكن أنت متولِّيَ الآستئذان له ، ثم دعا بخادم فقال له : آمض الى فلانة فقل لها : حَضَر رجل يذكر كذا وكذا وقد أجبناه الى ما سأل فكُونِى على أُهْبة ، وخرج الفضل الى الرجل وأخبره بما قال الرشيد ، فانصرف وجاء فى اليوم الثـالث فعرّف الفضل الرشيد خبره فقال : يُوضَـع له بحيث أرى كرسىٌّ من فضة ، وللجارية كرسىٌّ من ذهب ، وليُخرَج إليه ثلاثة أرطال ، ففعلوا ذلك وجاء الفتى فجلس على الكرسىّ والجـارية بإزائه ، فجعل يحدّثها والرشيد يراهما ، فقـال له (٥٨)
الخادم : لم تُدْخَل فتشـتُو وتُصَيِّف ، فأخذ رطلا وخرّ ساجدا وقال . إن شئت أن تغَنِّى فغنِّى :

خَليـلىَّ عُوجَا باركَ اللهُ فيكما * وإن لم تكُنْ هندٌ بأرضِكما قَصْدَا
وقُولَا لها ليس الضلالُ أجازَنَا * ولكنَّما جُزْنا لنَلْقاكُمَا عَمْـدا
غَدًا يَكْثُر الباكُون منا ومِنْكُمُ * وتَزْدادُ دارِى من دِيارِكُمُ بُعْدَا

فغنت ، فشرب الرطل وحادثها ساعة ، فاستحثه الخادم فأخذ الرطلَ بيده وقال : غنى جعلنى الله فداءك :

تَكَلَّمُ مِنَّـا فى الوُجوه عُيونُنا * فنحنُ سكوتٌ والهوى يَتَكَلَّمُ
ونغْضَب أحيانًا ونَرضى بطَرْفِنا * وذلِكَ فيما بَيْنَنا ليس يُعْـلَمُ

فغنته وشرب الرطل الثانى وحادثها ساعة ، وآستعجله الخـادم فخرّ ساجدا يبكى وأخذ الرطل بيده وآستودعها وقام ودموعه تستبق آستباق المطر وقال : اذا شئت أن تغَنِّى فغنِّى :

أحسَـنَ ما كُنَّا تفرّقْنَـا * وخَانَنا الدّهْرُ وما خُنَّا
فليتَ ذا الدّهرَ لنا مَرَّةً * عادَ لَنـا الدّهرُ كما كنّا

فغنته الصوتَ، فقلّب الفتى طرفه فبَصُر بدرجة فى الصحن فأمها، فاتبعه الخدم ليَهْدُوه الطريقَ، ففاتهم وصعد الدرجة فألقى نفسه الى الأرض على رأسه فمات، فقال الرشيد : عجَّل الفتى، ولو لم يعجّل لوهبتها له .

* * *

وممن خاطر بنفسه فى هواه وعَرَّضها للتلف ونال خيرا، ما حكاه آبن الجوزىّ بسـند يرفعه إلى أبى الفرج أحمـد بن عثمان بن إبراهيم الفقيـه المعروف بابن الترسى قال : كنت جالسا بحضرة أبى وأنا حَدَث، وعنده جماعة، فحدّثنى حديث وصول النعم الى النـاس بالألوان الظريفة، وكان ممن حضر صديق لأبى، فسمعته يحدّث أبى قال : حضرت عند صديق لى من التُّجَّار — كان يتَّجِر بمائة ألف دينار — فى دعوة، وكان حسن المُروءة، فقدّم مائدة وقدّم عليها ديكريكة (١) فلم يأكل

(١) فى الباب الثـانى الخاص بالحوامض من كتاب "صفة الأطعمة" الموجود منه نسخة فتوغرافية بدار الكتب المصرية ما نصه :

«ديكبريكة . يقطع اللحم أوساطا و يترك فى القدر و يلق عليه يسير ملح وكف حمص مقشور وكسبرة يابسة و رطبة و بصل مقطع وكراث و يطرح عليه غمرة ماء و يغـلى ثم تؤخذ رغوته و يلق عليه شيرج يسير وخل خمر ومرى و يلق عليه قليل فلفل مسحوق ناعم و يطبخ حتى يتبين طعمه . ومن النـاس من يحليها بقليل سكر فاذا نضجت طرح فيها أطراف الطيب مع فلفل وكزبرة يابسـة وتترك حتى تهدأ وترفع» آنتهى .

والظاهر أن صواب اللفظ (ديكبرديكة) ثم اختصر او حرف الى ديكبريكة وديكريكة لأن الذى فى المعاجم الفارسية (ديك برديك) فمعنى (ديك) القدرو (بر) فوق وعلى، فيكون المراد قدر فوق قدر . وتقول هذه المعاجم إن هذه النوع المزدوج يستعمل لأعمال التصعيد والتقطير . ولا يبعد أن يكون هذا الطعام مما يعالج فى طبخه بالبخار أى بوضع قدره على قدر أخرى فيها ماء يغلى على النار فسمى الطعام باسم وعائه ا ه .

أفادنيه حضرة صاحب السعادة العلامة أحمد تيمور باشا .

منها، فامتنعنا فقال : كلوا فإنى أتأذى بأكل هذا اللون، فقلنا : نساعِدُك على تركه، قال : بل أساعدكم على الأكل، وأحتمل الأذى، فأكل وأكلنا. فلما أراد غسل يده أطال، فعددت عليه أنه قد غسلها أربعين مرة، فقلت : ياهذا وسوستَ، فقال : هذه الأذية التى قرفت منها، فقلتُ : وما سببها؟ فامتنع من ذكر السبب، فلما ألححتُ عليه قال : مات أبى وسنى عشرون سنة، وخلّف لى نعمة وفيرة، ورأس مال، ومتاعا فى دكانه، فقال لما حضرته الوفاة : يابُنَيّ، إنه لا وارثَ لى غيرك، ولا دَيْن علىّ ولا مَظْلِمةَ، فإذا أنا متُّ فأحسِنْ جهازى وتصدّق عنى بكذا وكذا، وأخرج عنى حجّة بكذا، وبارك الله لك فى الباقى، ولكن ٱحفظ وصيتى، فقلت : قُلْ، قال : لاتسرف فى مالك، فتحتاجَ الى ما فى أيدى الناس فلا تجده، وٱعلم أن القليل مع الإصلاح كثير، والكثيرَ مع الفساد قليل، فالزم السُّوقَ، وكن أوّل من يدخلها وآخِرَ من يخرج منها، وإن ٱستطعت أن تدخلها سَحَرا بليل فافعل، فإنك تستفيد بذلك فوائد تكشفها لك الأيام، ومات فأنفذتُ وصيته، وعملتُ بما أشار به، وكنت أدخُل السوق سَحَرا، وأخرِج منها عِشاء فلا أعدَمُ مَن يجىء يطلب كفنا فلا يجد من قد فتح غيرى فأحتكم عليه، ومن يبيع شيئا والسوق لم تقم فأبتاع منه، وأشياء من هذه الفوائد، ومضى علىّ سنة وكسر، فصار لى بذلك جاه عند أهل السوق وعرفوا ٱستقامتى وأكرمونى، فبينا أنا جالس يوما ولم تتكامل السوق، وإذا بامرأة راكبة حمارا مصريا وعلى كفله منديل دبيقىّ[(١)]، ومعها خادم وهى بزىّ القهارمة. فبلغت آخر السوق ثم رجعت، فنزلت عندى فقمت إليها وأكرمتها وقلت : ما تأمرين؟ وتأملتها فإذا بامرأة لم أر قبلها ولا بعدها إلى الآن أحسن منها فى كل شيء، فتكلمتْ وقالت : أريد كذا وكذا (ثيابا

(١) دبيق (بالباء الموحدة ثم الياء) مدينة كانت بالقرب من دمياط وكانت مشهورة بمعاش المنسوحات التي تعرف باسمها .

طلبَتْها) . فسمعت نَغْمة ورأيت شكلا قتلنى فعشِقْتها فى الحال أشدّ عشق، وقلت : اصبرى حتى يخرج النـاس فآخذ ذلك لك فليس عندى إلا القليل مما يصلح لك، وأخرجت الذى عنـدى وجلستْ تحادثنى وكأن السكاكين فى فؤادى من عشقها، وكشفت عن أنامِل رأيتها كالطَّلْع، ووجه كدارة القمر، فقمتُ لئلا يزيد علىّ الأمر، وأخذتُ لها من السوق ما أرادتْ، وكان ثمنـه مع مالى نحو خمسمائة دينار، فأخذتْهُ وركبتْ ولم تعطنى شيئا؛ وذهب عنى لمـا تداخلنى من حبهـا أن أمنعها من المتاع إلا بالمال، وأن أستدل على منزلها ومِن دار مَن هى؟ فحين غابت عنى وقع لى أنها محتالة وأن ذلك سبب فقرى، فتحيرتُ فى أمرى، وكتمتُ خبرى لئلا أفتضح بما للناس علىّ؛ وأجمعتُ على بيع مافى يدى من المتاع و إضافته إلى ماعندى من الدراهم وأدفع أموال الناس إليهم ولزوم البيت والاقتصار على غلة العقار الذى ورثتُه؛ وأخذتُ أشرع فى ذلك مدّة أسبوع، و إذا بها قد أقبلتْ ونزلتْ عندى، فحين رأيتُها أُنسيتُ جميع ماجرى علىّ، وقمت إليها، فقالت : يافتى، تأخرنا عنك لشغل عرض لنا، وما شككنا فى أنك لم تشك أنا احتلنا عليك، فقلت : قد رفع الله قدرَكِ عن هذا، فقالت، هاتِ التخت والطيار، [1] فأحضرته، فأخرجت دنانير عُتْقا، فوفتنى المـال بأسره . وأخرجت تذكرة بأشياء أخَر. فأنفذتُ إلى التجّار أموالهم وطلبتُ منهم الذى أرادت، وحَصَّلتُ أنا فى الوسط ربحا جيدا . وأحضر التُّجّار الثياب فقمتُ وثمنتها معهم لنفسى، ثم بعتها عليها بربح عظيم، وأنا فى خلال ذلك أنظر إليها نظر من تألّف حبها، وهى تنظر إلىّ نظر مَن (٥٩)

(١) فى شرح المقامات الحريرية للطرزى المسمى بالإيضاح فى تفسير قول الحريرى فى المقامة الثانية والأربعين «ثم اعتضد عصا التسيار وأنشد ملغزا فى الطيار .

وذى طيشة شقه مائل ✻ وما عابه بهما عاقل»

ما نصه : « الطيار معيار الذهب لانه على شكل الطائر وقيل هو ميزان لا لسان له » أفادنيه حضرة صاحب السعادة العلامة أحمد تيمور باشا .

فَطِنَتْ بذلك ولم تنكره، فَهَمَمْت بخطابها ولم أقدر عليه . وجمعت المتاع فكان ثمنه ألف دينار، فأخذتُه وركبت ولم أسألها عن موضعها. فلما غابت عنى قلتُ: هذه الآن الحيلة المحكَمَة ، أعطتنى خمسمائة دينار وأخذت ألف دينار ، وليس إلا بيعُ عقارى الآن ، والحصولُ على الفقر ، وتطاولت غيبتها عنى نحو شهر؛ وألح التجّار علىّ بالمطالبة ، فعرضتُ عقارى على البيع ، ولازمنى بعضُ التجّار فوزنت جميع ما كنت أملكه وَرِقا وعَيْنا؛ فبينا أنا كذلك إذ نزلت عندى فزال عنى جميعُ ما كنت فيه برؤيتها . وآستدعت الطيّار والتخت، فوزنت المال ورمت إلىّ تذكرة يزيد ما فيها على ألفى دينار بكثير ، فتشاغلتُ بإحضار التجّار ودفع أموالهم إليهم وأخْذِ المتاع منهم ، وطال الحديث بيننا فقالت لى : يافتى، ألك زوجةٌ ؟ فقلت لا ، والله ما عرفت آمرأة قط، وأطمعنى ذلك فيها وقلت : هذا وقت خطابها والإمساكُ عنها عجْز، ولعلها تعود أو لا تعود؛ وأردت كلامها فهِبْتها. وقمتُ كأنى أُحثُّ التجار على جميع المتاع، وأخذتُ يد الخادم وأخرجتُ إليه دنانير وسألته أن يأخذها و يقضى لى حاجة فقال : أفعل، فقصصتُ عليه قصتى وسألتُه توسط الأمر بينى و بينها ، فضحك وقال : والله إنها لك أعشق منك لها ، و والله ما بها حاجة إلى أكثر هذا الذى تشتريه، و إنما تأتيك محبةً لك وطريقا إلى مطاولتك، فخاطِبها ودعنى، فجسَّرنى على خطابها فخاطبتها وكشفت لها عشقى ومحبتى و بكَيْت ، فضحكتْ وتقبلت ذلك أحسن قبول وقالت : الخادم يأتيك برسالتى . ونهضَتْ ولم تأخذ شيئا من المتاع، فرددتُه على أصحابه . وحصل لى مما آشترته أوّلا وثانيا ألوفُ دراهم ربحاً، ولم أعرف النوم فى تلك الليلة شوقا إليها، وخوفا من آنقطاع السبب بيننا ؛ فلما كان بعد أيام جاءنى الخادم، فأكرمتُه وسألتُه عن خبرها فقال : هى والله عليلة من شوقها إليك، فقلت : آشرحْ لى أمرها ، فقال : هذه مملوكة السيدة أم المقتدر وهى من أخص

جواريها، وآشتهت رؤيةَ الناس والدخول والخروج فتوصلتْ حتَّى جعلتها قَهْرَمَانة؛ وقد والله حدّثت السيدة بحديثك وبكت بين يديها وسألتها أن تزوجها منكَ، فقالت السيدة : لا أفعل أو أرى هذا الرجل، فإن كان يستأهلك وإلا لم أَدَعْك ورأيَك، وتحتاج أن تحتال فى إدخالك الدار بحيلة، فإن تمت وصلت بهـا إلى تزويجك بها، وإن آنكشفت ضرب عنقك، وقـد أنفذتنى إليـك فى هذه الرسالة وقالت لك : إن صبرت على هذا، وإلا فلا طريق لك والله إلىّ، ولا لى إليك بعدها؛ فحملنى ما فى نفسى أن قلت : أصبِرُ، فقال : إذا كانت الليلة فآعبر إلى المحرم، وآدخل إلى المسجد وبت فيـه ففعلت ذلك؛ فلمـا كان وقت السَّحَر، إذا بطيار[1] قـد قدم، وخدم قد رفعوا صناديق فراغا . فجعلوها فى المسجد وآنصرفوا، وخرجت الجارية فصَعدت إلى المسجد، والخـادمُ معها، فجلستْ وفرقتْ باقى الخـدم فى حوائج، وآستدعَتْنى فعانقَتْنى وقبلَتْنى . ولم أكن نِلتُ ذلك منها قبله؛ ثم أجلستنى فى بعض الصناديق وأقفلته، وطلعت الشمس وجاء الخدم بثياب وحوائج من المواضع التى كانت أنفذتهم إليها، فجعلت ذلك بحضرتهم فى باقى الصـناديق، وأقفلتها . وحُملت إلى الطيار وآنحـدر، فلمـا حصلت فيـه ندمت وقلت : قتلت نفسى لشهوة، وأقبلت ألومُها تارةً، وأشجِّعها وأمَنِّيها أخرى، وأنذر النُّـذور على خلاصى، وأوطِّن مرة نفسى على القتل إلى أن بلغنا الدار، وحمل الخَدَم الصناديقَ، وحمل صندوقى الخـادم الذى يعرف الحديث، وبادر به أمام الصناديق وهى معى، والخدم يحملون بقيتها، وكلما جازت بطائفة من الخدم والبوّابين، قالوا : نريد أن نفَتِّش الصندوقَ، فتصيح عليهم وتقول : متى جرى الرسم معى بهذا ؟ فيمسكون عنها ورُوحى فى السِّياق إلى أن آنتهينا إلى خادم خاطبته هى بالأسـتاذ . فعلمت أنه أجلّ الخَدَم، فقال :

(١) أى زورق من الزوارق الخفيفة .

لا بدّ من فتح الصـندوق الذى معك ، فخاطبته بلين وذل فلم يجبها ، وعلمتُ أنها ما ذَلّت ولها حيلة ، فأغمى علىّ وأنزلوا الصُّندوق ليفتحوه ، فبُلْت من شدّة ما نالنى من الفَزَع ، فجرى البول من خلال الصندوق ، فصاحتْ : يا أستاذ ، أهلكتَ علينا متاعا بخمسة آلاف دينار فى الصـندوق ، ثيابٌ مصبَّغات وماء ورد ، وقد آنقلب على الثياب ، والساعةَ تختلط ألوانها ، وهى هلاكى مع السيدة ، فقال لها : خذى صندوقك إلى لعنة الله أنت وهو ، مُرِّى ! فصاحت بالخدم : آحملوا ، فأُدخلتُ الدار ورجعتْ إلىّ روحى ، فبينا نحن كذلك إذ قالت : واويلاه ، الخليفة والله ، فجاءنى أعظم من الأوّل ، وسمعت كلام خدم وهو يقول من بينهم : ويلك يافلانة ! إيش فى صندوقك ؟ أرينى هو ، فقالت : ثياب لستى يامولاى ، والساعة أفتحه بين يديها وتراه ، وقالت للخدم : أسرِعُوا ويلكم ! فأسرعوا فأدخلتنى إلى الحجرة وفتحت الصـندوق وقالت : آصـعد من هذه الدرجة إلى الغُرْفة فاجلس فيها ، وفتحت صندوقا آخر فقلبت بعض مافيه إلى الصندوق الذى كنت فيـه ، وأقفلت الجميـعَ ، وجاء المقتـدرُ وقال : آفتحيه ، ففتحته فلم ير شيئا فيه ، فصـعِدتْ إلىّ وجعلت تقبلنى وترشُـفُنى ، ونسيتُ ما جرى ثم تركتنى وأقفلَتْ باب الحجرة يومها ، ثم جاءتنى ليلا فأطعمتنى وسقتنى وآنصرفَتْ . فلمـا كان من غد جاءتنى فقالت : السـيدة الساعةَ تجىء ، فانظر كيف تخاطبهـا ، ثم عادت بعـد ساعة مع السـيدة وقـالت : آنزل ، فنزلت ، فإذا بالسيدة جالسة على كرسىّ وليس معها إلا وَصيفتانِ وصاحبتى ، فقبَّلْتُ الارض وقمتُ بين يديها ، قالت : آجلس ، فقلت : أنا عبد السـيدة وخادمُها وليس من محلى أن أجلس بحضرتها ، فتأملَتْنى وقالت : ما آخترتِ يافـلانة إلا حسن الوجه والأدبِ ، ونهضت فجـاءتنى صاحبتى بعـد ساعة وقالت : أبشر فقد أذِنَتْ لى فى تزويجك ، وما بقى الآن عقبة إلا الخروج ؛

فقلت : يسلم الله ، فلما كان من غَدٍ حملتنى فى الصندوق ، فخرجتُ كما دخلتُ بعد مخاطرة أُخْرى وفزع ثان ، ونزلت فى المسـجد ورجعت إلى منزلى ، فتصدّقت وحمدت الله تعالى على السلامة ، فلما كان بعـد أيام جاءنى الخادم ومعه كيس وفيه ثلاثة آلاف دينار عينا وقال : أمرتنى ستى بإنفاذ هـذا إليك من مالهـا وقالت : اشتر به ثيابا ومركوبا وخدما ، وأصلح به ظاهِرَك ، وآحضر يوم الموكب إلى باب العامّة ، وقِف حتّى تُطلَب ، فقـد وافَق الخليفة أن يزوجك بحضرته ؛ فأخذتُ المـال وأجبتُ عن رُقْعة كانت معه ، وآشتريت ماقالوه بشئ يسير منه وبقى الأكثر عندى ، وركبتُ إلى باب العامة فى يوم الموكب بِزِىّ حسن ، وجاء الناس فدخلوا إلى الخليفة ، ووقفتُ إلى أن آستُدْعِيتُ ودخلتُ ، فإذا أنا بالمقتدر جالسا ، والقضاة والقوّاد وغيرهم من الهـاشميين . فهِبْتُ المجلس وعُلِّمت كيف أُسَـلِّم ، ففعلت ؛ وتقدّم المقتدر إلى بعض القضـاة الحاضرين فخطب لى و زوّجنى وخرجت من حضرته ؛ فلما آنتهيت إلى بعض الدهاليز عُدِل بى إلى دار عظيمة مفروشة بأنواع الفُرُش الفاخرة وفيها من الآلات والخدم والقماش مالم أر مثله قَطُّ ؛ وآنصرف من أدخلنى ، فجلستُ يومى لا أقوم إلا إلى الصلاة ، وخدمٌ يدخلون وخدم يخرجون ، وطعام عظيم ينقل وهم يقولون : الليـلة تُزَف فلانة باسم صاحبتى إلى زوجها البزّاز ، وأنا لا أصـدّق فرحا ، فلما جاء الليل أَثَّرَ فىّ الجوع وأُقْفلِت الأبوابُ ، ويئستُ من الجـارية ، فقمت أطوف الدار فوقعت على المَطْبَخ ، ووجدت الطبـاخين جُلُوسا فاستطعمتهم فلم يعرِفُونى وقدّرونى بعض الوكلاء ، فقدّموا الىّ هـذا اللون مع رغيفين فأكلتهما وغسلت يدى بأشنان كان فى المطبخ ، وقدّرت أنها قد نقيت وعدت الى مكانى ، فلمـا جنّ الليل إذا طبول وزمور وأصـوات عظيمة ، وإذا أنا بالأبواب قد فُتِّحت وصاحبتى قد أُهْدِيت الىّ وجاءوا بها فجلوها علىّ ، وأنا أقدّر

أن ذلك فى النوم ، ثم تُرِكتْ معى فى المجلس ، و تفرّق ذلك البَوْش ، فلما خلونا ، تقدّمْتُ اليها فقبلتها وقبلتنى ، فلما شَمَّت رائحة لحيتى رفَسَتْنى فرمت بى عن المِنَصّة وقالت : أنكرتُ والله أن تُفْلِح ياعامّى ، ياسَفِلة ، وقامت لتخرج ، فقمت وعَلِقت بها وقبلتُ الأرض ورجلَيْها وقلت : عرفينى ذنبى واعملى بعده ما شئت ، فقالت : ويحك ، أكلت ولم تغسِلْ يدك فقصصت عليها قصتى ، فلما بلغت الى آخرها قلت : علىّ وعلىّ ، وحلفتُ بطلاقها وطلاق كل امرأة أتزوجها وصدقة مالى و جميع ماأملكه والحَجّ ماشيا على قدمىّ وكلِّ ما يحلف به المسلمون — لا أكلتُ بعدها ديكيريكة الا غسلتُ يدى أربعين مرة ، فاستحيتْ وتبسمتْ وصاحت : ياجوارى ، فجاء مقدار عشر جوار ووصائف ، فقالت : هاتوا شيئا نأكل ، فقُدّمتْ ألوان ظريفة وطعام من أطعمة الخلفاء ، فأكلنا وغسلنا أيدينا . واستدعت شرابا فشربْنا ، وغنّى أولئك الوصائف أطيبَ غِناء وأحسنَه ، ثم قمنا الى الفراش فخلوتُ بها وبتُّ بأطيبِ ليلة ولم نفترق أسبوعا ، وكانت يوم الأسبوع وليمةٌ عظيمة اجتمع فيه الجوارى ، فلما كان من الغد قالت لى : ان دار الخلافة لاتحتمل المُقامَ فيها أكثر من هذا مع جارية غيرى لمحبة سيدتى لى ، و جميع ماتراه فهو هبة من السيدة لى ، وقد أعطتنى خمسين ألف دينار من عين وورق وجوهر ، ولى ذخائر فى خارج القصر كثيرةٌ من كل لون و جميعها لك ، فاخرج إلى منزلك ، وخذ معك مالا وآشتر دارا سَرِيَّةً ، واسعةَ الصحن ، فيها بستان ، كثيرةَ الحُجَر . وتحوّل إليها وعرفنى لأنقل إليها هذا كله ثم آتيك ، وسلمت إلىّ عشرة آلاف دينار عينا ، فخرجت وآبتعتُ الدار وكتبتُ إليها بالخبر ، فحملت إلىّ تلك النعمة بأسرها ، بجميع ما أنا فيه منها ، فأقامت عندى كذا وكذا سنة أعيش معها عيش الخلفاء ، ولم أدع مع ذلك التجارة ، فزاد مالى ، وعَظُمت منزلتى ، وأثْرَتْ حالى ، وولدتْ لى هؤلاء الفتيان وأومأ إلى أولاده ، ثم ماتت (رحمها الله) وبقى علىّ من مضرّة الديكيريكة ما شاهدته .

(٦١)

وبالجملة فلا يغترّ أحد بهذه الحكاية وأمثالها فيجهل بنفسه فيهلكها. «فما المُغَرِّر محمودٌ وإن سَلِمَا» .

* * *

وأما من كفر بسبب العشق فكثير جدّا لا يحصرون، ومما ورد في ذلك حكاية عجيبة أوردتها لغرابتها وهى مما حكاه ابن الجوزىّ فى كتابه المترجم بـ"ذم الهوى" قال :

سمعت شيخنا أبا الحسن علىّ بن عبيد الله الزعفرانى يحكى أن رجلا اجتاز بباب امرأة نصرانية فرآها فهويها من وقته ، وزاد الأمر به حتّى غلب على عقله ، فحمل إلى البيمارستان. وكان له صديق يتردّد إليه ويرسّل بينه وبينها ، ثم زاد الأمر به فقالت أمّه لصديقه : إنى أجىء إليه فلا يكلمنى، فقال : تعالى معى، فأتت معه فقال له : إن صاحبتك بعثت إليك رسالة، قال : كيف ؟ قلت : هذه أمك تؤدّى رسالتها ، فجعلت أمه تحدّثه عنها بشىء من الكذب، ثم زاد الأمر عليه ونزل به الموت فقال لصديقه : قد جاء الأجل وحان الوقت وما لقيت صاحبتى فى الدنيا. وأنا أريد أن ألقاها فى الآخرة، فقال له : كيف تصنع ؟ قال : أرجع عن دين محمد وأقول عيسى ومريم والصليب الأعظم ، فقال ذلك ومات .

فمضى صديقه الى تلك المرأة فوجدها عليلة فجعل يحدّثها ، وأخبرها بموت صاحبها فقالت : أنا مالقيته فى الدنيا وأنا أريد أن ألقاه فى الآخرة ، وأنا أشهد أن لا إله الا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، وأنا بريئة من دين النصرانية . فقام أبوها فقال للرجل : خذوها الآن فإنها منكم ، فقام الرجل ليخرجَ، فقال له ، قِفْ ساعة ، فوقف ، فما لبث أن ماتت .

قال : وبلغنى عن رجل ببغداد (يقال له صالح المؤذن، أذّن أربعين سنة، وكان يُعْرَف بالصلاح) أنه صعد يوما الى المنارة ليؤذن فرأى بنت رجل نصرانىّ كان بيته الى جانب المسجد فافتتن بها، فجاء فطرق الباب فقالت له : من أنت؟ قال : أنا صالح المؤذن، ففتحت له الباب فدخل وضمها اليه فقالت : أنتم أصحاب الأمانات فما هذه الخيانة؟ فقال : إن وافقتينى على ما أريد و إلا قتلتك، فقالت : لا، إلا أن تترك دينك، فقال كلمة الكفر و برئ من الاسلام. ثم تقدّم اليها فقالت : إنما قلتَ هذا لتقضى غرضك ثم تعود الى دينك، فكل من لحم الخنْزير، فأكل منه، قالت : فاشرب الخمر، فشرب، فلما دبَّ الشرابُ فيه دنا منها فدخلت بيتا وأغلقت بينها و بينه الباب، وقالت له : اصعد الى السطح حتى اذا جاء أبى زوجنى منك، فصعد فسقط فمات، فخرجت اليه ولفته فى مِسْح، وجاء أبوها فقصت عليه القصةَ فأخرجه فى الليل و رماه فى السكة : وظهر حديثه فرُمى على مَزْبلة .

وأما من قَتَــلَ بسبب العشق فلا يكاد ذلك يحصر كثرةً ، وأعظمه وأشدّه واقعة عبد الرحمن بن مُلجم المرادىّ، لعنه الله .

قال النبي صلى الله عليه وسلم لابن عمه علىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه : "يا علىّ أشقى الأوّلين عاقر ناقة صالح، وأشقى الأوّلين والآخرين قاتلك، وهو هذا" وأشار الى ابن ملجم، قبحه الله تعالى ولعنه، وأوجب له خزيه ومقته وعذابه، وذلك نكالا لما اجترأ عليه فى قتله أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه؛ وذلك أن ابن ملجم قبحه الله رأى امرأة من تيم الرباب يقال لها قَطَامِ كانت من أجمل النساء وكانت ترى رأىَ الخوارج : وقد قتل علىّ رضى الله عنه قومها يوم النَّهروان؛ فلما رآها ابن ملجم عَشقها فخطبها فقالت : لا أتزوّجك إلا على ثلاثة آلاف درهم وعبد وقينة، وأن تقتل علىّ بن أبى طالب، فحمله العشق على أن خسر الدّنيا

والآخرة، وتزوّجها على ذلك، وكان من خبره فى قتل علىّ رضى الله عنـه ما نذكره إن شاء الله تعالى فى التاريخ .

وفى ذلك يقول الشاعر :

فَـلَمْ أرَ مَهْرا ساقه ذُو سَماحة * كَمَهر قَطَـامِ بَيِّنا غَـيْرَ مُعْجَم
ثلاثةُ آلافٍ وعبــدٌ وقينةٌ * وضربُ علىٍّ بالحُسَام المُصمَّم
فلا مَهْرَ أغلى من علىٍّ و إن عَلَا * ولا فَتْكَ إلا دُونَ فَتْكِ ابنِ مُلْجَم

(٦٤) ومنهم من حمله العشق على قتل أبيه وهو أبو عبد الملك مروان بن عبد الرحمن ابن مروان بن عبد الرحمن الناصر، ويعرف هذا "بالطليق" . كان يتعشق جارية كان أبوه قد رَبَّاها معه وذكر أنها له، ثم استأثر بها وخلا معها فحمله العشق على أن انتضى سيفا ورَصَد أباه فى بعض خلواته بها فقتله . فسجنه المنصور بن أبى عامر سنين ثم أطلقه فلُقِّب "بالطَّلِيق" واعتراه من ذلك شبه الجنون فكان يُصْرَع فى بعض الأوقات .

*
* *

وأما من قُتل بسبب العشق ، فروى عن الشعبىّ قال : دخل عمرو ابن معد يَكرِب على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له عمر : ياعمرو، أخبرنى عن أشجع مَن لَقِيت، فقال : نعم يا أمير المؤمنين .

خرجت مرة أريد الغارة ، فبينا أنا أسير إذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز ، وإذا رجل جالس وهو كأعظم ما يكون من الرجال خلقا ، وهو محتب بسيف، فقلت له : خذ حِذْرَكَ فإنى قاتلك ، فقـال : ومَن أنت ؟ قلت : أنا عمـرو بن معديكرب، فشهِق شهقة فمات .

فهذا أجبن من رأيت يا أمير المؤمنين !

وخرجت يوما حتى انتهيت الى حىّ : فإذا أنا بفرس مشدود ورمح مركوز و إذا صاحبه فى وهدة يقضى حاجةً، فقلت : خذ حِذْرك فإنى قاتلك، قال : مَن أنت؟ قلتُ : أنا عمرو بن معديكرب، قال : أبا ثور، ماأنصفتنى، أنت على ظهر فرسك، وأنا فى بئر، فأعطنى عهدا أنك لا تقتلنى حتى أركب فرسى وآخذ حِذرى . فأعطيتُه عهدا ألا أقتـله حتى يركب فرسه و يأخذ حذره ، فخرج من الموضع الذى كان فيه حتى ٱحتبى بسيفه وجلس ، فقلتُ له : ما هذا ؟ فقال : ما أنا براكب فرسى ولا بمقاتلك، فإن نكثت عهدك فأنت أعلم، فتركته ومضيت .

فهذا يا أمير المؤمنين أحيل من رأيت !

ثم إنى خرجتُ يوما آخر حتَّى ٱنتهيتُ الى موضع كنت أقطع فيه فلم أر أحدا ، فأجريتُ فرسى يمينا وشمالا فظهر لى فارس ، فلمـا دنا منى إذا هو غلام قد أقبـل من نحو اليمـامة ، فلمـا قَرُبَ منى سلَّم فرددت عليه وقلت : مَن الفتى ؟ قال أنا الحارث بن سعد فارس الشهباء، فقلت له : خذ حِذرك فإنى قاتلك، فقال : الو يل لك، مَن أنت؟ قلت : أنا عمرو بن معديكرب، قال : الحقير الذليل؟ والله ما يمنعنى من قتلك إلا ٱستصغارُك ، فتصاغرتْ نفسى إلىّ وعظُم عنـدى ما ٱستقبلنى ، فقلت له : خذ حذْرك فوالله لا ينصرفُ إلا أحدنا ، قال : أغرب ثكلْتك أُمُّك فإنى من أهل بيت ما نَكَلْنا عن فارس قط، فقلتُ : هو الذى تسمع، قال : ٱختر لنفسك، إما أن تُطْرِد لى، و إما أن أُطْرِد لك، فاغتنمتها منه، فقلت : أطرد لى، فأطردَ وحملتُ عليـه حتى إذا قلتُ إنى وضعت الرمح بين كتفيه إذا هو قد صار حزاما لفرسه، ثم ٱتّبَعَنى فقرع بالقناة رأسى وقال : يا عمرو، خذها إليك واحدة ، فوالله لولا أنى أكره قتل مثلك لقتلتُك، فتصاغرتْ إلىّ نفسى، وكان الموت والله يا أمير المؤمنين أحبَّ إلىّ ممـا رأيت، فقلتُ : والله لا ينصرف إلا أحدنا، فقال:

اختر لنفسك ، فقلت : أطردْ لى ، فأطرد لى ، فظننت أنى قد تمكنت منه وٱتبعته حتَّى اذا ظننت أنى قد وضعت الرمح بين كتفيه فإذا هو قد صار لببا لفرســه ، ثم ٱتبعنى فقرع رأسى بالقنـاة وقال : ياعمرو ، خذها إليـك ٱثنتين ، فتصاغرتْ إلىّ نفسى فقلت : والله لا ينصرف إلا أحدنا ، فقـال : ٱختر لنفسك ، فقلت : أطرد لى ، فأطرد حتَّى اذا قلت إنى وضعت الرمح بين كتفيه وثب عن فرسه فإذا هو على الأرض ، فأخطأته ومضيتُ ، فاستوى على فرسه وٱتبعنى فقرع بالقناة رأسى وقال : يا عمـــرو خذها إليك ثالثــة ، ولولا أنى أكره قتــل مثلك لقتلتُك ، فقلتُ له : ٱقتلنى ، فإن الموت أحب إلىّ مما أرى بنفسى ، وأن تسمع فتيانُ العرب بهذا ، فقال يا عمرو : إنما العفو ثلاث ، و إنى إن ٱستمكنت منك الرابعة قتلتك ، وأنشأ يقول :

وَكَّدتُ أغْلاظا من الأَيْمـانِ * إن عُدْتَ يا عمرو الى الطِّعان
لَتوجَدَنَّ لَهَبَ السِّـنانِ * أوْ لا فلَسْتُ من بَنى شَـيْبان

فلما قال هكذا كرهت الموت ، وهبتُه هيبة شديدة وقلت : إنّ لى إليك حاجة ، (٦٥)
قال : وما هى؟ قلت : أكون لك صاحبا ، ورضيتُ بذلك يا أمير المؤمنين ، قال : لست من أصحابى ، فكان ذلك والله أشدّ علىّ وأعظم مما صنع ، فلم أزل أطلب إليه حتى قال : ويحك ، وهل تدرى أين أريد؟ قلت : لا ، قال : أريد الموت عيانا ، فقلت : رضيت بالموت معك ، فقـال : ٱمض بنا ، فسرنا جميع يومنا وليلتنا حتى جَنَّنَا الليــل وذهب شطره ، فوردنا على حىّ من أحيـاء العرب فقال لى : يا عمرو فى هذا الحىّ الموتُ ، ثم أومأ الى قبة فى الحىّ فقال : وفى تلك القبة الموت الأحمر ، فإما أن تمسك علىّ فرسى فأنزل فآتى بحاجتى ، و إما أن أمسك عليك فرسك فتنزل فتأتينى بحاجتى ، فقلت : لا ، بل ٱنزل أنت فأنت أعرف بموضع حاجتك ، فرمى إلىّ بعنَان الفرس ونزل ، فرضيت لنفسى يا أمير المؤمنين أن أكون له سائسا ، ثم مضى

حتَّى دخل القبة فاستخرج منها جارية لم تر عيناى قط مثلها حسنا وجمالا ، فحملها على ناقة ثم قال : يا عمرو ، قلت : لبيك ، قال : إما أن تحمينى وأقود أنا ، وإما أن أحميك وتقود أنت ، قلت : بل تحمينى أنت ، وأقود أنا ، فرمى إلىّ بزمام الناقة ، وسرنا بين يديه وهو خلفنا حتَّى أصبحنا فقال لى : يا عمرو ، قلت : لبيك ، ما تشاء ؟ قال : التفت فانظر هل ترى أحدا ؟ قال : فالتفت فقلت : أرى جمالا ، قال : أغذَّ السيْرَ ، ثم قال لى : يا عمرو ، قلت : لبيك ، قال : انظر ، فإن كان القوم قليلا فالجَلَد والقوة والموت ، وإن كانوا كثيرا فليسوا بشىء ، قال : فالتفتُّ فقلت : هم أربعة أو خمسة ، قال : أغذَّ السيْرَ ، ففعلت ، وسمع وَقْع الخيل ، فقال لى : يا عمرو ، قلت : لبيك ، قال : كن عن يمين الطريق ، وقِفْ وحوّلْ وُجوهَ دوابنا الى الطريق ، ففعلتُ ، ووقفت عن يمين الراحلة ووقف هو عن يسارها ، ودنا القومُ منا فإذا هم ثلاثة نفر فيهم شيخ وهو أبو الجارية وأخواها غلامان شابان ، فسلموا فرددنا السلامَ ، ووقفوا عن يسار الطريق ، فقال الشيخ : خَلِّ عن الجارية يابن أخى ، فقال : ما كنتُ لأُخَلِّيها ولا لهذا أخذْتُها ، فقال لأصغر ابنيه : اخرج إليه ، فخرج وهو يجرّ رمحه وحمل عليه الحارث وهو يقول :

مِنْ دُونِ ما تَرْجُوه خَضْبُ الذابِلِ ... مِن فارِسٍ مستَلْئِمٍ مقاتِلِ
يُنْمَى الى شَيبانَ خيرِ وائلِ ... ما كان سَيْرِى نَحْوَها بباطِلِ

ثم شدّ عليه فطعنه طعنة دَقَّ منها صُلْبه فسقط ميتا ، فقال الشيخ لابنه الآخر : اخرج اليه يا بُنىَّ ، فلا خير فى الحياة على الذُّلّ ، فخرج إليه وأقبل الحارث يقول :

لَقَدْ رأيتَ كيفَ كانَتْ طَعْنتى * والطَّعن للقِرْن الشديد هِمَّتِى
والموتُ خيْرٌ من فراق خُلَّتِى * فقَتْلِى اليومَ ولا مَذَلَّتِى

ثم شدّ عليه فطعنه طعنةً سقط منها ميتـا . فقال له الشيخ : خَلِّ عن الظعينة يابن أخى ، فإنى لستُ كمن رأيتَ . قال : ما كنت لأُخَلِّيَها ولا لهـذا قصدتُ . فقال له الشـيخ : آختر يابن أخى ، فإن شئت طاردتك ، و إن شئت نازلتـك ، فاغتنمها الفتى ونزل، ونزل الشيخ وهو يقول :

ما أرتَجِى بعـد فَنـاءِ عُمْـرِى * سأجعلُ السِّنِينَ مثـــل الشَّهْرِ
شيخٌ يحامى دونَ بَيضِ الخِدْرِ * إنَّ آستباحَ البيضِ قَصْمُ الظَّهرِ
* سوف ترى كيفَ يكونُ صَبْرِى *

فأقبل الحارث وهو يقول :

بَعد ارتحالى وطويلِ سَفَرِى * وقد ظَفِرتُ وشفَيْتُ صَدْرِى
والموتُ خيرٌ من لِباسِ الغَدْرِ * والعـارِ أُهْـــديه لَحَىٍّ بكر

ثم دنا فقال له الشيخ : يا آبن أخى، إن شئت نازلتـك، و إن بقيت فيك قوّة ضربتنى، و إن شئت فاضربنى، فان بقيت فىَّ قوّةٌ ضربتك، فاغتنمها الفتى فقال: وأنا أبدؤك، قال : هات، فرفع الحارث السيفَ، فلما نظر الشيخ أنه قد أهوى به الى رأسه ضرب بطنَه ضربة فقدّ معَاه، ووقعت ضربة الحارث فى رأسه . فسقطا ميتين، فأخذت يا أمير المؤمنين أربعة أفراس وأربعة أسياف، ثم أقبلتُ الى الناقة فعقدت أعنة الأفراس بعضها الى بعض وجعلت أقودها، فقالت الجارية : ياعمرو، ٦٦
الى أين ولستَ لى بصاحب؟ ولستَ كمن رأيت؟ ولو كنت صـاحبى لسلكت سبيلهم، فقلت: آسكتى. قالت : فإن كنت صادقا فأعطنى سيفا ورمحا، فإن غلبتَنى فأنا لك، و إن غلبتك قتلتك، فقلتُ لها : ما أنا بمعطيك ذلك، وقد عرفتُ أصلك وجُرأة قومك وشجاعَتَهم، فرمت بنفسها عن البعير وهى تقول :

أبَعْدَ ما شَيْخى و بَعْدَ إخْوتِى * أطلُبُ عيشًا بعْدَهُم فى لَذَّةِ؟
* هَلْ لا تَكُونُ قبل ذَا مَنِيَّتِى *

وأهوت إلى الرُّمح فكادت تنتزعه من يدى ، فلما رأيتُ ذلك خفْتُ إن هى ظَفرت بى أن تقتلنى فقتلتها .

فهذا أشدّ ما رأيته يا أمير المؤمنين !

فقال عمر بن الخطاب : صدقت يا عمرو .

وروى آبن الجوزىّ بسند يرفعه إلى الليث بن سعد أنه قال : أتى عمر رضى الله عنه بفتًى أمردَ قد وجد قتيلا مُلْقًى فى الطريق . فسأل عمر عن أمره وآجتهد فلم يقف له على خبر، ولم يعرف قاتله ، فشَقَّ ذلك عليه ، وقال : اللهم ظَفِّرنى بقاتله ، حتَّى إذا كان رأسُ الحول أو قريب من ذلك وُجدَ صبىّ مولود مُلْقًى بموضع القتيل فأُتِىَ به عمر ، فلما أُتِىَ به وأُخْبِر بمكانه قال : ظَفِرتُ تالله بدم القتيل إن شاء الله تعالى ، فدفع الصبىّ الى امرأة ، وأمرها أن تقوم بشأنه وأعطاها نفقة وقال : انظرى مَن يأخذه منكِ ، فإذا وجدتِ امرأة تقبله وتضمه الى صدرها فأعلمينى بمكانها ، فلما شبّ الصبىّ جاءت جاريةٌ فقالت للمرأة ان سيدتى بعثتنى اليك لتبعثى اليها بالصبىّ لتراه وتردّه اليك ، قالت : نعم ، اذهبى به اليها وأنا معك ، فذهبتْ بالصبىّ والمرأة معها الى سيدتها ، فلما رأته أخذته فقبلته وضمّته الى صدرها ، و إذا هى بنت شيخ من الأنصار من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبرتْ عمر خبرها ، فاشتمل على سيفه ، ثم أقبل على منزلها ، فوجد أباها متكئا على باب داره فسلم عليه ، وقال له : أبا فلان ، قال : لَبَّيْك ، قال : مافعلت ابنتك فلانة ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، جزاها الله خيرا ، هى من أعرف الناس بحق الله تعالى وحق أبيها مع حُسْن صَلَاتها وصيامها والقيام بدِينها ، فقال عمر : قد أحببتُ أن أدخل اليها فأزيدَها رغبةً فى الخير

وأَحُثّها على ذلك ، فقال : جزاك الله خيرا يا أمير المؤمنـين ، امكُثْ مكانك حتَّى أعود اليك ، فاسـتأذن بعمر ، فلما دخل عمر ، أمر من كان عندها بالخروج عنها ، فخرجوا ، و بقيت هى وعمر ليس معهما ثالث ، فكشف عمر عن السيف وقال : لتصدقيني و إلا ضربت عنقك ، وكان عمر لا يُكذب ، فقالت : على رِسْلك يا أمير المؤمنين ، فوالله لأصدُقَنَّك ، إن عجوزا كانت تدخل علىّ فاتخذتها أمًّا ، وكانت تقوم من أمرى بما تقوم به الوالدة ، وكنت لها بمنزلة البنت ، فأمضتْ بذلك حينا ، ثم إنهـا قالت لى يوما : يابنية ، إنه قد عرض لى سَـفَر ، ولى بنت فى موضـع أتخوف عليها فيه أن تضيع ، وقد أحببتُ أن أضمها اليـكِ حتَّى أرجع من سفرى ، فعمدَتْ الى ابن لها شاب أمرد ، فهيأته كهيئة الجارية وأتتنى به لا أشك أنه جارية ، فكان يرى منى ما ترى الجارية من الجارية حتَّى أغفلنى يوما وأنا نائمة فما شـعرتُ حتَّى علانى وخالطنى ، فمددت يدى الى شَـفْرة كانت الى جنبي فقتلتُه ، ثم أمرتُ به فأُلقى حيث رأيتَ ، واشتملتُ منه على هذا الصبى ، فلما وضعته ألقيته فى موضع أبيه ، فهـذا والله خبرهما ، فقال عمر : صدقتِ ، بارك الله فيـك ، ثم أوصاها ووعظها ودعا لهـا وخرج ، وقال لأبيها : بارك الله لك فى ابنتـك ، فنعم الابنـة هى وقد وعظتها وأمرتها ، فقال : وصـلك الله يا أمير المؤمنين ، و جزاك خيرا عن رعيَّتك .

وروى أيضا بسنده الى أبى عباد قال : أدركتُ الخادمَ الذى كان يقوم على رأس الحجاج ، فقلت له : أخبرنى بأعجب شيء رأيتَه من الحجاج ، قال : كان ابن أخيه أميرا على واسطَ ، وكان بواسط امرأة يقال لها أبَّة لم يكن بواسطَ فى ذلك الوقت أجملُ منها ، فأرسل ابن أخيـه اليها يراودها عن نفسها مع خادم له ، فأبت عليـه وقالت : إن أردتنى فاخطبني الى إخوتى ، وكان لهـا أربعة إخوة ، فأبى وقال :

لا ، إلا كذا ، وعاودها فأبت ، فراجعها وأرسل اليها بهدية فأخذتها وعزلتها ، وأرسل اليها عشية الجمعة : انى آتيكِ الليلة ، فقالت لأُمها : إن الأمير بعث الىّ بكذا وكذا ، فأنكرتْ أمُّها ذلك ، وقالت أُمها لأخوتها : إن إختكم قد زعمت كيت (٦٧)
وكيت ، فأنكروا ذلك وكذبوها ، فقالت : انه قد وعدنى أن يأتينى الليلةَ ، فسترَوْنه ، قال : فقعد إخوتها فى بيت حيال البيت الذى هى فيه وجويريةٌ لها على باب الدار تنتظره ، فجاء ونزل عن دابته وقال لغلامه : اذا أذن المؤذن فى الغلس فأْتنى بدابتى ، ودخل والجاريةُ أمامه ، فوجد أَبّةَ على سرير مستلقيةً ، فاستلقى الى جانبها ثم وضع يده عليها وقال : الى كم ذا المَطْلُ ؟ فقالت له : كفّ يدك يافاسقُ ، ودخل إخوتها عليه بأيديهم السيوف فقَطَّعوه ثم لفوه فى نطع وجاءوا به الى سكة من سكك واسط فألقوه فيها ، وجاء الغلام بالدابة فجعل يدُقُّ الباب دقًّا رفيقا فلا يكلمه أحد ، فلما خَشِى الضوء وأن تعرف الدابةُ انصرف ، وأصبح الناس فإذا هم به على تلك الصفة ، فأتوا به الحجاجَ فأخذ أهل تلك السكة ، فقال : أخبرونى ماقصتهُ ؟ قالوا : لا نعلم حاله ، غير أنا وجدناه ملقىً ، ففطِن الحجاجُ فقال : علىّ بمن كان يخدمه ، فأُتِىَ بذلك الخصىّ الذى كان الرسولَ بينهما ، فقالوا : هذا كان صاحبَ سره ، فقال له الحجاج : اصدقنى عن خبره وقصته ، فأبى . فقال : إن صدقتنى لم أضرب عنقك ، و إن لم تصدقنى فعلتُ بك وفعلت . قال : فأخبره الأمر على جهته . فأمر بالمرأة وأُمها و إخوتها ، فجىء بهم ، وعُزِلت المرأة عنهم ، فسألها فأخبرته بمثل ما أخبر به الخصىّ ، ثم سأل إخوتها فأخبروه بمثل ذلك ولم يختلفوا ، وقالوا : نحن صنعنا به الذى نرى ، فأمر برقيقه ودوابه للمرأة ، فقالت المرأة : هديته عندى ، فقال : بارك الله لك فيها ، وكثَّرَ فى النساء مثْلك ، هي لك ، وما ترك من شىء فهو لك ، وقال : مثلي هذا

لا يُدْفن . فألقُوه للكلاب ، ودعا بالخصىّ فقال : أما أنت فقد قلت لك إنى لا أضرب عنقك ، وأمر بضرب وسطه فقطع نصفين .

والأخبار فى مثل هذا كثيرة ، فلا نطول بذكرها .

*

وأما من قتله العشق فكثير جدّا لا يكاد يحصر ، روى عن عكرمة قال : إنى لمَعَ ابن عباس عشيةَ عرفةَ اذ أقبل فتيةٌ يحملون فتًى من بنى عُذْرة فى كساء ، وهو ناحل البَدَن أحلى من رأيت من الفِتْيان ، فوضعوه بين يديه ثم قالوا : استشفِ لهـذا يابن عمّ رسـول الله ، فقال : وما به ؟ فترنم الفتى بصوت ضعيف خفىّ الأنين وهو يقول .

بِنَا من جَوى الأحزان والحُبّ لَوْعةٌ * تَكادُ لهـا نَفْسُ الشَّفيق تَذُوبُ
ولكنَّما أبقى حَشاشـةَ مُعْوِلٍ * على ما به عُـودٌ هناك صَليبُ
وما عَجَبٌ موت المحِبِّين فى الهَوى * ولكنْ بقاءُ العاشِقِين عجِيب

قال : ثم حمل فمات فى أيديهم ، فقال ابن عباس : هذا قتيلُ الحُبّ ، لا عَقْلٌ ولا قَوَد .

قال عكرمة : فما رأيت ابن عباس سأل الله تعالى تلك الليلةَ — حتَّى أمسى — إلا العافيةَ ممـا ابتـلى به ذلك الفتى .

وروى عن الأصمعىّ قال : حدّثنى أبو عمرو بن العلاء قال حدّثنى رجل من بنى تميم قال : خرجت فى طلب ضالَّة لى ، فبينا أنا أدور فى أرض بنى عُذْرة أنشُد ضالّتى ، اذا بيتٌ معتزل عن البيوت ، واذا فى كِسْر البيت شابٌّ مغمًّى عليه ، وعند رأسه عجوز لها بَقِيَّة من جمال ، وهى ساهيةٌ تنظر الى وجه الفتى ، فسلمتُ فردَّت السلامَ ، فسألتها

عن ضالّتى فلم يك عندها منها علم، فقلت : أيتُها العجوزُ، مَن هذا الفتى ؟ قالت : آبنى، ثم قالت : هل لك فى أجرٍ لا مَئونةَ فيه ؟ فقلت : والله إنى لأُحبُّ الأجرَ وإن رُزِئت، فقالت : إن آبنى هذا يهوى آبنةَ عمٍّ له عَلِقها وهما صغيران . فلما كَبِر حُجبت عنه ، فأخذه شبيهٌ بالجنون، ثم خطبها الى أبيها فامتنع من تزويجه، وخطبها غيره فزوّجها إياه، فنَحَل جسمُ ولدى وآصفرّ لونه وذَهَلَ عقلُه ، فلما كان منذ خمس، زُفَّت الى زوجها، فهو كما ترى، لا يأكل ولا يشرب، مغمًى عليه، فلو نزلت اليه فوعظته .

قال : فنزلتُ اليه فلم أدَعْ شيئا من المَوعظة إلا وعظته به حتّى أن قلت له فيما قلت : إنهنّ الغوانى صاحباتُ يوسف، ناقضاتُ العهد، وقد قال فيهن كُثيِّر عَزَّة :

هَلْ وَصْلُ عَزَّةَ إلا وَصْلُ غانيــةٍ * فى وَصْلِ غانيةٍ من وَصْلِها خَلَفُ ؟

قال : فرفع رأسه، مُحمرةً عيناه كالمُغْضَب وقال : لستُ ككثيِّر عزة، إنّ كثيِّرا رجل مائقٌ، وأنا رجل وامقٌ، ولكننى كأخى تميم حيث يقول :

أَلَا لا يَضِيرُ الحبُّ ما كان ظاهِرًا * ولكنَّ ما آخْتافَ الفؤاد يَضِيرُ
أَلَا قاتل اللهُ الهوى كيف قادَنِى * كما قِيـدَ مغلولُ اليدَيْنِ أَسِـيرُ

فقلتُ له : فإنه قد جاء عن نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من أُصِيبَ منكم بمُصيبةٍ فليذْكُرْ مُصابه بِى " .

فأنشأ يقول :

أَلَا ما للمليحـــة لا تَعُـــودُ * أَبُخْـــلٌ بالمليحةِ أم صُدُودُ ؟
مَرِضْتُ فعـادَنِى أهلى جميعًا * فمـا لَكِ لا تُرَى فيمن يَعُـــودُ
فَقَدْتُكِ بينهُـــمْ فبكَيْتُ شَوْقًا * وفَقْدُ الإلْفِ يا أملى شَـــديدُ
وما استَبْطأْتُ غيْرَكِ فاعلَمِيه * وحَوْلِى من ذَوِى رَحِمِى عَدِيدُ
ولو كُنْتِ السقيمةَ كنْتُ أسعَى * إليك ولم يُنَهْنِهْنِى الوَعيـــدُ

قال : ثم شهق شهقةً وخَفَتَ فمات ؛ فبكت العجوز وقالت : فاضت والله نفسُه ، فدخلني أمر لم يدخلني مثلُه قط ؛ فلما رأت العجوزُ ما حلَّ بى قالت : يافتى لا تُرَعْ عاش بأجَلٍ ، ومات بقَدَر ، وقدم على ربٍّ كريم ، وٱستراح من تباريحِه وغُصَصه ، ثم قالت : هل لك فى ٱستكمالِ الصنيعة ؟ قلت : قولى ما أحببتِ ، قالت تأتى البيوت فتنعاه اليهم ليعاوِنُونى على رَمْسه فإنى وحيدة ؛ قال : فركبت فرسى وقصدت البُيوتَ وأقبلت أنعاه إليهم ، فبينا أنا أنعاه ، اذا خيمةٌ رُفع جانبٌ منها ، واذا امرأة قد خرجتْ كأنها القمر ليلة البدر ، ناشرةً شعرها ، تجرُّ خِمارها وهى تقول : بِفِيك الكَثْكَثُ ، بفيك الحَجَرُ ، مَن تَنْعَى ؟ قلت أنعى فلانا ، قالت : أوَقد مات ؟ قلت : إى والله قد مات ، قالت : فهل سمعت له قولا ، قلت : اللهــم لا ، إلا شعرا ، قالت : وما هو ؟ فأنشدتُها قوله :

* ألا ما للمليحة لا تعود * الأبيات .

فاستعبرتْ باكية وأنشأت تقول :

عَدَانِى أنْ أزُورَك يامُنــاىَ * مَعَاشِر كُلُّهم واشٍ حَسُودُ
أشاعُوا ماعلِمْتَ من الدَّواهى * وعابُونا وما فِيهمْ رَشِــيدُ
فأما إذ ثَوَيْتَ اليومَ لَحْــدًا * فكلُّ الناسِ دُورهمُ لُحُودُ
فلا طابَتْ لىَ الدُّنْيــا فُوَاقا * ولا لَهُــمُ ولا أَثْرَى عديدُ

ثم شهقتْ شهقةً وخرَّتْ مغشيًّا عليها ، وخرج النساء من البيوت واضطربت ساعة وماتت ، فوالله ما برحتُ حتَّى دفنتهما جميعا .

وروَى الساجى عن الأصمَعىّ قال : رأيت بالبادية رجلا قد دق عظمه ، وضَؤُلَ جسمه ، ورق جلده ، فتعجبت ودنوت منــه أسأله عن حاله ، فقالوا : اذكر له شيئا من الشعر يكلمْك ، فقلتُ :

سَبَقَ القضاءُ بأنَّنى لك عاشِقٌ * حتَّى المماتِ فأيْنَ منك مذاهبى ؟

فشهق شهقة ظننتُ أن روحه قد فارقته ، ثم أنشأ يقول :

أخلُو بذكْرِكِ لا أرِيدُ محدّثا * وكفى بذكْرِكِ سامِرًا وسُرُورا

قال : فقلت له : أخبرنى عنك ، قال : إن كنت تريد علم ذلك فاحملنى وألْقِنِي على باب تلك الخيمة ، ففعلت فأنشأ يقول بصوت ضعيف يرفعه :

ألا ما للمَليحــــةِ لا تَعُــودُ * أبُخْــلٌ بالمَلِيحةِ أم صُدُودُ ؟
فلو كُنتِ المريضَةَ كنتُ أسْعى * إليــك ولم يُنَهْنِهْنِي الوَعِيـــدُ

فإذا جارية مثل القمر قــد خرجت فألقت نفسها عليــه فاعتنقا ، وطال ذلك فسترتهما بثوبى خشية أن يراهما الناسُ ، فلما خفتُ عليهما الفضيحة فرّقت بينهما فإذا همــا ميتان ، فما بَرِحْتُ حتّى صليت عليهما ودُفِناَ ، فسألت عنهما فقيل لى : عامرُ بن غالب ، وجميلة بنت أميل المُزَنِيَّان .

وروَى ابن الجوزىّ بسند يرفعه إلى محمد بن خلف قال : ذكر بعض الرواة عن العمرىّ قال : كان أبو عبد الله الجيشانىّ يعشَق صفراء العلاقمية ، وكانت سوداء ، فاشتكى من حبها ، وضَنِي حتّى صار الى حدّ الموت ، فقال بعض أهله لمولاها : لو وجهت صفراء الى أبى عبدالله الجيشانى ، فلعله أن يعقل اذا رآها ، ففعل . فلما دخلتْ 

عليــه قالت له : كيف أصبحت يا أبا عبدالله ؟ قال : بخير مالم تبرحى ، قالت : ما تشتهى ؟ قال : قُرْبَك ، قالت : ما تشــتكى ؟ قال : حُبَّك ، قالت : فتوصى بشىء ؟ قال : نعم ، أوصى بِكِ إن قبــلوا منى ، فقالت : إنى أريد الأنصراف ، قال : فتعجلى ثوابَ الصلاة علىّ ، فقامت فانصرفت ، فلما رآها مولية تنفس الصعداء ومات من ساعته .

وروى أيضا بســند يرفعه الى عَوَانة بن الحكم أن عبــدالله بن جعفر وفد الى عبد الملك بن مَرْوان فحدّثه قال : آشتريت جاريةً بعشرة آلاف درهم ، فوُصِفَتْ

ليزيد بن معاوية فأرسل إلىّ يقول : إما أن تهديها إلىّ ، وإما أن تبيعها بحكمك ، فكتبت إليه : لا تخرج والله من ملكى ببيع ولا هبة أبدا ، ومكثتْ عندى لا أزداد لهـا إلا حبا حتَّى أتتنى عجوز من عجائزنا ، فذكرتْ أنّ بعض عُزَّاب المدينـة يهواها ، وأنه يجيء فى كل يوم متنكرا فيقف بالباب حتَّى يسـمع غِناءها ، فراعيتُ مجيئه ليلة فإذا به قد أقبل متقنعَ الرأس حتَّى قعد مستخفيا ، فدعوت قيِّمة الجارية فقلت : انطلق الساعة فأصلحى هـذه الجاريةَ بأحسن ما أمكن وحلّى بهـا ، ففعلت ، فقمتُ وقبضتُ على يدها وفتحتُ الباب وأتيتُ الى الرجل فحركتُه فانتبه مذعورا ، فقلت : لا بأس عليك ، خذ هذه الجارية ، هى لك ، فاذا هممت ببيعها فارددها إلىّ ، فَدهِش الفتى فدنوتُ الى أذنه فقلت : ويحك ، قـد أظفرك الله عز وجل ببُغْيتك ، فانصرِفْ الى منزلك ، فاذا الفتى ميت ، فلم أر شيئا قط أعجبَ من ذلك ، وهانت علىّ الجاريةُ ، فكرهتُ أن أوجِّه بها الى يزيد فيعلم حالها أو تخبره عن نفسهـا فيحقِد ذلك علىّ ، فمكَثَتْ مدّة مـديدة ثم ماتت ، ولا أظنهـا ماتت إلا كمدا وأسفا على الفتى .

وروى ابن الجوزىّ أيضا بسنده قال : حُكِيَ عن شَبَابة بن الوليد العُذرىّ أن فتًى من بنى عُذْرة يقال له أبو مالك بن النضر كان عاشقًا لابنة عمّ له عشقا شديدًا ، فكان على ذلك مدّةً ، ثم إنه فُقِد بضعَ عشرةَ سنةً ، لا يُحَسُّ له خبر، قال شبابة : فأضلَلْتُ إبلًا لى فخرجت فى طلبهـا ، فبينا أنا أسـير فى الرمال إذا بهاتف يَهْتف بصوت ضعيف :

يابنَ الوليدِ ألا تحمونَ جارَكُمُ * وتحفَظُون له حـــقَّ القَراباتِ؟
عهدى اذا جارُ قوم نابَهُ حَدَثٌ * وَقَوْه من كلِّ مكروه المِلمَّـات
هـذا أبو مالِك المسْمى بِبَلْقعةٍ * من الضِّياع وآساد بغاباتِ

طَلِيحُ شوقٍ بنار الحبِّ محترقٌ * تعتادُه زَفَراتٌ إثْرَ لوعات
أما النهارُ فيُنْضِيه تذكُّرهُ * والليلُ مرتقبٌ للصبح هل يأتى
يَهْذِى بجاريةٍ من عُذْرةَ اختلَسَتْ * فؤادَه فهو منها فى بَلِيَّات

فقلت : دُلَّنى عليه رحمك الله قال : نعم، اقصد الصوت، فقصدته فسمعت أنينا من خباء فاذا قائل يقول :

يا رَسِيسَ الهوى أذبْتَ فُؤادِى * وحَشَوتَ الحَشَا عذاباً أليما

فدنوت منه فقلت : أبومالك؟ قال : نعم، قلت : ما بلغ بك الى ماأرى؟ قال : حُبِّى سعادَ ابنة أبى الهندَام العذرىّ، شكوت يوما ما أجدُ من حبها الى ابن عمٍ لنا، فاحتملنى الى هذا الوادى منذ بضع عشرة سنة، يأتينى كل يوم بخبرها ويَقُوتُنى من عنده، فقلت إنى أصير الى أهلها فأخبرهم مارأيت، قال : أنتَ وذاك، قال : فانصرفتُ فأخبرتهم، فرَقُّوا له فزوجوه بحضرتى، فرجعتُ إليه لأفترج عنه، فلما أخبرته الخبر نظر إلىّ ثم تأوه تأوُّها شديدا بلغ من قلبى، ثم قال :

ألآن إذ حَشْرجَتْ نفسى وخامَرَها * فِراقُ دُنْيا وناداها مُنَاديها

ثم زَفَر زَفْرة فمات . فدفنته فى موضعه ثم انصرفت فأخبرتهم الخبر، فأقامت الجارية بعده ثلاثا لا تَطْعَمُ ثم ماتت .

وحكى عن المبرد قال : خرجتُ أنا وجماعة من أصحابى مع المأمون، فلما قَرُبنا من الرَّقَّة اذا نحن بدير كبير، فقال لى بعض أصحابى : مِلْ بنا الى هذا الدير لننظر مَنْ فيه ونحمد الله تعالى على مارَزَقنا من السلامة، فدخلنا الى الدير، فرأينا مجانين مُقَلَّلين (١) وهم فى نهاية القَذَارة، فاذا فيهم شابٌّ عليه بقية من ثيابٍ ناعمةٍ، فلما بَصُر بنا قال : مَن أنتم يا فِتيانُ حياكم الله؟ فقلنا : نحن من العراق، فقال : بأبى العراقُ وأهلُها، بالله

(١) فى الأصل : مغلغلين . والصواب ما أثبتناه .

أنشدونى أو أنشدكم، فقال المبرد : قلت : والله إن الشعر من هذا لَظريف، فقلنا : أنشدنا، فأنشأ يقول :

اللهُ يَعْـــلَمُ أنّنِي كَـمِدُ * لا أسْـــتَطِيعُ أبُثُّ ما أجدُ
رُوحان لى رُوحٌ تضمَّنهـا * بلدٌ وأُخْرى حازها بَـلَدُ
وأرى المقيمةَ ليس يَنْفَعُها * صَبْر ولا يَقْوى لهـا جَلَدُ
وأظنُّ غائبتى كشاهِدَتِي * فكأنَّهـا تجدُ الذى أجدُ

قال المبرد : بالله زدنا، فأنشأ يقول :

لَمَّا أناخُوا قُبَيْـــلَ الصُّبْحِ عِيرَهُمُ * ورَحَّلُوها فسارَتْ(١) بالهوى الإبِلُ
وقلَّبتْ من خَلَال السَّجْف ناظرَها * تَرْنُو إلىّ ودمعُ العينِ مُنهمل
وودَّعتْ ببَنانٍ عقـــدُها عَنَمٌ * ناديتُ لا حَمَلَتْ رِجْلاك يا جَمَلُ
وَيْلِى من البَيْنِ ماذا حَلَّ بى وبِهَا * مِنْ نازل البَيْنِ حانَ البينُ فارتَحَلُوا
ياراحِلَ العِيسِ عَرِّجْ كَىْ نُودِّعها * ياراحِلَ العِيسِ فى تَرْحالكَ الأجَلُ
إنِّى على العَهْد لم أنقُضْ مودَّتَهم * ياليت شِعرِى بعد العهد مافعلُوا ؟

قال : فقال رجل من البغضاء الذين معى : ماتُوا قال : قال إذَنْ فأموتُ، فقال له : إن شئتَ، فتمطَّى واستند الى السارية التى كان مشدودا فيها فمات، فما بِرحْنا حتَّى دفناه .

وحكى عن أبى يحيى التيمى قال : كنا نختلف الى أبى مِسْعَر بن كِدَام، وكان يختلف معنا فتًى من النُّسَّاك، يقال له أبو الحسن ومعه فتًى حسنُ الوجه يفتِنُ به الناس اذا رأَوْه، فأكثر الناسُ القولَ فيه وفى صحبته إياه، فمنعه أهله أن يصحبه

(١) فى الأصل : «فثارث» بالثاء المثلثة وما أثبتناه أنسب .

وأن يكلمه ، فذهَل عقله حتّى خيف عليه التلفُ ، فلقيته فأخبرته بذلك ، فتنفس الصُّعَداء ثم أنشأ يقول :

يامَنْ بدائعُ حُسْنِ صُورتِه * تَثْنِي إليه أعنَّةَ الحَدقِ
لِي مِنْكَ ما للناسِ كُلِّهِم * نَظَرٌ وتَسْلِيمٌ على الطُّرُقِ
لكِنَّهمْ سَعِدُوا بأمْنِهِم * وشَقِيتُ حينَ أراكَ بالفَرَق

ثم صرخ صرخة وشخص بصره نحو السماء وسقط الى الأرض ، فحرّكته فإذا هو ميت .

وروى ابن الجوزىّ قال : أنبأنا عبد الوهاب بن المبارك الأنماطىّ قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبى نصر الحميدىّ قال حدّثنى أبو محمد علىّ بن أحمد الفقيه الحافظ قال : حدّثنى أبوا عبد الله محمد بن الحسن المَذْحِجىّ الأديب قال : كنت أختلف فى النحو إلى أبى عبد الله محمد بن خطاب النحوى فى جماعة أيام الحَدَاثة . وكان معنا أسلَمُ بن سعيد قاضى قضاة الأندلس . قال محمد بن الحسن : وكان من أجمل من رأته العيون ، وكان معنا عند ابن خطاب أحمدُ بن كُلَيب ، وكان من أهل الأدب والشعر ، فاشتدّ كَلَفُه بأسلم ، وفارق صبره ، وصرف فيه القول متسترا بذلك إلى أن فشت أشعارُه فيه وجرت على الألسنة ، وأُنشدت فى المحافل ، فلَعَهْدى بُعرس فى بعض الشوارع و"البكورى" الزامر فى وسط المحفل يزمر بقول أحمد بن كليب فى أسلم :

أسَلَّمَنِي فى هَوا * ه أسْلَمُ هذا الرَّشا
غَزَال له مُقْلَةٌ * يُصِيبُ بها مَنْ يَشَا
وشى بيننَا حاسِدٌ * سَيُسْأَلُ عَمَّا وَشى
ولَوْ شاءَ أن يَرْتَشِي * على الوَصْلِ رُوحِي ارْتَشى

ومغنٍّ محسن يسايره ؛ فلما بلغ هذا المبلغ انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب ولزم بيتَه والجلوسَ على بابه ، فكان أحمد بن كليب لا شُـغْل له إلا المرور على باب دار أسلم نهارَه كله ، فانقطع أسلم عن الجلوس على باب داره نهارا ، فإذا صلَّى المغرب واختلط الظلام خرج مستَرْوِحا وجلس على باب داره . فعيل صبر أحمد بن كليب ، فتحيل فى بعض الليالى ولبس جُبَّة من جباب أهل البادية ، واعتَمَّ بمثل عمـائمهم ، وأخذ بإحدى يديه دَجَاجا و بالأخرى قَفَصا فيــه بيض ، وجاء كأنه قدم من بعض الضِّياع ، فتقدّم الى أسلم وقبل يده ، وقد احتلط الظلام وقال يامولاى : مَن يَقْبِض هذا ؟ فقال له أسْلَمُ : من أنت ؟ فقال : أجيرُك فى الضَّيْعة الفلانية — (وقد كان يعرف أسماء ضياعه) . فأمر أسلمُ غلمانَه بقبض ذلك منه على عادتهم فى قبول هدايا العاملين فى ضياعهم ، ثم جعل أسلم يسأله عن أحوال الضيعة ، فلما جاوبه أنكر الكلامَ فتأمله فعرفه ، فقال له يا أخى ، و إلى هاهنا تتبَعُنى ؟ أما كفاك ٱنقطاعى عن مجالس الطلب ، وعن الخروج جملةً ، وعن القُعود على بابى نهارا حتَّى قطعت علىّ جميعَ مالى فيه راحةٌ فصرتُ فى سِجْنك؟ والله لا فارقتُ بعد هذه الليلة قَعْرَ منزلى ، ولا جلستُ (٧١) بعدها على بابى لا ليلا ولا نهارا ، ثم قام ، وٱنصرف أحمد بن كليب حزينا كئيبا ؛ قال محمد : وٱتصـل ذلك بنا فقلنا لأحمد بن كليب : وخسرت دجاجك و بيضك؟ فقال : هات كلَّ ليل قُبلةً فى يده وأخسر أضعاف ذلك ، فلما يئس من رؤيته البتةَ نهكته العـلة وأضجعه المرض . قال محمد بن الحسن : فأخبرنى شيخنا محمد بن خطاب قال : فعُدْته فوجدته بأسوإ حال ، فقلت له : لم لا تَتداوى؟ فقال : دوائى معروف ، وأما الأطباء فلا حيلةَ لهم فىّ البتةَ ، فقلت له : وما دواؤك؟ قال : نظرةٌ من أسلم ، فلو سعيتَ فى أن يزورنى لأعظم الله جزاءك بذلك وآجره . قال : فرحمته وتقطعت نفسى عليه ، فنهضت الى أسلم فاستأذنتُ عليه ، فأذن لى وتلقَّانى بما يجب ، فقلت :

لى حاجةً ، فقـال : وما هى ؟ قلت : قد علمت ما جَمَعك مع أحمد بن كليب من ذمام الطلب عندى ، فقال : نعم ، ولكن قد تعلم أنه برح بى ، وشَهَّر اسمى وآذانى ، فقلت له : كل ذلك يُغتفَر فى مثل هذه الحال التى هو فيها ، والرجل يموتُ ، فتفضل بعيادته ، فقال لى : والله ما أقدِر على ذلك فلا تكلِّفْنى هذا ! فقلت : لا بدَّ من ذلك فليس عليك فيه شىء ، و إنمـا هى عيادة مَرِيض ، قال : ولم أزل به حتَّى أجاب ، فقلت له : فقم الآن ، قال : لستُ والله أفعلُ ولكن غدًا ، فقلت له : ولا خُلْفَ ، قال : نعم ، فانصرفت الى أحمد بن كليب فأخبرته بوعده فسُرَّ بذلك وارتاحتْ نفسه ؛ فلما كان من الغـد بكَّرتُ الى أسـلم وقلت له : الوعدَ ، قال : فَوجِم وقال : والله لقد تحملنى على خُطَّة صَعْبة علىّ ، وما أدرى كيف أُطيق ذلك ، فقلت له : لا بدّ أن تفى بوعدك لى ، قال : فأخذ رداءه ونهض معى راجِلًا ، فلمـا أتينا منزل أحمد وكان يسكن فى درب طويل ، فعند ما توسَّط الزُّقاق وقف واحمرّ وخجل وقال : ياسيدى ، الساعة والله أموت ، وما أستطيع أن أعرض هذا على نفسى ، فقلت : لا تفعل بعد أن بلغت المنزل ، قال : لا سبيل والله الى ذلك البتَّـةَ ، ورجع هاربا فاتَّبعته وأخذتُ بردائه ، فتمادى وتمزق الرداء وَبقِيتْ قطعة منه فى يدى لشدّة إمساكى له ، ومضى ولم أدركه ، فرجعت ودخلت على أحمد وكان غُلامه قد دخل عليه لمـا رآنا من أوّل الزقاق مبشِّرا ، فلمـا رآنى تغير وجهُه وقال : أين أبو الحسـن؟ فأخبرته بالقصة فاسـتحال من وقته واختلط وجعل يتكلّم بكلام لا يعقل منه أكثر من الاسـترجاع ، فاستبشعت الحال وجعلت أتوجَّع وقمت ، فثـاب إليه ذهنُه ، وقال لى : يا أبا عبد الله ، قلت : نعم ، قال : اسمع منى ، واحفظ عَنِّى ، وأنشأ يقول :

أسْـلَمُ يا راحةَ العَليـــل * رِفْقـا على الهـائم النَّحِيل
وصْلُك أشهى الى فُؤادِى * من رحمةِ الخالقِ الجليـل

قال : فقلت له : اتق الله ، ما هذه العظيمة ؟ قال : قد كان ، فخرجت عنه فوالله ما توسطت الزقاق حتّى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدّنيا .

وهذه الحكاية مشهورة عند أهل الأندلس ، وأسلم هذا من بنى خالد وكانت فيهم وزارة وحجابة . وهذا الباب طويل والحكايات والأخبار والوقائع فيه كثيرة يطول الشرح بذكرها .

⁂

وأما من قتل نفسه بسبب العشق ، فحكى عن عبد الرحمن بن إسحاق القاضى قال : انحدرْتُ من "سُرَّ مَنْ رأى" مع محمد بن إبراهيم أخى إسحاق ، ودِجلة تَزْخَر من كثرة مائها ، فلما سِرْنا ساعةً ، قال : ارفُقُوا بنا ، ثم دعا بطعامه فأكلنا ، ثم قال : ما ترى فى النبيذ؟ قلت له . أعز الله الأمير ، هذه دِجلة قد جاءت بمدّ عظيم يُرْهِب(١) مثله ، و بينك و بين منزلك مَبِيتُ ليلة ، فلو شئتَ أخرته ، قال : لا بدّ لى من الشراب ، واندفعت مغنيةٌ فغنَّتْ ، واندفعت أخرى فغنته :

يا رَحْمَتَا للعاشِقينا * ما إنْ أرَى لَهُمُ معينا

كم يُشْتَمُون و يُضْربو * ن و يُهْجَرون فيصبِرُونا

فقالت لها المغنية الأولى : فيصنعون ماذا؟ قالت : يصنعون هكذا ، ورَفَعَتِ الستارة وقذفتْ بنفسها فى دِجْلَة وكان بين يدى محمد غلامٌ ذَكَر أنّ شراءه ألفُ دينار بيده مِذَبَّة ، لم أر أحسن منه ، فوضع المِذَبَّة من يده وقذف بنفسه فى دجلة وهو يقول :

أنْتِ التى غَرَّقْتِنى * بعد القَضَا لو تَعْلَمِينا

فأراد الملاحون أن يطرحوا أنفسهم خلفهما فصاح بهم محمد : دَعُوهما يَغْرَقا الى لعنة الله ، قال : فرأيتهما وقد خرجا معتنقين ثم غَرِقا .

(١) فى الأصول : «يرعب» وما أثبتناه أنسب بالمقام .

وحكى عن جميل بن معمر العذرىّ أنه قال : دخلتُ على عبد الملك بن مَرْوانَ (٧٣) فقال لى : ياجميل حدِّثنى بعض أحاديثِ بنى عذرة : فإنه بلغنى أنهم أصحاب أَدَب وغَزَل، فقلت : نعم يا أمير المؤمنين، انتجعوا عن حَيِّهم مرة فوجدوا النُّجْعة بموضع نازح فقطنوه . فخرجت أريدهم ، فبينا أنا أسير غلِطتُ الطريقَ وجنَّ علىّ الليلُ ، فلاح لى باب فقصدته ، فوردت على راعٍ فى أصل جبل قد ألجأ غنَمَه الى كهف فى الجبل ، فسلمت عليه ، فردّ علىّ السلام، وقال : أحسَبُك قد ضَلَلْتَ الطريق، قلت : قد كان ذلك فأرشِدْنى، قال : بل انزل حتَّى تُريح ظهرك ، وتبيتَ ليلتَك، فإذا أصبحْتَ وقَّفْتك على القصد. فنزلت فرحَّب بى وأكرمنى، وعمد الى شاة فذبحها وأجّج نارا وجعل يَشْوِى ويُلْقِى بين يدىّ، ويحدّثنى فى خلال ذلك، ثم قام الى كساء فقطع به جانب الخباء ومهَّد لى جانبا ونزل جانبا خاليا، فلما كان فى الليل سمعتُه يبكى ويشكو الى شخص، فأرِقْت ليلتى، فلما أصبحت طلبت الإذن فأبى وقال : الضيافةُ ثلاث، فأقمت عنده، وسألته عن اسمه ونسبه، وحاله ، فانتسب لى فاذا هو من بنى عُذْرة من أشرافهم فقلت : ياهذا، وما الذى أحلَّك هذا الموضعَ ؟ فأخبرنى أنه كان يهوى ابنة عمّ له وتهواه، وأنه خطبها الى أبيها فأبى أن يزوّجه إيّاها لقِلَّة ذات يده ، وأنه زوّجها رجلا من بنى كلاب فخرج بها عن الحىّ وأسكنها فى موضعه ذلك، وأنه تنكَّر ورَضِى أن يكون راعيا لتَأتيَه ويراها ، وجعل يشكو إلىّ صَبابتَه بها وعشقه لها ، حتى اذا جنَّنَا الليل وحان وقت مجيئها جعل يتقلقل ويقوم ويقعد كالمتوقِّع لها، فلما أبطأت عن الوقت المعتاد وغلبه الشوق وثب قائما وأنشأ يقول :

ما بالُ مَيَّـةَ لا تأتِى لِعادتها * أهاجَهَا طَرَبٌ أم صَدَّها شُغُلُ
لكنّ قَلْبِىَ لا يُلْهيـه غيرُهمُ * حَتَّى المَمَات ولا لى غيرُهمْ أمَلُ
لو تَعْلَمِينَ الَّذِى بِى من فِراقِكُمُ * لما اعْتَلَلْتِ ولاطابَتْ لَكِ العِلَلُ

رُوحى فداؤُك قد هَيَّجْتِ لى سَقَما * تَكادُ من حَرِّه الأعضاءُ تنْفَصِلُ
لو أنَّ عادِيَهُ مِنِّى على جَبَلٍ * لزال وانْهدّ من أركانه الجبَلُ

ثم قال : يا أخا بنى عذرة، مَكانَكَ حتى أعود إليك، فما أتوهَّم أن أمْرَ آبنة عَمِّى صحيح ، ثم مضى ، فما لبث أن أقبل وعلى يده شىء محمول وقد علا شَهِيقُه ونحيبُه فقال : يا أخا بنى عذرة، هذه آبنة عمى، أرادت أن تأتينى فاعترضها الأسد فأكلها ، ثم وضعها عن يده ، وقال : على رِسْلِكَ حتَّى أعودَ اليك ، ومضى فأبطأ حتَّى يئستُ من رجوعه، ثم أقبل ورأسُ الأسد على يده، فألقاها وجعل ينكتُ على أسنان الأسد ويقول :

ألَا أيُّها الليثُ المُخِيلُ بنفسه * هَلَكْت لقد جَرَّتْ يداك لنا حُزْنا
وغادَرْتَنِى فَرْدا وقد كنتُ آلفا * وصَيَّرت بطنَ الأرض ثَمَّ لنا سِجْنا
أقولُ لدَهْرٍ خانَنِى بفِراقِه * معاذَ إلٰهِى أنْ أكونَ له خِدْنا

ثم قال : يا أخا بنى عُذرة، إنك سترانى بين يديك ميِّتا، فاذا متُّ فاعمِدْ إلىّ وآبنة عمِّى فأدرجنا فى كفن واحد، وآحفُرْ لنا جَدَثا واحدا وآدفِنَّا فيه، وآكتب على قبرى هذين البيتين :

كُنَّا على ظَهْرِها والعَيْشُ فى مَهَلٍ * والشَّمْلُ يجمَعُنا والدارُ والوطَنُ
ففَرَّقَ الدهرُ والتصريفُ أُلْفَتَنَا * فصار يجمَعُنا فى بَطْنِها الكَفَن

ورُدَّ الغنم إلى صاحبها وأعلمْه بقصتنا ، ثم عَمَد إلى خِنَاق فطرحه فى عنقه ، فناشدته الله تعالى ألا يفعل ، فأبى وجعل يخنُق نفسه حتَّى سقَط ميتا ، فكفَّنتهما ودفنتهما فى قبر واحد، وكتبت البيتين على قبرهما ، وردَدْتُ الغنم إلى صاحبها، وأعلمته بقصتهما فحزن حُزْنا شديدا أشفقتُ منه على نفسه .

ذكر شيء مما ورد فى التحذير من فِتنة النساء وذَمّ الزنا والنظر إلى المُرْدان، والتحذير من اللِّواط، وعقوبة اللّائط

أما ما ورد من التحذير من فتنة النساء، فقد رُوى عن أبى أُمامة بن يزيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " ما تَرَكْتُ فى الناسِ بَعْدِى فِتنةً أَضَرَّ على الرجال من النِّساءِ " .

وعن أبى سعيد الخدرىّ رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : (٧٣) " إنَّ الدنيا حُلْوةٌ خَضِرةٌ، و إن الله عز وجل مُستَخْلِفكُم فيها لِيَنظُرَ كيف تَعْمَلُون، فاتَّقُوا الدنيا واتّقُوا النساءَ، فان أوّلَ فِتنةِ بنى إسرائيل كانتْ فى النِّساءِ " .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال : قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : " إنَّ أَخْوَفَ ما أخافُ على أُمّتِى النساءُ والخَمْرة " .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : لم يكُن كُفْرُ مَنْ مضى إلّا من قِبَلِ النساء، وهو كائن كُفْر من بَقِى من قِبَل النساء .

وعن حسان بن عطية قال : ما أُتِيَتْ أُمّةٌ قَطُّ إلا من قِبَلِ نِسائِهم .

وعن سعيد بن المسيب قال : ما يَئِسَ الشيطانُ مِنَ ابنِ آدم قطُّ إلا أتاه مِنْ قِبَلِ النِّساءِ .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "قال إبليسُ لربه عز وجل : يا رَبِّ قد أُهْبِطَ آدمُ، وقد علمتُ أن سيكُونُ لهم كِتابٌ ورسل، فما كِتابُهم ورُسُلُهم؟ قال الله عز وجل : رسلهم الملائكة والنَّبِيُّون مِنهم، وكُتُبُهم التوراةُ والإنجيلُ والزَّبُور والفُرْقان، قال : فما كِتابِى؟ قال : كِتابُكَ الوَشْمُ،

وقُرْآنُكَ الشِّعْر ، ورُسُلُك الكَهَنة ، وطعامُك مالم يُذْكَرِ اسمُ الله عليه ، وشَرابُك من كل مُسْكِر، وصِدْقُك الكَذِبُ ، وبَيْتُك الحَمَّام، ومَصَايِدُك النساءُ، ومُؤَذِّنُك المِزْمار، ومَسْجِدُك الأسواقُ" .

* * *

ومن فتنة النساء مارِوى عن وهب بن منَبِّه أن عابدا كان فى بنى اسرائيل، وكان من أعْبَد أهل زمانه، وكان فى زمانه ثلاثةُ إخوة لهم أختٌ وكانت بكرا، فخرج البعْثُ عليهم فلم يَدْرُوا عند من يُخَلِّفُون أختَهُم، ولا من يَأْمنون عليها، فأجمعوا رَأْيَهُم على أن يُخَلِّفُوها عند العابد، فأتَوْه وسألُوه أن يخَلِّفوها عنده فأبى ذلك، فلم يزالُوا به حتَّى قال : أنزلوها فى بيتٍ جِـوارَ صَوْمعتِى ، فأنزلوها فى ذلك البيت ثم انطلقُوا وتركُوها ، فمَكَثَتْ فى جِوَار العابد زمانًا يُنْزِل اليها الطعامَ من صومعته فيضعَهُ عنـد باب الصومعة، ثم يُغْلِق بابه ويَصْعَد صومعتَه ، ثم يأمرها فتخرج من بيتها فتأخذ ماوضع لها من الطعام، قال : فتلطف له الشيطان فلم يزل يُرَغِّبه فى الخير، ويُعظِّم عنده خروجَ الجارية من بيتها نهارا، ويخوّفه أن يراها أحدٌ فيَعْلَقَها ، فلم يزل به حتَّى مشَى بطعامها ووضعه عند باب بيتها ولا يكلِّمُها، فلبِث بذلك زمانا، ثم جاءه إبليس فرَغَّبه فى الخيْر والأجْر ، وقال له : لو كنتَ تمشِى اليها بطعامها حتَّى تضَعَه فى بيتها كان أعظَمَ لأجرك ، فـلم يزل به حتَّى مشى اليها بطعامها فوضعه فى بيتها . فلَبِث بذلك زمانا . ثم جاءه إبليس فرَغَّبــه فى الخير وحَضّه عليــه وقال له : لوكنتَ تكلمها وتحدّثها فتأنَس بحديثك، فإنها قد استوحشتْ وحشةً شديدة، فلم يزل به حتَّى حدّثها زمانا يطلُعُ اليها من فوق صومعته، ثم أتاه إبليس بعد ذلك فقال له : لو كنت تنزل اليها فتقعد على باب صومعتك وتحدّثها ،وتقعد على باب بيتها فتحدّثك كان آنسَ لها، فلم يزل به حتَّى أنزله فأجلسه على باب صومعته يحدّثها، وتخرج الجارية من بيتها حتَّى

تقعُد على بابها، فلبثا زمانا يتحدّثان، ثم جاءه إبليس فرغّبه فى الخير فقال: لو خرجت من باب صومعتِك بجلستَ قريبا من بيتها لحدّثتَها كان آنَسَ لهـا، فلم يزل به حتّى فعـل، فلبثا بذلك زمانا، ثم جاءه إبليس فقال: لو دَنَوْتَ من باب بيتها، ثم قال: لو دخلت البيت لحدّثتها ولم تتركها تُبْرِز وجهها لأحد كان أحسنَ، فلم يزل به حتّى دخل البيت بجعـل يحدّثها نهاره كله فإذا أمسى صَعِـد فى صومعته. قال: ثم أتاه إبليس بعد ذلك فلم يزل يُزَيّنُها له حتّى ضرب العابدُ بيده على فَخِذها وقبّلها، ثم لم يزل يحسنها فى عينه ويُسـوّل له حتّى وقع عليها فأحبلها فولدت غلاما، بخاء إبليس، فقال له: أرأيت إن جاء إخوتُها وقد ولَدَتْ منك كيف تَصْنَع؟ فاعمِدْ الى ابنها فاذبحه وادفِنه فإنها سـتكْتُم ذلك عليك مخافَةَ إخوتها، فقتـله؛ ثم جاءه، فقال: أَتُراها تكتُم ماصنعتَ بها؟ خذها فاذبحها وادفنها مع ابنها، فذبحها وألقاها فى الحُفْرة، فمكَثَ ماشاء الله حتّى قَفَل إخوتُها من الغزو، فجاءوه فسألُوه عن أختهم فنعاها لهم وتَرحّم عليها وبَكَاها وقال: كانت خيْرَ امرأة، وهذا قبرها، فأتى إخوتُها القبْرَ فبكَوْها وترحّمُوا عليها، وأقاموا على قبرها أياما ثم انصرفوا الى أهاليهم. قال: فلما جنّهم الليلُ وأخذوا مضاجِعَهم، أتاهم الشيطانُ فى النوم فبدأ بأ كبرهم فسأله عن أختهم. فأخبره بقول العابد وبموتها، فكذّبه الشيطانُ وقال: لم يَصْـدُقْكُم أمْرَ أُختكم، إنه أحبلها وولدتْ منـه غلاما فذبحه وذبحها معه فَرَقًا منكم، وألقاهما فى الحُفْرة خلفَ باب (٧٤) البيت، وأتى الأوسط فى منامه فقال له مثلَ ذلك؛ ثم أتى أصغرهم، فقال له مثل ذلك؛ فلما استيقظ القوم استيقظوا متعجبين لمـا رآه كلُّ واحدٍ منهم؛ فأقبل بعضهم على بعض يقول: لقـد رأيتُ عَجَبا، وأخبر بعضهم بعضا بمـا رأى، فقال كبيرهم: هذا حُـلُمٌ، ليس هذا بشىء، فامضُوا بنا ودَعُوا هذا، فقال أصغرهم: لا أَمْضِى حتّى آتِىَ ذلك المكانَ فأنظُرَ فيه، فانطلقوا فبحثوا الموضع فوجدوا أُختَهم

وابنها مذبوحين، فسألوا عنها العابد فصدق قول إبليس فيما صنع بهما ، فاستعدوا عليه ملكهم فأنزل من صومعته وقدموه ليصلبوه ، فلما أوثقوه على الخشبة أتاه الشيطانُ فقال له : قد علمتَ أنى صاحبك الذى فتنتك فى المرأة حتّى أحبلتها وذبحتها وابنها ، فإن أنت أطعتنى اليوم وكفرت بالله الذى خلقك خلّصتك مما أنت فيه ، فكفر العابدُ بالله ، فلما كفر ، خلّى الشيطانُ بينه و بين أصحابه فصلبوه . قال وهب : ففيه نزلت هذه الآية : ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىءٌ مِنْكَ إِنِّى أَخَافُ اللهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِى النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ .

نسأل الله العافية من فتنتهن، ونعوذ به من الشيطان الرجيم .

* * *

وأما ما جاء فى ذم الزنا ، فكفى به ذمّا قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لا يَسْرِقُ السارِقُ حِينَ يَسْرِقُ وهُوَ مُؤْمِن ، ولا يَزْنِى الزَّانِى حِينَ يَزْنِى وهُو مُؤْمِن" الحديث

وعن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يا أُمّةَ محمد ، ما أَحَدٌ أغْيَرَ من الله أن يَرى عبْدَه أو أمتَهُ تَزْنى" .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "اِشْتدَّ غضَبُ الله تعالى على الزُّناةِ " .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الإيمانَ سِرْبال يُسَرْبِلُه اللهُ مَنْ يَشَاء، فإذا زنى العبدُ نُزِع منه سِرْبالُ الإيمانِ، فاذا تاب رُدّ عليه" .

وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ما منْ ذنبٍ بعدَ الشِّرْك أعظَمَ عند الله من نُطْفةٍ وضَعَها رجلٌ فى رَحِمٍ لا يَحِلُّ له" .

وعن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إيَّاكُمْ والزِّنا، فإنَّ فى الزنا ستَّ خِصَال، ثلاثٌ فى الدنيا، وثلاثٌ فى الآخرة ؛ فأما اللواتى فى الدنيا، فذَهاب نُور الوجْه، وانقطاعُ الرِّزْق، وسُرْعة الفَنَاء ؛ وأما اللَّواتى فى الآخرة، فغَضَبُ الربِّ، وسُوءُ الحِساب، والخُلُودُ فى النار إلا أن يشاءَ الله تعالى" .

وعن عبد الله قال : قلت : يارسول الله أىُّ الذنب أعظَمُ ؟ قال : "أن تجعَلَ لله نِدًّا، وهو خَلَقَك" قلت : ثم أىّ ؟ قال : "أن تَقْتُل ولَدَك من أجل أن يَطْعَمَ مَعَكَ"، قلت : ثم أىّ ؟ قال : "أن تَزْنِى بحليلةِ جَارِكَ" .

والأحاديث الصحيحة فى ذلك كثيرة .

* * *

وأما ما جاء فى النهى عن النظر إلى المردان ومجالستهم روى عن أبى السائب أنه قال : لَأَنَا على القارئ من الغُلام الأمْرَدِ أخوفُ منِّى عليه من سَبْعينَ عَذْراء . وفى لفظ عنه : لَأَنَا أخوف على عابدٍ من غلامٍ أمرَدَ من سبعين عَذْراءَ .

وعن سعيد بن المسيب أنه قال : اذا رأيتم الرجلَ يُلِحُّ النظر الى غلام أمرد فاتَّهِموه .

وكان سفيان الثورىّ رضى الله عنه لا يَدَع أمْرَدَ يجالسه .

وعن يعقوب بن سوال قال : كنا عند أبى نصر بشر بن الحارث فوقفَتْ عليه جارِيةٌ ما رأينا أحسَنَ منها، فقالت : ياشيخُ، أين مكانُ باب حَرْب ؟ فقال لها : هذا الباب الذى يقال له بابُ حَرْب، ثم جاء بعدها غلام فسأله، فقال له : ياشيخ،

أين مكانُ باب حرب ؟ فأطرق بشرٌ، فردّ عليه الغلامُ السؤالَ فغمَّض عينيه ، فقلنا (٧٥) للغلام : أىَّ شىءٍ تريد ؟ فقال : باب حرب ، فقلنا : بين يديك ، فلما غاب قلنا : يا أبا نَصْر، جاءتْك جارية فأجبتها وكلمتها ، وجاءك غلام فلم تكلمه ، فقال : نعم ، يروى عن سفيان الثورىّ أنه قال : مع الجاريةِ شيطانٌ ، ومع الغلام شيطانانِ ، فخشيت على نفسى من شيطانَيْه .

وعن أبى سعيد الخرّاز قال : رأيت إبليس فى النوم وهو يمرّ عنّى ناحية ، فقلت : تعالَ ، فقال : أىَّ شىء أعمل بكم ؟ أنتم طَرَحتم عن نفوسكم ما أُخادعُ به الناسَ ، قلت : ما هو ؟ قال : الدنيا ، فلما ولَّى ٱلتفت إلىّ فقال : غير أن لى فيكم لطيفةً ، قلت : ما هى ؟ قال : صحبةُ الأحداث .

وعن مظفر القِرْميسينىّ قال : من صحِب الأحداث على شَرْط السلامة والنصيحة أدّاه ذلك الى البلاء ، فكيف من صَحِبهم على غير وجه السّلامة ؟

وقد ذكر أبو الفرج فى كتابه المترجم "بذم الهوى" من افتتن بالأحداث ، وصرح بأسمائهم . فلم نُؤثر التعرّض لذلك ، لما فيه من التشنيع عليهم والإذاعة لمساويهم .

* * *

وأما ما جاء فى التحذير من اللواط وما ورد فى سِحَاق النساء ، روى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مَلْعونٌ ملعونٌ من عَمِل بعَمَلِ قومِ لُوطٍ " . وعنه عن النبىّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : " لَعَنَ اللهُ من عَمِل عَمَلَ قومِ لوط " .

وعن جابر بن عبدالله ، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إنَّ أخوفَ ما أَخافُ على أُمّتى عملُ قومِ لُوطٍ " . وفى لفظ آخر عنه صلى الله عليه وسلم : "إن

أخْوَفَ ما أخافُ على أُمّتى من بعدِى عمــلُ قَوْمِ لوط ، أَلَا فلْتَترَقَّبْ أمتى العذابَ اذا كان الرجالُ بالرجال والنساءُ بالنساءِ " .

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا ينظُرُ الله الى رجل أتى رجُلًا أو امرأةً فى دُبُرِها " .

وعن عبد الله بن عمَرَ رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لم يَعْلُ فَحْلٌ فَحْلًا حتَّى كان قومُ لوطٍ ، فإذا عَلَا الفحلُ الفحلَ ارتَجَّ أو اهتزَّ عرش الرحمن عز وجل ، فاطّلعت الملائكة تعظيما لفعلهما فقالوا : يارب ، ألا تأمرُ الأرضَ أن تَغُورَ بهما ، وتأمرُ السماءَ أن تَحْصِبَهما ، فيقول الله تعالى : إنّى حليم لايفوتُنِي شىءٌ " .

وعن سماك بن حَرْب عن عبد الله بن عبــاس رضى الله عنهــما أنه قال : إن الرجلَ ليأتِى الرجلَ فتضجُّ الأرضُ من تحتهما ، والسماء من فوقهما ، والبيت والسقفُ ، كلهم يقولون : أى ربِّ ، ائذَنْ لنا ينطبِقْ بعضُنا على بعض فنجعلَهم نَكَالا ومُعتبَرًا ، فيقول الله عز وجل : إنهم وَسِعهُم حِلْمى ولن يَفُوتُونِى .

وكان سفيان الثورىّ رحمه الله يقــول : لو أنَّ رجلا عَبَث بغلام بين إصبعين من أصابع رجليه يريد الشهوةَ لكان لِوَاطا .

وروى عن مكحول عن واثلة بنِ الأسقع أنه قال : قال رسول الله صــلى الله عليه وسلم : "سِحَاقُ النساء زِنًى بينهن" .

* * *

وأما ما ورد فى عقوبة اللائط والمَلُوط به فى الدنيا والآخرة :

أما عقوبة الدنيا فقد جاء بها نصُّ القرآن فى قصة قوم لوط ، وشَرْح أفعالهم ، وما عذبوا به فى آى كثيرة .

وجاء فى الأحاديث النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام فى عقوبة اللائط والملوط به مايدل على التغليظ والتشديد .

فمن ذلك ما رُوِى عن عكرمة عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيمن عَمِل عَمَلَ قومِ لوط : "يُقْتَلُ الفاعلُ والمفعولُ به" وفى لفظ آخر عن ابن عبـاس عن النبىّ صلَّى الله عليه وسلم : "اقتـلُوا الفاعلَ والمفعولَ به فى عَمَل قوم لوط" .

وعن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مَنْ عَمِل بعمل قومِ لُوط فاقتُلُوه" .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسـلم: " مَنْ وَجَدْتُموه يعملُ عملَ قومِ لُوط فارجُمُوا الأعْلَى والأسفَلَ " .

وعن محمد بن المنكدر أن خالد بن الوليـد كتب الى أبى بكر الصدّيق رضى الله عنه ، أنه وجد رجلا فى بعض الأضاحى ينكح رجلا كما تنكح المرأةُ ، فجمع أبو بكر رضى الله عنــه لذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسـلم ورضى عنهم ، فيهم علىّ بن أبى طالب وقال : إن هذا ذنب لم تعملْ به أمّة إلا أمّة واحدة، ففعل الله بهم ما قد علمتُم ، أرى أن نُحَرِّقَه بالنار، فاجتمع رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يُحرَّق بالنار ، فأمر به أبو بكر رضى الله عنه أن يُحَرَّق بالنار ، وقد حرّقهم عبدالله بن الزبير، وهشام بن عبد الملك .

وعن يزيد بن قيس أن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه رَجَم لُوطيًّا .

وعن سـعيد بن زيد قال : سئل عبـدُ الله بنُ عباس رضى الله عنهما : ماحدُّ اللوطىّ ؟ قال : ينظر أعلى بيت فى القرية فيرمى منكَّسا ثم يُتْبَع بالحجارة .

وللتابعين ولأئمة العلماء فى ذلك أقوال :

فمنهم من رأى أن حدّه كحدّ الزنا، وفرّق بين المُحصَن وغير المُحصَن ؛ ومنهم من رأى أن حدّه القتلُ أحصَنَا أو لم يُحصِنا .

روى سفيان عن جابر عن الشعبيّ أنه قال : اللُّوطىّ يرجَمُ أَحْصَن أو لم يُحْصِن.

وعن ابن أبى نَجِيح عن عطاء قال : حدُّ اللوطىّ حدُّ الزانى ؛ وإن أَحْصن رُجِم، وإلا جلد . وبه قال الهيثم .

وعن قتادة عن الحسن أنه قال فى الرجل يخالط الرجل : إن كان أحْصنَ جُلد ورجم ؛ وإن كان لم يُحْصن جلد ونُفى . (٧٦)

وعن مالك بن أنس عن الزهرى قال يُرْجَم : أَحْصن أو لم يُحصِنْ .

وعن الطيالسىّ قال : حدّثنا إسحاق الكَوْسج قال : قلت لأحمد بن حنبل : أيرجم اللوطى أحْصَن أو لم يُحْصِن؟ قال : يرجم أَحْصن أو لم يُحْصِن .

وقد روى عن أحمد بن حنبل أن حدّ اللوطىّ كحدّ الزانى يختلف بالثُّيوبة والبكَارة . وهو قول محمد عن الشافعىّ .

وقال الحكم : يُضرب اللوطىّ دون الحدّ . قال ابن الجوزىّ : وإلى هذا مال أبو حنيفة .

وأما مذهب ابن حزم الظاهرىّ فانه لا يضرب فى اللِّواط فوقَ عشرة أسواط .

وقال النخعىّ : لو كان أحد ينبغى أن يُرجم مرتين لكان ينبغى أن يرجم اللوطىّ مرتين .

وحكى أبو الفرج بن الجوزىّ ، قال أخبرتنا شهدة بنت أحمد قالت أخبرنا جعفر بن أحمد السراج قال أخبرنا عبد العزيز بن علىّ قال اخبرنا علىّ بن جعفر

الصوفى، قال : سمعت الموازينى يقول : قال لى رجل من الحاج: مررت بدار قوم لوط، وأخذتُ حجرا مما رُجِمُوا به فطرحته فى مخلاة ودخلت مصر، فنزلت فى بعض الدور فى الطبقة الوسطى، وكان فى سُفْل الدار حَدَثٌ، فأخرجت الحجر من خُرْجى، ووضعته فى رَوْزنة فى البيت، فدعا الحدث الذى كان فى البيت صبيا إلى عنده واجتمع معه، فسقط الحجر على الحَدَث من الروزنة فقتله .

وقال أيضا : أخبرتنا شهدة قالت أخبرنا جعفر بن أحمد قال أخبرنا أبو الحسين محمد بن عثمان بن مكى قال أخبرنى جدى أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن أحمد قال أخبرنا أبو العباس أحمد بن عيسى الوشا المقرى قال : سمعت أبا عبد الله محمد بن عبد الله بن الحكم يقول : سمعت يونس بن عبد الأعلى يقول : خرجتُ حاجًّا إلى مكة، فلما كانت ليلةُ عرفاتَ، رأى الإمامُ الذى حَجَّ بنا تلك الليلةَ مناماً، فلما صِرْنا إلى مكةَ بعد انقضاء الحج سمعنا مناديا ينادى فوق الحجر : أنصتوا يا معشر الحجيج، فأنصتَ الخلقُ، فقال : يا معشر الحجيج، إن إمامكم رأى أن الله عز وجل قد غفر لكل من وافى البيتَ العامَ إلا رجلًا واحدا فإنه فَسَق بغلام .

* * *

وأما عقوبته فى الآخرة، فقد رُوِى عن أبى سلمة عن أبى هريرة وعبد الله ابن عباس رضى الله عنهم قالا : خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال فى خطبته : "من نَكَح امرأةً فى دُبُرِها أو غُلامًا أو رَجُلا حُشِر يوم القيامةِ أنْتَنَ من الجيفة، يتأذّى به الناسُ حتّى يُدْخِلَه الله نارَ جهنم، ويُحبِطُ الله عملَه ولا يقبَلُ منه صَرْفا ولا عَدْلا، ويُجعلُ فى تابوتٍ من نار ويُسَمَّر عليه بمساميرَ من حديد من نار، فتشتبك تلك المسامير فى وجهه وفى جَسَده" . قال أبو هريرة : وهذا لمن لم يَتُبْ .

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " سبعةٌ لا ينظرُ اللهُ إليهم يومَ القيامة ولا يُزَكِّيهم ولا يجمَعُهم مع العالمين يَدْخُلونَ النارَ أوّلَ الداخلين إلا أن يَتوبُوا ، فمن تاب تاب الله تعالى عليه : الناكِحُ يدَه ، والفاعلُ والمفعولُ به ، ومُدْمِنُ خمرٍ ، والضاربُ أبويْهِ حتَّى يستغيثا ، والمؤذِى جيرانَهُ حتَّى يلعنوه ، والناكِحُ حليلَة جاره " .

وعن إبراهيم بن علقمة عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " اللُّوطِيَّان لو اغتَسلَا بماء البحر لم يجزهما إلا أن يَتُوبَا " .

وعن أنس رضى الله عنه ،قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "مَنْ مات من أُمَّتى يعمَلُ عمَلَ قومِ لُوط نقلَهُ الله إليهم حتَّى يُحشَر مَعَهم" .

قلتُ : وقد بلغنى من كثير من الناس أن رجلين مشَيَا على جانب البِرْكة المعروفة ببِرْكة قوم لُوط ، وهى فى غَوْر الكرك على جانبها ضِياعٌ ، منها الصافية واللاخية وسويمة وغيرها ، وتعرف هذه البركة أيضا بالمنتنة ، ويقال إنها إحدى المدائن التى خُسِف بها (من مدائن قوم لوط) . فجعلا يتباسطان . فكان من جملة ما قالاه أوقاله أحدهما للآخر فلم ينكره : هذه بِركة أصحابِنا ، فطلعت من البركة مَوجة اختطَفَتْهما معا ، وألقتهما فى البركة فكان آخرَ العهد بهما .

وهذه الحكاية يتداولها أهل تلك البلاد ، لاينكرها سامع منهم على قائل . ولا يبعُد أن يُعاقَب مَن تجاهر بمعاصى الله وانتسب لمن كفر بالله وعصاه وكذَّب رسولَه أن يعاقبه الله بما عاقبهم به ويلحقه بهم . وفى بعض هذا عبرة لمن اعتبر .

ولنرجع الى سياق ما جاء فى ذلك من الأحاديث والأخبار .

روى أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزىّ بسنده الى أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "مَنْ قَبَّلَ غُلامًا (٧٧)

بشهوة عَذَّبه الله فى النار ألْفَ سـنةٍ ومن جامعه لم يَجِـدْ رائحةَ الجنة وريحُها يُوجدُ من مَسيرةِ خمسمائة عام إلا أن يَتُوبَ" .

وعن خالد عن إسماعيل بن كَثِير عن مجاهد قال : لو أنـ الذى يعمل ذلك العملَ (يعنى عمـل قوم لوط) اغتسل بكل قَطْرة فى السماء وكلِّ قطرة فى الأرض لم يزل نجسا .

وعن عَبَّاد بن الوليـد العنبرىّ قال : سمعت إبراهيم بن شَمَّـاس يقول سمعت الفُضَيل بن عياض يقول : لو أنَّ لوطِيا اغتسل بكل قَطْرة من السماء لَقِيَ الله تعالى غير طاهر .

وعن طلحة بن زيد عن بُرد بن سنان عن أبى المنيب عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما قال : يُحشَر اللوطيون يوم القيامة فى صورة القِردَة والخنازير .

وعن أبى الصهباء عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهم قال : مَن خرج من الدنيا على حالٍ خرج من قَبْره على تلك الحال ، حتَّى إنّ اللوطىّ يخرج يعلق ذكره على دبر صاحبه مفتضحين على رءوس الخلائق يوم القيامة .

هذا ما أمكن إيراده فى هذا الفصل على سبيل الآختصار والإيجاز، وإلا فالأخبار فى العشق وتوابعه وما يتولد عنه كثيرة جدا ، ووقفنا منه على كثير ، ولا يحتمل أن يُورد فى الكتب الشاملة لفنون مختلفة أكثرُ مما أوردناه . فلنذكر الآن نبذة مما قيل فى الغزل والنسيب .

ذكر نبذة مما قيل فى الغَزَل والنسيب

هذا الباب — أكرمك الله وعافاك ، ووقاك من فتنته وكفاك — بابٌ متسع ، قد أكثر الشـعراء القول فيه ، وتنوّعوا فى أساليبه ومعانيه ؛ لو استقصيناه لطال به هذا التصنيف ، وانبسط هذا التأليف ؛ وكان بمفرده كُتُبا مبسوطة وأسفارا كبيرة ،

فلخصنا منه دررا نفيسة واعلاقا خطيرة ؛ واقتصرنا منه على ما رَقّ معناه وراق ، وحَسُن لفظه وشاق ؛ وارتاحت إليه النفوس ، وتحلت به الطروس ؛ ولمحته النواظر ، وانجذبت إليه الخواطر . وقد تنوع الشعراء فى الغَزَل ، فتغزّلوا فى المحبوب باسمه ، وكَنَوْا عنه وآستعاروا له ، ووصفُوا أعضاءه وشبهوها بأشياء ، فشبهوا العيون بالنَّرْجِس ، وأفعالَها بالخمر والسِّهام ؛ وشبَّهوا الحواجب بالقِسِىّ والجبين بالصَّباح ، والشُّعور بالليالى ، والسَّوالف بالغَوالى والصوالج والعقارب ؛ وشبهوا الوجه بالشمس والقمر ؛ وشبهوا الخدود بالورد والتُّفاح ؛ وشبهوا الثُّغور بالأُقْحُوان ، واللمى بالخَمْر ، والريق بالشَّهد ، والشِّفاه بالعقيق ، والأسنان باللُّؤلؤ ؛ وشبهوا النُّهود بالرُّمَّان ، والقَوَام بالغُصون ، والأرداف بالكُثْبان ، وغير ذلك . وقد تقدّم إيراد ذلك كله مستوفًى فى موضعه ، وهو فى بالباب الذى قبل هذا الباب .

وتغزلوا أيضا فى أصناف الفواكه المأكولة والمشمومة ؛ وتغزلوا فى الرياض والأزهار .

وسنورد إن شاء الله ذلك فى موضعه ، وهو فى القسم الثانى والثالث والرابع من الفن الرابع من كتابنا هذا فى السفر العاشر من هذه النسخة .

فلنورد الآن ها هنا من باب الغزل والنسيب خلاف ماقدّمنا ذكره مما ذكرناه وما نذكره إن شاء الله تعالى .

والذى نورده فى هذا الباب نبذة مما قيل فى المذكّر ، والمؤنّث ، والمُطْلق ، والمشترَك ، وطَيْف الخيال ، والردّ على العَذُول ، ورُجُوع العذول ، والوصال ، والفراق ، والبَيْن ، والتوديع ، والصدّ ، والهِجْران ؛ وما قيل فى الزيارة وتخفيفها ، وموانعها ، والمدامع ، والرضا من المحبوب باليسير ، والنُّحول ؛ وما قيل فى المحبوب اذا اعتلّ ؛ وما قيل على لسان الورقاء ، والمراجعات ، والمردوف ، والجناس ، والمُوشَّحات .

فمما قيــــل فى المذكــر

قال العماد الأصفهانى الكاتب :

وأحور يسبى بطرف يكلّ * وتخجل منه الظّبا والظّباء
بخدّيه من حسنه والشباب * تجمّع ضدّان نارٌ وماء
وفى مقلتيه وقد صحّتا * كما صحّتا سقمٌ وانتشاء
عففت وعفت الحيا فى هوا * ه حتّى استوى صدّه واللّقاء
وكلّ حياءٍ يذود العفا * ف عن ودّه فعليه العفاء (٧٨)

وقال آخر :

وكأنّ بهجة وجهه فى شعره * قمرٌ بدا فى ليلة ليلاءِ
وكأن عقرب صدغه فى خدّه * وقفت مخافة ناره والماءِ
قمرٌ رجوت من الزمان وصاله * يومًا فأخلف بالصّدود رجائى

وقال عبد الجليل بن وهبون :

وافت به غفلة الرّقيب * والنجم قد مال للغروب
نشوان قد هزّت الحميّا * منه قضيبًا على كثيب
يعثر فى ذيله فيحكى * عثرة عينيه فى القلوب
والله لو نالت الثّريّا * ما نال من بهجة وطيب
دنا اليها الهلال حتّى * قبّل فى كفّها الخضيب

وقال ابن حجاج :

ومدلّل أما القضيب فقدّه * شكلا وأمّا ردفه فكثيبُ
يمشى وقد فعل الصّبا بقوامه * فعل الصّبا بالغصن وهو رطيبُ

مُتَلوِّن يُبـدى ويُخْفِى شخصَه * كالبدر يطلع تارةً ويغيبُ
أرْمِى مَقاتِـلَه فتُخْطِئُ أسهُمِى * غرضى ويَرْمِى مُهْجَتى فيُصيبُ
نفسى فِـداؤُك إنَّ نَفْسِى لم تَزَلْ * يَحْلُو فداؤُكَ عنـدها ويَطيبُ
مالِى ومالَكَ لا أراك تَزُورُنِى * إلا ودُونَكَ كاشِحٌ ورقيبُ

وقال أبو نُوَاس :

شَبِيهٌ بالقَضِيبِ وبالكَثِيبِ * غريبُ الحسنِ ذُو دَلٍّ غَرِيبِ
بعيدٌ إن نظرْتَ إليه يومًا * رجعْتَ وأنت ذُو أجلٍ قَرِيبِ
تَرى للصَّمْتِ والحَرَكات فيـه * سُوَاما لا يُذادُ عن القُـلوبِ
ويمتحنُ القـلوبَ بمقلتَيْه * فينكشفُ البرىء من المُرِيب

وقال الواوا الدمشقى(١) :

بَـدْرٌ تقنَّـع بالظَّلا * م على قَضِيب فى كَثِيبِ
تَدْعُو محاسِـنُه القـلو * بَ إلى مُشافَهة الذُّنوبِ
فعلَتْ به ريحُ الصَّـبا * ما ليس تَفْعل بالقَضِيبِ
عُقِلتْ ركائبُ حسْـنِه * بعقُولنا عنـد المَغِيبِ
وتلطَّمتْ وجَنَاتُنا * بيد الدُّموع من النَّحِيب

وقال الأمير تاج الملوك آبن أيوب :

سَلَب الفؤادَ فلا عَدِمْتُ السالبا * ورَنَا فكان اللحظُ سَهْما صائبا
قمـرٌ مَشارِقُه الجيوبُ فلا تَرى * أبدًا له إلا القُـلوبَ مَغاربَا
مَلكَ الفؤادَ بمقلتين وحاجبٍ * أمسى لحُسْن الصبر عَنِّى حاجبا
وحكى القضيبَ شمائلا عَبِثَتْ به * أيدى النَّسيم شمائِلا وجَنائبا

(١) كذا فى شرح القاموس مادة « الواو » وورد فى اليتيمة «الوأواء» .

وقال أيضا :

يأيها البدرُ الّذى * مَطْلَعُهُ طَوْقُ القَبا
يا جَنَّةَ القلب الّذِى * أضرمَ فيه لَهَبا
فَدَّيتُ هذا الوجهَ ما * أَحْسَنَه وأعجبا
لم ترَ عيني قَبْله * صُبْحا تردَّى غَيْهبا

وقال أبو نُوَاس :

يا بِدْعةً فى مِثالٍ * يجُوزُ حدَّ الصِّفات
فالوجهُ بدرُ تمامٍ * بعَيْنِ ظَبْى فَلاةِ
والقَدّ قدُّ غُلامٍ * والغَنْج غَنْج فَتاة
مذكَّر حين يبدُو * مؤنَّثُ الخَلَواتِ
زَهَا عَلَىَّ بصُدْغٍ * مُزَرْفَن الحَلَقات
مِنْ فوق خَدٍّ أَسِيلٍ * يُضىءُ فى الظُّلُمات

وقال كُشاجم :

مُعْتَدِلٌ من كُلِّ أعطافه * مُسْتَحسَنُ الإقبال والمُلْتَفَتْ
لو قيستِ الدُّنْيا ولَذَّاتُها * بساعةٍ من وصله ما وفَتْ
سُلِّطت الألحاظُ منه على * قلبى فلو أوْدَتْ به ما ٱشتَفَتْ
وٱستعذَبَتْ رُوحِى هواه فما * تسلُو ولا تصحُو ولو أُتلِفتْ

وقال فضل الرَّقاشى :

وشاطرٍ فاتِك الشَّمائلِ قَدْ * خالَطَ منه المجُونُ تَخْنِيثا
تراه طَوْرا مذَكَّرا فإذا * عاقَرَ راحا رأيتَ تأْنيثا

أَلثَغُ إن قلت يا فديتك قُلْ * مُوسى يقُلْ من رُطوبة مُوثا
ما زال حتّى الصباحِ معتنِقى * مُطارِحى فى الدُّجى الأحادِيثا (٧٩)

وقال كُشاجم :

بليتُ بوجْدَيْنِ(١) وجْدى بظَبْيٍ * يَصُدّ وما به إلا لجَاجُ
وعذّبنِى قضيبٌ فى كَثِيبٍ * تَسَاوى فيه لِينٌ وآنْدماجُ
أغارُ إذا دَنَتْ مِنْ فيه كأسٌ * على دُرٍّ يقبِّله زُجَاجُ

وقال أيضا :

يا لَقَومِى مَنْ لِمُكْتَئِبٍ * دمْعُه فى الخَدِّ مُنْسَفِحُ
لامَهُ العُذَّال فى رَشَإٍ * عُذْرُه من مِثْلِهِ يَضِحُ
وآدّعَوْا نُصْحِى وأخْوَنُ ما * كان عُذَّالى إذا نَصَحُوا
خوّفُونِى من فَضيحَتِه * لَيْتَه وافى وأفتَضِحُ
كَيْفَ يسْلُو القَلْبُ عن غُصُنٍ * عَلَّه من مائِه المَرح
ذهَبِىُّ الحُسْنِ تحسَبُ من * وجنَتَيْه النارَ تُقْتَدَحُ
وكأنَّ الشمسَ نِيطَ لها * قمرٌ يُمناه والقَدَح
صَدّ أنْ مازَحْتُه غَضَبا * ما على الأحباب إن مَزَحُوا
وهو لا يدرى لنَخْوته * أننا فى النَّوْمِ نَصْطَلِحُ
ثُمَّ لا أنسى مقالَتَه * أطُفَيْلِىٌّ ومقْتَرِح

---

(١) كذا فى الأصول ، وهو مخالف للوزن الشعرى ، والذى فى ديوان كشاجم المطبوع :

* بليت ولج بى وجد بظبى * الأبيات .

وقال تاج الملوك ابن أيوب :

فَديْتُ وجهَ الحبيبِ بَدْرا * والبَدْرُ يُفْدَى وليس يَفْدِى
سَبى فُؤادِى بلَيْلِ شَــعرٍ * وصُــبْحِ وجهٍ وغُصْنِ قَدِّ
فى فَمِــهِ عَنْــبرٌ مُـدَافٌ * فى قَهْوةٍ خُولِطَتْ بشَهْدِ
كأنَّمـا خَــدُّه شــقيقٌ * نُقِّط مِنْ خالِه بنَــدِّ
ظَبْيٌ من الـتُّرك ذُو دَلَال * يَستَحْسِنُ الجورَ والتَّعَدِّى
كأنَّهُ غُصْنُ خَيْزُرانٍ * إذا انثَــنى أو قَضِيبُ رَنْد
يَحُلُّ فى الحُبِّ عَقْدَصَبْرِى * إن شَدَّ فى الخَصْرِ عقْدَ بَنْد

وقال أبو نُوَاس :

أيا مَنْ بُحِّى علىّ اجترى * ومَنْ بلســانى علىّ افْترى
ومَنْ بيَــدى غَلَّنِى للهوى * فاصبَحْتُ للحُبِّ مستأسِرا
أمَا والذى جَعل المُسْتَهام * صَدِيقَ السُّهادِ عَدُوّ الكَرى
لقد ذهبَتْ مُهْجتِى باطلًا * لئن متُّ منك على ما أَرى

وقال آخر :

ومُهَفهِفٍ طاوِى الحَشَا * خَنِث المَعَاطِفِ والنظَرْ
مَلَأَ القُــلوب بصُــورةٍ * تُلِيَت مَحاسِــنُها سُــوَرْ
فإذا رَنَا وإذا شَــدَا * وإذا ســقى وإذا سَــفَرْ
فَضَــحَ الغَــزالَة والحَمَـ * ـامة والمُدامةَ والقَــمرْ

وقال آخر :

اذا أكْثَرَ الواشُــونَ فينا مَقَــالَهُمْ * وليس لهمْ عنْدى وعنْدَك من ثار

وشَنُّوا على أسماعِنَا كلَّ غارةٍ * وقَلَّتْ حُماتِي عِندَ ذاكَ وأنْصارِي
لَقِيناهُمُ من مُقْلَتَيْكَ وأدمُعِي * وأنفاسِنا بالسَّيفِ والسَّيْلِ والنار

وقال آخر من شعراء اليتيمة :

وأغَنَّ أغيدَ حُبُّه * مستأنس لِي وَهْو نَافِرْ
إنْ قُلتُ زُرْنِى قال نَمْ * فالطَّيْفُ ليس يَزُور ساهِرْ
كيفَ السبيلُ الى الرُّقا * دِ كما رَسَمْتَ وأنت هاجِرْ
ويقولُ لى فيما يقو * لُ نَعَمْ وما للقَوْل آخِرْ
حتَّى أُشاوِرَ قلت لا * كِنِّى هوِيتُ ولم أشاوِرْ

وقال تاج الملوك :

ياقمرًا أقبلَ يَسْعى على * دعْصٍ(١) من الأغصان مَهْزُوزِ
وصْلُكَ واويلى على طِيبِه * أصبح ذا مَنْع وتَعْزِيزِ
ما كانَ إلا بَيْضةَ الدِّيك لى * أو مَطْرةً فى شهرِ تَمُّوز

وقال أبو نواس :

عَذَّبَنِى قلبِي بِمَنْ قَلْبُه * للصَّبِّ مِثْل الحَجَر القاسِى
أحْورَ فَتَّانٍ قَطُوفِ الخُطَا * أغْيَدَ مثل الغُصْنِ مَيَّاسِ
أَبِيتُ لَيْلِي ونَهارِى مَعًا * مُعَلَّقًا منه بوسْوَاس
إنِّى وإنْ لم يَكُ لِي نائلٌ * منْه لَأَرْجُوه على يَاس

وقال سيف الدّين المشدّ :

الى قَدِّكَ اللَّدْنِ يُعْزى الهَيَفْ * فما هبَّتِ الرِّيحُ إلا انعطفْ
قَوَامٌ أرادَ قَضِيبُ النَّقا * يُحَاكيه لَمَّا انْثنى فانقصَفْ

(١) كذا فى الأصل ولعله : «غصن من الأغصان» أو «دعص من الأرداف» ليوجد التناسب .

فيارَامِيًـا قــد رَمانِى هَواهُ * بنار الأَسى فى بحار الأَسَف

سِهَامُ جُفونِك قَلْبِى غــدَا * لهـا غَرَضًا وضُلُوعى هَدَف

وأَوْرَدْتَنِى فى الهَوَى مَوْرِدًا * تجرّعْتُ فيــه مَرِيرَ التَّلف

وأعرضْتَ عنِّى ولا ذَنْبَ لِى * فكَمْ ذا الدّلالُ وكَمْ ذا الصَّلَف ٨٠

ومُخْطَفُ خَصْرٍ على رِدْفِـه * فكلُّ فُــؤادٍ به مختَطَف

وقال أبو القاسم العطار :

وبِى غَزالٌ اذا صادفت غِرَّتَهُ * جنَيْتُ من وجْنَتَيْهِ رَوضــةً أُنُفَا

كالبَــدْر مكتَمِلا كالظَّبْى ملتَفِتا * كالروض مُبْتَسِما كالغُصن مُنْعطفا

وقال تاج الملوك :

ياقمــرًا فى غُصُنٍ من بانَةٍ * يَميلُ عُجْبًا فى كَثِيبٍ من نقا

أصبَح قَلْبُ المُستهامِ مَغْرِبا * له وأطْــواقُ القَبَاءِ مَشْرِقَا

أغيَــدُ لا يَقْصِــد إلّا تلفِى * ولم يَزَلْ قلــبِى به مُعلَّقـا

ذَكَّرنِى حسنُ ابتسامِ ثَغْرِه الْـ * ـواضِح لَمْــعَ البَرْقِ إذ تَأَلَّقـا

وطالَمَا ذكَّرنِى رُضــابُه الْـ * ـباردُ صِرْفَ الراح إذ تعتَّقـا

أغنّ ما فَوَّقَ سَهْــمَ لَحْظِــه * إلا أصاب القَلْبَ لَمَّا فَوّقَا

حاجبُــه قوسٌ ولَحْظُ عينِه * سهمٌ فما يُخْطِى اذا ما رَشَــقا

وقال أبو نواس :

جالَ ماءُ الشَّــباب فى خَدَّيْكا * وتَلالَا البهــاءُ فى عارضَــيْكَا

ورمى طَرْفُك المُكَحَّلُ بالسِّحْـ * ـر فؤادى فصار رَهْنـا لَدَيْكَا

أنا مســتَهْتَرٌ بحُبِّــكَ صَبٌّ * لستُ أشــكُو هَواكَ إلّا إليْكا

يا بديعَ الجَمَالِ والحسن والدَّلِّ* حياتِي وميتَتِى فى يَدَيْكا
بأبِى أنتَ لو بُليتَ بوَجْدِى * لم يَهُنْ ما لَقِيتُ منك عليكا
أصبحَتْ بالهوى سهامُ المنايَا * قاصداتٍ إلىَّ من عينَيْكا

وقال أيضا :

يا مَنْ جَدَاه قليـــلُ * ومَنْ بَـــلَاه طويلُ
ومَنْ دعانِى إليـــه * طَرْفٌ أحَمُّ كحيـــلُ
وواضِحُ الثَّغْرِ يحكِى(١) * مزاجَـــهُ الزَّنْجَبِيلُ
ووَجْنَـــةٌ جائل ما * ؤُها وخدٌّ أَسِـــيلُ
وغُصْـــنُ بانٍ تثَنَّى * قدًّا ورِدْفٌ ثقيـــلُ
ويجمع الحسنَ فيــه * وجهٌ وَسِيمٌ جَمِيـــلُ
فكُلُّ ناحِيَـــةٍ من * قَلْبِى إليـــه تَمِيـــلُ

وقال الواوا الدمشقى :

رمـاهُ رِيمٌ فأصـا * بَ القلْبَ منـه إذ رمى
واحتَجَّ فى قَتْلِتِـه * بأنَّـــه ما علِمـا
يا معشرَ النـاسِ أما * يُنْصِـــفُنِى مَنْ ظَلَمـا
علَّم سُـــقْمُ طَرْفِـه * جِسْمِىَ منــه سَقَما
فسُقْمُ جِسْمِى فى الهوى * من طَرْفِــه تعلَّمـا
او قِيــلَ لِى ما تشتَهِى * مُخَـــيَّرا مُحَكَّمـا
لقلتُ أنْ أَلْثُمَــه * نَحْـــرا ووَجْها وفَـا

(١) فى الأصل : « البهت » ولا معنى له هنا .

وقال الوزير أبو مروان عبد الملك بن جَهْوَر :

أحْوى النواظِرِ ألْعَسُ الـ * ـشَّفتين عذْبُ الرِّيق ألْمَى
لو زارَنِى طَيْـــفٌ له * عِنْـد الهُجُوع ولو ألَمَّـا
لأفادَ رُوحا أو لفـ * ـرَّجَ من هُمُوم النفس هَمَّـا

وقال آخر :

وأهيَفَ مهزوزِ القَوَام اذا انثَنَى * وهبْتُ لعُـذْرى فيه ذَنْبَ اللَّوائم
بثغرٍ كما يبـدُو لك الصُّبْحُ باسِمٍ * وشعرٍ كما يبدُو لك الليــلُ فاحِمِ
مَليحِ الرضا والسُّخْط تلقاه عاتِبًـا * بألْفـاظِ مظلومٍ وألحـاظِ ظالِمِ
وممـا شَجَـانى أنَّنِى يومَ بَيْنِهِـمْ * شكوتُ الذى ألقى الى غير راحِمِ
وحَمَّلتُ أثقالَ الجَوى غيرَ حامِلٍ * وأودعتُ أسرارَ الهوى غيرْ كاتمِ
وأبرحُ ما لاقَيْتُـــه أنَّ مُتْلِفِى * بمـا حَلَّ بِى فى حُبِّـــه غيرُ عالِمِ
ولو كنتُ مذ بانُوا سهِرْتُ لساهِرٍ * لهـانَ ولِكنِّى سهِرْتُ لنـائِمِ

وقال ابو نُوَاس :

ياريمُ هات الدَّواةَ والقَلَمـا * أكْتُبُ شَوْقِى الى الَّذِى ظَلَما
غَضْبانُ قد غَرَّنى رضَاه ولَوْ * يُسْئَلُ ممَّـا غضِبْتَ ما عَلمـا
فليْسَ ينفَكُّ منـه عاشِـــقُهُ * فى جَمْعِ عُذْرٍ لغَـيرِ ما اجترَمَا
أظـلُّ يَقظانَ فى تَذَكُّرِه * حتَّى اذا نِمْتُ كان لى حُلُمـا
لو نَظَرَتْ عينُـه الى حَجَـرٍ * ولَّد فيـــه فتُـــورُها سَقَما

وقال سيف الدين المشدّ :

وبِى رَشيقُ القَوامِ لَدْنٌ * لِقَـــدِّه يُنْسَبُ الرُّدَيْنِى

ما نظَرَتْه العيون إلّا * فَدَتْه من نَظْرةٍ وعَيْنِ
قابَلَ بالكأس وجْنَتَيْه * لِخُفِّ نَجْمٍ بنَيِّرَيْنِ
وزَيَّنَتْ كَفُّه الحُمَيَّا * ما أحْسَنَ التِّبرَ فى اللُّجَيْنْ

وقال كشاجِم :

باللهِ يامُتفرِّدًا فى حُسْنِه * ومُقَلِّبًا هارُوتَ بينَ محاجِرِه (٨١)
ومُحَكِّمًا أردافَهُ فى خَصْرِه * ومُصَالِحًا خَلْخالَهُ بضَفائِرِه
لاتغضَبَنَّ على فتًى يَرْضى بما * أوْلَيْتَه ولو انتعَلْتَ بناظِرِه
ويُكاتِمُ الأسرارَ حَتَّى إنه * لَيَصُونُها عن أن تمرَّ بخاطِرِه

وقال أبو تمام الطائى :

لَهَا وأعارنى وَلَهَا * وأبصَرَ ذِلَّتِى فزَهَا
له وَجْهٌ يعِزُّ به * ولى حُرَقٌ أَذِلُّ بها
دقيقُ محاسِنٍ وُصِلَتْ * مَحاسِنُ وجْنَتَيْه بها
أُلاحِظُ حسنَ وجْنَتِه * فتَجْرَحُنِى وأجْرَحُها

وقال أيضا :

نَشَرْتُ فيك رَسِيسًا كُنْتُ أَطْوِيه * وأَظهَرَتْ لَوْعتِى ما كنتُ أُخْفِيه
إن كان وجهُك لى تَتْرى محاسِنُه * فإنَّ فِعْلَك لى تَتْرى مَسَاوِيه
مُرْتَجَّةٌ فى تَهاديه أسافِلُهُ * مهْتَزَّةٌ فى تَثَنِّيه أعالِيه
تاهتْ على صُوَرِ الأشياءِ صُورتُه * حتَّى إذا كَمُلَتْ تاهتْ على التِّيه

وقال المخزومى :

أىُّ مُحِبٍّ فيك لم أحْكِه * وأىُّ لَيْلٍ فيك لم أبكِه
إنْ كان لا يُرْضِيك إلا دَمى * فقَدْ أذِنَّا لك فى سَفْكِه

وقال أبو نواس :

يا قابرِى بمَــلالهْ * ودامرِى بمِطَــالِهْ
ويامُبَــدِّلَ لَيْــلِى * قِصـاره بِطــوَالهْ
أعوذُ منْــك بوَجْهٍ * بدْرُ الدُّجى فى مِثَالِهْ
لـكنَّه مِنه أحْلى * لحُسنِ موضعِ خالِهْ
هَلَّا رَحِمْتَ صَرِيعًا * تحتَ الرّدى وطَلالِهْ
مَنْ لا يُرى منه فوقَالْ * فراش غيْرُ خيَــالِهْ
مثلَ الِهَلال نَحِيــلًا * يَخْفى على عُــذَّالِهْ
فَمَنْ بَغى لكَ سُوءاً * فكان فى مِثْلِ حالِهْ

وقال محمد بن عبد الله السلامىّ شاعر اليتيمة :

ومُخْتَصِرِ الخَصْرِ من بُعْدِهِ * هَرَبْتُ فأُلْفِيتُ فى صَدِّه
وقابَلَنِى وَجْهُــه مُقْبِــلا * بحَــدِّ الحُسَامِ و إفرِنْدِهِ
فمــا زِلْتُ أعْصِرُ من خَمْره * وأقْطِفُ من مُجْتنى وَرْدِهِ
وأَظْمَا فأرْشُفُ من رِيقهِ * فيا حَرَّ صَــدْرِىَ من بَرْدِهِ

وقال أبو هلال العسكرىّ :

أقولُ لَمَّــا لاحَ مِنْ خِدْرِه * واللَّيلُ يُرْخِى الفَضْلَ من سِتْرِهِ
أَبَدْرُهُ أحسَنُ من وَجْهِــه * أم وجْهُــه أحسَنُ من بَدره
قد مالَتِ الرِّقَّةُ فى شَــطْرِهِ * ومالَتِ الغِلْظَــةُ فى شَــطره
فأُزْرُهُ غَصَّتْ بأرْدافِــهِ * ووُشْحُــه جالَتْ على خَصْرِهِ
أصبحْتُ لا أدْرِى وإنْ لمْ يَكُنْ * فى الأرض شَىْءٌ أنا لم أدْرِهِ

أشَعْرُه أحسَنُ من قدِّه * أم قَدُّه أحسنُ من شَعْرِه
ودُرُّه يؤخَذُ من لفظِه * أم لفظُه يُؤخَذُ من دُرِّه
وثغرُه ينظَمُ من عِقدِه * أمْ عِقدُه ينْظَمُ من ثغرِه
فمَنْ عَذيرُ الصَّبِّ من صَدِّه * ومَن مُجيرُ القَلْبِ من هَجْرِه
يالَيْتَهُ يَعْرِفُ حُبِّى له * عساه يَجزينى على قَدْرِه

وقال تاج الملوك بن أيوب :

ياهِلالًا لاحَ فى غُصُنٍ * تُشرِقُ الدنْيا بطَلْعتِه
وغزالًا طالَمَا خضع الأَسَدُ الضارى لهيبَتِه
ما رَنَا إلَّا وجرَّد لِى * صارمًا منْ لَحْظ مُقْلتِه
صلْ عَليلا أنتَ أعلَمُ من * كلِّ مخلوقٍ بعلّتِه
قد أطالَتْ مُقْلتاكَ بِلا * سببٍ تعْذيبَ مُهْجَتِه
كُلَّمَا لَجَّتْ عَواذِلُهُ * أجَّجَتْ نِيرانَ لوعَتِه
فاتَّئِدْ من طُولِ عَذْلِكَ لى * يا عَذُولى فى محبَّتِه
من بَنى الأتْراكِ مُعْتدِل * قد تَمادى فى قَطيعتِه
ليس يَشْفِى القَلْبَ من ظَمَإٍ * غيرُ رَشْفِى راحَ رِيقَتِه
لا ولا يُطْفِى لَظى كَبِدى * غيرُ تَقْبِيلى لوجْنَتِه
ليْتَ أن الدَّهْرَ مكَّننِي * بيدِى من حَلِّ تِكَّتِه

وقال آخر :

ومُهَفْهَفٍ عنِّى يميلُ ولم يمِلْ * يومًا الىَّ فقُلْتُ من أَلَمِ الجَوى
لِمَ لا تَميلُ الىَّ ياغُصْنَ النَّقا * فأجابَ كيْفَ وأنتَ من جِهَةِ الهوى

وقال ابن منير الطرابلسىّ :

مَنْ رَكَّبَ البَدْرَ فى صَدْرِ الرُّدَيْنِيِّ * ومَوَّهَ السِّحْرَ فى حَدِّ اليَمَانِيِّ ٨٢

وأنْزَلَ النَّيِّرَ الأعلى الى فَلَكٍ * مَدارُه فى القَبَاءِ الخُسْرُوانِيِّ

طَرْفٌ رَنَا أمْ قِرَابٌ سُلَّ صارِمُهْ * وأغْيَدٌ ماسَ أم أعْطافُ خَطِّيِّ

وبرقُ غادِيَةٍ أم بَرْق مُبْتَسِمٍ * يفْتَرُّ من خلَلِ الصُّدْغِ الدَّجُوجِيِّ

وَيْلاهُ من فارسِيِّ النَّحْرِ مفْتَرِسٍ * بفاترٍ أسَدِيِّ الفَتْكِ رِيمِيِّ

يُكِنُّ ناظِرُه ما فى كِنَانَتِهِ * فليس يَنْفَكُّ من إقْصادِ مَرْمِيِّ

أذلَّنِي بعْدَ عِزٍّ والهوى أبَدًا * يَسْتَعْبِدُ الليثَ للظَّبْيِ الكِنَاسِيِّ

ما مانَ مانِىٌّ(١) لولا ليلُ عارضِهِ * ما شَدَّ خيلَ المنايا بالأمانِيِّ

تكَنَّفَ الحسنُ منه وجهَ مُشْتَمِلٍ * نَمَارَ أحْوَرَ فى تأنيثِ حُورِيِّ

أمَا وذائبِ مِسْك من ذوائِبِهِ * على أعالِى القَضِيبِ الخَيْزُرانِيِّ

لو قيل للبَدْرِ مَنْ فى الأرض تحسُدُه * اذا تجَلَّى لقال ابنُ الفُلانِيِّ

أربَى علىّ بشَتَّى من محَاسِنه * تألَّفتْ بين مسموعٍ ومَرْئِيِّ

إباءُ فارِسَ مَعْ لينِ الشَّآم مع الظَّرْفِ العراقىّ فى النُّطْقِ الحِجازِيِّ

وما المُدامةُ بالألبابِ ألعَبُ من * فَصاحةِ البَدْوِ فى ألفاظِ تُرْكِيِّ

أشبهتُه ببعادِى ثم كان له * مَزِيةُ الخَلْقِ والأخْلاق والزِّيِّ

من أينَ لى لَهَبٌ يجْرِى على ذَهَبٍ * فى صَحْنِ أبيضَ صافِى الماءِ فِضِّيِّ

وروضةٌ لم تحُكْها كفُّ سارِيةٍ * ولا شَكَا خدُّها من لَثْمِ وَسْمِيِّ

يحُفُّها سَوْسَنٌ غَضٌّ يُغازِلُه * بنَرْجِسٍ بنِطَافِ السِّحرِ مَوْلِيِّ

مَنْ مُنقِذِى أو مُجِيرِى من هَوى رشإٍ * أفْتَى وأفتَكُ من عمرو بن مَعْدِيِّ

(١) الإشارة الى مانى القائل بالتنوية أى بالنور والظلام .

لا يَعْشَق الدهرَ إلا ذِكْرَ مَعْرَكةٍ * أو خوضَ مَهْلكة أو ضَرْبَ هندىِّ
ولا يُحَدِّثُ إلا عن رِبابتِه * من المِهَار العَوالى والمهَارِىِّ
والصافناتُ ولُبْسُ الضافيات وشُرْ * بُ الصافيات وإطرابُ الأغانىِّ
أشهى إليه من الدَّوْح الظَّليل على الـ * رَّوح العَليل وتَغْريد القَمارىِّ
شَدّ الجِياد لأيّام الجِلاد وإر * شاد الصِّعاد الى طَعْن الأناسىِّ
وحَثّ بازٍ على نأىٍ وحَمْل قطا * مِىٍّ تكدَّر منه عَيْش كُدْرىِّ
فى غِلْمةٍ كغُصُون البانِ يحمِلُها * كُثْبانُ بِرْدٍ على غادات بَردىّ
يمشون فى الوَشْى أسراباً فتحسبهم * روضَ الربيع على بِيض الأداحىِّ
والساحرُ الساخرُ[1] الغَرّار بينهم * كالشمس تكسِف أنوارَ الدرارىِّ
مُهفْهَف القدّ سهْل الخدّ أغرب فى الـ * جمال من لُثْغةٍ فى لفظ نجْدِىِّ
يُلْهيه عن كُتُبٍ تُروى ونُصرتِه * لشافعىٍّ فقيهٍ أو حنيفىِّ
عُوجُ القِسِىّ وقُبُّ الأعوجيّة والشُّـ * هْبُ الهماليجُ تُرْبى فى الأوارىِّ
والشَّعْر فى الشَّعَر الداجى على الغَنِج الـ * سَّاجى يُلَيِّنُ منه قلبَ حُوشىِّ
فلو بَصُرتَ به يَصْغى وأُنْشِدُه * قلتَ النُّواسىُّ يَشْجو قلبَ عُذْرىِّ
أو صائدُ الإنس قد ألقى حبائله * ليلا فأوقع فيها صَيْد وَحْشىِّ
أغراه بى بعد ما جدّ النِّفارُ به * شَدْوُ القَريض وألحانُ السُّرَيْجىِّ
فصار أطْوعَ لى منه لمُقلتِه * وصرتُ أُعْرَف فيه بالعَزيزىِّ

(١) فى الأصل: «الساحر الساحر» بالحاء المهملة فيهما. والسياق يقتضى أن تكون الأولى بالمهملة من السحر، والثانية بالمعجمة من السخرية؛ أى أنه يسحر من جانبيه ويعدهم ولا يفى.

وممـا قيل فى المؤنث، قال ابن الرومى :

مُخَفَّفَــةٌ مثقَّــلةٌ تَرَاهـا * كأنْ لم يَعْــدُ نِصفَيْها غِذاءُ
إذا الإغبابُ جَدّد حُسْنَ شىءٍ * من الأشـياء جدّدها اللِّقـاءُ
لهـا رِيقٌ تَشِـفُّ له الثَّنـايَا * ويُرْوى عنه ــ لامنه ــ الظِّماءُ (٨٣)
وأنفـاسٌ كأنفاس الخُـزَامى * قُبيـلَ الصُّـبح بَلّتْهـا السَّماءُ
تنفَّسَ نَشْرُها سَحَـرا فجاءتْ * به سَحَــرِيَّةَ المَسْرى رُخاءُ

وقال أبو نُوَاس :

ما هَــوًى إلا له سَبَبُ * يبتدى منــه ويَنْشَعِبُ
فتنَتْ قلْـبى مُحَجَّبَــةٌ * وجْهُهـا بالحُسن منتَقِبُ
خُلِّيَتْ والحُسْنَ تأخُـذُه * تَنْتَـقِى منــه وتَنْتَخِبُ
فاكتسَتْ منـه طَرائِفَهُ * واستزادتْ بعضَ ما تَهَبُ
صار جِدًّا ما مَزَحْتُ به * رُبَّ جِدٍّ ساقه اللَّعِبُ

وقال أيضا :

ياقَمَـرا أبصــرْتُ فى مأْتَمٍ * ينـدُب شَجْوا بينَ أتْراب
يَبْكِى فيذْرِى الدُّرَّ من نَرْجِس * ويَلْطِــمُ الوردَ بعُنّـاب
أبْرَزَهُ المـأْتَمُ لى كـارِهًا * برَغْــم دايَاتٍ وحُجّـاب
لاتَبْكِ مَيْتـا حَلَّ فى رَمْسه * وابْكِ قَتيـلًا لكَ بالبـاب

وقال سيف الدين المشد :

وبمُهْجَـتِى مَنْ لو بَدَتْ * للشمسِ من تَحْتِ النِّقابْ
سـتَرتْ محَاسِنَ وجْههـا * خَجَلا ولاذَتْ بالسَّحابْ

وقال القاضى أبو على التّنُوخى، شاعر اليتيمة :

أقولُ لَهَا والحَىُّ قد فَطِنُوا بنا * وما لِىَ عن أيدِى المَنُون بَرَاحُ
لَمَا ساءنِى أنْ وشّحتْنِى سُيُوفُهم * وإنِّى لكُمْ دُونَ الوِشاح وِشَاحُ

وقال عمارة اليمانى :

طَرَقْتُها والليْلُ وَحْفُ الجَنَاحْ * وما تَلبَّستُ بثَوْب الجُنَاحْ
فى ليلةٍ بات نُجَادِى بها * ذوائبًا يَخْفُقن فوقَ الوشَاحْ
والحسنُ قد ألَّفَ أشتاتَهُ * غُصْنٌ تثنَّى فوقَ رِدْف رَدَاحْ
نامَ رقيبُ الصُّبْحِ عن لَيْلتِى * وباتَ لِى كُلُّ مَصُون مُبَاحْ
أجمَعُ من خَدٍّ ومن مَبْسِمٍ * بحُمْرَةِ الوَرْد بَيَاضَ الأَقَاحْ
حصَلْتُ من رِيقٍ ومن مَنْطِقٍ * على اقْتِراحٍ ونَمِيرٍ قَرَاحْ
ترنَّحتْ مِنْ نَشَوات الصِّبا * فبِتُّ مسْرُورًا بنَشْوانَ صاحْ
وفاحَ مِن نَشْرِ الصَّبا عَنْبَرٌ * أحْرقه الفَجْر بجَمْر الصَّبَاحْ

وقال أبو نُوَاس :

وذاتِ خَدٍّ مُوَرَّدْ * قُوهِيَّةِ المتجَرَّدْ
تأمَّلُ العَينُ منها * محاسِنًا ليس تَنْفَدْ
فالحُسْن فى كل جُزْء * منها مُعَادٌ مُرَدَّدْ
فبعضُه فى انتهاء * وبعضُه يتَوَلَّدْ
وكُلَّما عُدْتُ فيه * يكونُ لى العودُ أحمَدْ

وقال علىّ بن عبد الرحمن بن المنجم :

شبَّهتُها بالبَدْرِ فاستَضْحَكتْ * وقابَلتْ قولِىَ بالنُّكْرِ
وسفَّهتْ قولِى وقالتْ متى * سَمُجْتُ حتَّى صِرتُ كالبَدْرِ

البـــدْرُ لا يرنُو بعَيْنٍ كما * أرنُو ولا يَبْسِمُ عن ثغْـــرِ
ولا يُميط المِرْطَ عن ناهـدٍ * ولا يَشُـــدُّ العِـقْد فى نَحْرْ
مَنْ قاسَ بالبدر صِفاتِى فلا * زالَ أسـيرًا فى يَدَى هَجْرِى

وقال العماد الأصفهانىّ :

أُثْنَ الأهـلَّةَ بالمَعَـاجِرْ * وكَأَنَّ بالسُّـقْمِ المَحَـاجِرْ
ونظَرْن عن حَدَق تَحَجَّـرْ * نَ بِهَـا على آرام حاجِرْ
شَهَرتْ لِحَـاظُ ظِبَـائِهِنَّ على القُلُوب ظُبًـا بواتِرْ
آرامُ خِـــدْرٍ باللحَـــا * ظ تَصيدُ آساداً خَوادِرْ
غيــدٌ لسَفْك دَمِ المُحِب * تَضافَرتْ منها الضَّفـائِرْ (١)
بيــضُ الترَّائب حُمْرُهـا * خُضْرُ اللَّى سُـود الغدائِرْ

وقال كُشاجم :

جعلتُ إليـكِ الهوى * شَفِـيعا فلم تُشْـــفِعِى
وناديتُ مســتعْطِفا * رضـاكِ فلم تَسْـمَعى
أتارِكتِى مُدْنَفًـا * أخا جَسَـدٍ مُوجَـــعِ
ومغـرِيتى والدمـــو * عُ قد أحرقَتْ مدْمَعى
احينَ سبَيْتِ الفُـــؤا * دَ بالنظـــر المطْمـــعِ
جفَـــوْتِ وأقصيتِنِى * فَهـلَّا وقَلْـــبِى معى

وقال ابن المعلم :

صَعْدةُ القَدِّ وسيفُ الكَحَلِ * حكَمَا حُكْمَ الهوى فى أجلِى
يالقَومِى حَملتْ ثِقْـــل دَمِى * غادةٌ يُثْقِلُها حَمْلُ الحُـــلى

(١) فى الأصل بالظاء فى الكلمتين ، وما أثبتناه أنسب .

قَدُّها مُعْتَـــدِلٌ يَظْلِمُنى * حَزَنى من قَدِّها المعتَدِل
خَصْرُها يَنْشَطُ لكن رِدْفُها * أبدًا يَقْـــهَرُه بالكَسَل
نظرةٌ من مُقْلَتَىْ جاريةٍ * وثنَتْ عِطْفَ القَضيب الثَّمِل
لستُ أدرِى قمـــر فى كِلَّة * ما أَرى أم دُمْيةٌ فى هَيْكل
سألتْ جِسْمِىَ عن ساكِنِه * ومن الجَهْـل سُؤالُ الطَّلَل

وقال سيف الدين المشدّ :

وغادةٍ أعشَقُ من أجْلِها * بدرَ الدُّجى والظَّبْىَ والخَيزُرانْ
لأنَّ ذا يُشْبِهُها بهجةً * وذاكَ ألحاظًا وهــذا بَنانْ

وقال أبو نواس :

يامُنْسِىَ المَــأْتَم أشجــانَهُ * لمـا أتاهُــمْ فى المُعَزِّينَــا (٨٤)
حَلَّتْ عِجَارَ الوَشْىِ عن صُورةٍ * ألبسهـا اللهُ التَّحاســيناَ
استَفْتَنَتْهنّ بِتِمْثالهـا * فهُنَّ للتَّكليف يَبْكِينا
حَقٌّ لذاك الوجه أن يَزْدَهِى * عن حُزْنه مَنْ كان محزُونَا

وقال أيضا :

أيا لَيْتَ شعْرى أمنْ صَخْرةٍ * فُؤادُك هــذا الذى لا يَلِين
تقولُ اذا ما اشتكيتُ الهوى * كما يَشتكى البائس المُسْتَكين
أفى النَّــومِ أبصَرْتَ ذا كُلَّه * فخَــيْرًا رأيتَ وخَــيْرا يكُون

وقال المشوّق الشامى :

أتُرَى بشــارٍ أو بدَيْنِ * عَلِقتْ محاسِــنُها بعينِى

فى خَصْرِها وقَوَامِهــا * ولِحَـاظها ما فى الرُّدَيْنِي
وبوَجْهِها ماءُ الشَّـــبا * ب خليطُ نار الوجنَتَيْن

وقال السرىُّ الرفَّا شاعر اليتيمة :

قامتْ وخُوطُ البانة ال * مَيَّاسُ فى أثوابهـــا
ويَهُزُّها سُكرانِ سُكـ * ـر شَرابهـا وشَـبَابِهـا
تَسْعى بصَهْبَاوَيْنِ من * ألحـاظِهـا وشرابِهـا
وكأنّ كأْس مُدامِها * لَمَّا ارْتَدتْ بحُبـابِهـا
توريدُ وَجْنتهـا اذا * ما لاح تحتَ نِقابِهـا

وقال ابن الرومىّ :

مِنْ بناتِ الرُّوم لا يَكْذِبُنا * لونُها المُشْرِقُ عن مَنْصِبها
قامةُ الغُصْنِ اذا ما اعتدَلَتْ * قامةُ الغُصْنِ الى مَنْكِبها
شهِدَ الشاهدُ من أحسنها * فحكى الغائبَ من أطْيبِها
تَشْفَعُ الحسنَ بإحسانٍ لها * يَجْلُب الأفــراحَ من مَجْلَبِها
تَشْرَع الألحاظُ فى وَجْنتِهـا * فتُـلاقِى الرِّىَّ فى مَشْرَبِها
وجْنَــةٌ للغنْج فيها عَقْربٌ * وبَلاءُ الصبِّ من عَقْربِها
واذا قامَتْ الى مَلْعَبِهـــا * كَمَهَـاةِ الرمْــلِ فى مَلْعَبِها
سألت أردافُهـا أعطافَهَـا * هَلْ رأتْ أوطأَ من مَرْكَبِها

وقال أبو الحسين بن فارس :

مَرَّتْ بنـا هَيْفاءُ مَقْــدُودةٌ * تُرْكِـيَّةٌ تُنْـمى لــتُرْكِىِّ
ترنُو بطَـــرْفٍ فاترٍ فاتِنٍ * أضعَفَ من حُجَّـةِ نَحْوِىِّ

ومما قيل فى المُطْلَق والمشترك، قال الطغرائى :

فيمَ التعجُّبُ من قلبي وصَبوتهِ * كأنّكم لم تروْا من قبلهِ عجَبا
ذوقُوا الهَوى ثم لُومُوا مابدَا لكُمُ * أو لا فخلّوا ملامِي وآربحُوا التعَبا

وقال أيضا :

وكنتُ أرانِى مُفْلِتًا شَرَك الهَوى * وقد صادنِى سحرُ العيونِ النّوافثِ
وأسْمَعَنِي داعِى الغَرامِ نداءه * فقمتُ إليه مُسْرِعا غيرَ لابِثِ
وأعطيْتُ إخوانَ البَطالةِ صَفْقتِي * وبعتُ قديما من غرامِى بحادثِ
فما صَفْقتِي فى البيعِ صَفقةُ خاسِرٍ * ولا بَيْعتِي للحُبّ بيعةُ ناكِثِ
فلا تعذِلُونى فى غرامِى بعدَ مَا * تولَّى الصِّبا فالعَذْل أوّلُ باعثِ
ولا تبحَثُوا عن سِرِّ قلبِي إنّه * صَفًا ليس يمضِى فيه مِعْولُ باحِثِ
أرى صبواتِ الحبِّ قد جَدّ جدُّها * وقد كان بدءُ الحب مَزْحةَ عابثِ

وقال الارّجانىّ :

قفَا معِي فى هذه المَعاهِدِ * لا بُدّ للصَّبِّ من المُساعِدِ
لا تبخَلا يا صاحبيَّ وآسمحَا * بوقْفةٍ على المُعنَّى الواجد
فى منزِلٍ عهِدْتُ فى عِراصِه * لو ردّ معهودا بكاءُ عاهِد
كواعبًا من الدُّمى لواعبًا * مُشْبِهةَ الثُّغور بالقلائد(١)
يمشِين من فرط النّعيم والصِّبا * كالقُضُبِ المَوائل المَوائد
فيهنّ ظَبْيٌ عَلِقَ القلبُ به * من الظّباء النُّفُرِ الشوارد

(١) فى الأصل : « مشبهة الثغور لا القلائد » ويظهر أنه محرّف؛ لأن المراد تشبيه أسنانها فى انتظامها بالقلادة فى العنق .

اذا تبـدّى مرضٌ بطَرْفـه * لم يخـلُ من أفئـدة عوائدِ
رميتُه فصادنِى فمن رأى * صـيْدًا يمـرّ بفؤاد الصائدِ
قطعتُ من قلبي رجائى فى الهوى * والقَطْعُ طِبٌّ كلِّ عُضو فاسدِ

وقال أبو القاسم عبد الله الدينورى شاعر اليتيمة :

يالِعَصْرِ الخَلاعةِ المودود * ولِظِلِّ الشَّـبيبة الممـدُود
وٱرتشافِي الرُّضابَ من بَرَد الثغـ * ـر ولَثْمِى عليـه وَرْدَ الخُـدُود
وبُكُورى الى مجالس عِـلْمٍ * ورَواحى الى كواعبَ غيـد
فى قميصٍ من السُّرور مُذَال * ورداء من الشَّـباب جَديد

وقال تاج الملوك بن أيوب :

(٨٥) أَلَّا رحمـتُمْ متيما دنفـا * ما زالَ من جَوْرِكُمْ بكم عائذْ
صَبَّا قضى الله أن يهيم بكُمْ * ولا مردّ لحـكمِه النافِـذْ
يلوذُ حُبًّا دُونَ الأنام بكم * وحَسْـبُه أنه بكُم لائذْ

وقال فخر الدين الوركانى شاعر الخريدة :

أأحبابَنَا أمّا حياتِى بَعْـدكُم * فموتٌ وأما مَشْربِى فمنَغَّصُ
وأسـعَدُ شيء فى قلبي لأنَّه * لَدَيْكم وجسْمى بالبِعاد مخصَّصُ

وقال العماد الأصفهانى :

بذلتُ لهم أبْغِى رِضاهُم مودّتِى * وقلبي وصَبرِى والرُّقادَ فما رَضُوا
وهبْنِى عن كلِّ تعوّضتُ بَعْـدَهم * فقُـلْ لى بمـاذا عنهمُ أتعـوّض
وما كان ظنِّى أنَّ عيْشِى يَنْقَضِى * ونجمَ الصِّبا ينقضُّ والعَهْـد يُنْقَضُ

وقال الطغرائى :

إن الألى أرضاك قولُهُـمُ * بالأمس تحتَ رضاهمُ سُخْـطُ

لَمَّا صَفا ذاك الجمالُ لَهُمْ * تاهوا على العُشَّاق وآشتَطُّوا
هَمُّوا ببَيْنٍ فاستطارَ له * قلبي فكيفَ يكُون إن شَطُّوا

وقال الطغرائى أيضا :

فى القَلْب من حَرِّ الفراق شُوَاظُ * والدمعُ قد شَرقتْ به الألحاظ
ولقد حفِظْتُ عُهودَكُمْ وغدرتُمْ * شتَّان غَدْرٌ فى الهوى وحفَاظُ
لله أىُّ مواقِفٍ رقَّتْ لنا * فيها الوسائلُ والقلوبُ غلاظُ

وقال أيضا :

وسائلٍ عن جَوى قلبي فقلتُ له * ما أنتَ عِندِى على سِرٍّ بمتَّهَمِ
طابَ الجوى فى الهوى حتَّى أَنِسْتُ به * فهو المَرارةُ يحْلُو طَعْمُها بفمى

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

أتقتُلُني ظُلْما وتجحَدُنِى قَتْلى * وقد قام من عينيكَ لِى شاهِدَا عَدْلِ
أُطُلَّابَ ذَحْلِي ليس لى غيرُ شادِنٍ * بعينيه سِحْرٌ فاطلُبُوا عِنده ذَحْلى
أغارَ على قلبي فلما أتيتُهُ * أُطالِبُه فيه أغارَ على عَقْلى
بنفسِى التى ضَنَّتْ بردِّ سلامها * ولو سألَتْ قتلى وهبْتُ لها قَتْلِى
إذا جئتها صَدَّتْ حَياءً بوجهِها * فتَهْجرنى هجرا ألَذَّ من الوصْلِ
وإن حَكَمَتْ جارت علىّ بحُكْمِها * ولكنَّ ذاكَ الجورَ أشهى من العدْلِ
كتمتُ الهوى جَهْدِى بجَوْده الأَسى * بماء البُكا هذا يَخُط وذا يُمْلِى
وأحبَبْتُ فيها العَذْلَ حُبًّا لذِكْرها * فلا شَيْءَ أحلى فى فُؤادى من العَذْلِ
أقولُ لقلبي كُلَّما ضامه الأسى * إذا ما أبيتَ العِزَّ فاصبِرْ على الذُّلِّ
برأْيِكَ لا رأيِى تعرَّضْتَ للهوى * وأمرِكَ لا أمرِى وفعلِك لا فعلِي

وجدْتَ الهوى نصلاً من الموت مُغْمَدا * فجرّدتَهُ ثم آتكأتَ على النصـــل
فإن كنتَ مقتُولًا على غيرِ ريبـةٍ * فأنتَ الذى عرَّضتَ نفسَكَ للقتْل

وهذه الأبيات معارضة لصريع الغوانى فى قوله :

أديرَا علَّى الكأس لا تَشْرَبَا قَبْـلِى * ولا تَطْلُبَا من عنـــد قاتلتِى ذَحْلِى
فـما حَزَنِى أنِّى أمـــوتُ صَبابةً * ولكنْ على مَنْ لا يَحِلُّ لهـا قَتْلِى
فَدَيْتُ التى صَدَّتْ وقالت لِتِرْبِهـا * دَعُوه الثُّرَيَّا منـه أقربُ من وَصْلِى

وقال آبن عبد ربه :

صَحا القلْبُ إلا خَطرةً تبعثُ الأسى * لهـا زَفْـــرةٌ موصـــولةٌ بحَنِينِ
بلى رُبَّمـا حلتْ عُرَى عَزَماتِـــهِ * ســـوالِفُ آرام وأعيُنُ عِينِ
لواحظ حَبَّات القـــلوب إذا رنَتْ * بِســحْرِ عيونٍ وآنكسارِ جُفُونِ
ورَيْط من المَـــوْشِىِّ أينَعَ تحتَــهُ * ثِمـارُ صُـــدورٍ لا ثِمـارُ غُصُونِ
بُرُودٌ كأنوارِ الربيـــع لبِسْـنَهَا * ثيابَ تَصابٍ لا ثيـابَ مُجُـــون
فَرَيْنَ أدِيمَ الليـــلِ عن نُورِ أوجُهٍ * تُجَنُّ بها الألبابُ كلَّ جُنـــونِ
وجوهٌ جرى فيهـا النعـيمُ فكُلِّلَتْ * بورْدِ خـــدودٍ يُجْتَنَى بعيُـــون
سألبَسُ للأيَّام دِرْعًا من العَـزَا * وإن لم يكُن عنـــد اللِّقَا بحَصِينِ
وكيفَ ولى قَلْبٌ إذا هَبَّت الصَّـــبا * أهابَ بشَـــوْقٍ فى الضُّلوع دَفِينِ

وقال آخر:

هَزُّوا القُـــدودَ وجَرَّدوا الأجْفانَا * فاطلُبْ لنفسِـــك إنْ قدَرْتَ أمانَا
وآلقِ السِّلاحَ إذا آنثَنَوْا وإذا رنَوْا * وكُنِ الجبَـانَ وإن مَلَكْتَ جنَـانا
وآحذَرْ ضِراما(١) بالعيون وسَـلْ به * مِثْـلِى وجانب بالقُـــدُود طعَـانا (٨٦)

(١) كذا فى الأصل؛ ولعله «مداما» أى سكرا وخمرا، والمعهود وصف العيون بذلك لا بالضرام الذى هو الاتقاد والاشتعال .

فلقد رأيتُ الأُسْدَ وهى كواسرٌ * تَخْشَى بمعترَك الهوى الغِزْلانا
لا تعبَثَنَّ بذابِلٍ وببَاتِرٍ * وخَفِ المُهَفْهَفَ وآحذر الوَسْنانا
لولا تشابُهُ مقلةٍ أو قامةٍ * ما خفْتُ يوما صَعْدةً وسنَانا
وأنا الذى حضَرَ الوقائعَ فى الهوى * وأقامَ فى أَسْرِ الغَرام زَماناَ
ولكَمْ رأيتُ به الشَّدائدَ مُرَّةً * ولكَمْ رأيتُ به المَماتَ عيَانا
وثبَتُّ بينَ مَعاطِفٍ ولواحِظٍ * فى مَوْقِفٍ يَذَرُ الشُّجاعَ جَبَانا
مُسْتَسْلِمًا للعِشْق لا مُسْتَصرِخا * صَبراً ولا مستَنْجِدًا سُلْوانا
أرجُو الشهادةَ إن قُتِلْتُ به وما * ولَّيتُ فيه ولا ثنَيتُ عِنَانا
ياويْحَ قلبٍ ماخَلا من شُغلِه * بصَبابةٍ ومحبَّةٍ مذ كانَا
لو فَتَّشُوه لما لَقُوا لِسوى الهوى * فيه ولا غَيْرِ الغرام مَكانَا

وقال التلعفرىّ :

هذا العَذُول عليكُمُ مالى ولَهْ * أنا قد رَضيتُ بذا الغَرامِ وذا الوَلَهْ
شرْطُ المحبةِ أنّ كلَّ متيَّمٍ * صَبٍّ يُطيع هَواه يَعْصى عُذَّلَهْ
وأخذْتُمونى حينَ سار بحبِّكُم * مَثَلِى ومِثْلِى سِرّه ان يَبْذُلَهْ
ما أعربَتْ واللهِ عن وَجْدى بكُمْ * وصَبابَتِى إلّا دُمُوعى المُهْمَلَهْ
جُرْتُم مَدًا كم فى قطيعتِكُمْ فلا * عطفٌ لعائدكُمْ يُرامُ ولا صِلَهْ
أأَلُومُكُمْ فى هَجْرِكم وصُدُودِكُم * ماهذه فى الحُبِّ منكم أوّلَهْ
قسمًا بكم قد حِرتُ مما أشتكِى * حَسْبِى الدُّجى فعَدِمْته ما أطْوَلَهْ
لَيْلى كيومِ الحَشْر معْنًى إن يكن * لا ليلَ ذاكَ له فذا لا صُبْحَ لَهْ
ياسائلى منْ بعدِهِم عنْ حالتِى * تركُ الجوابِ جوابُ هذى المسألَهْ

حالِى اذا حَـدَّثتُ لا لُمَعًـا ولا * جُمَلا لإيضاحى لها من تَكْمِلَهْ[١]
عِنْـدِى جَوًى يَذَرِ الفصيحَ مبلَّدًا * فاتْرُكْ مفصَّـــله ودُونَك مجمَـــلَه[٢]
القلبُ ايس من الصِّحاحِ فيُرْتجَى * إصـلاحُه والعينُ سُحْب مُثْقَـلَه[٣]
يا نازِحينَ وفى أُكِلَّةِ عِيسِهِمْ * رَشَأٌ عليـه حَشَا المحُبِّ مقلقَلَهْ
قمرٌ له فى الطَّرْف بل فى القَلْب بل * فى النَّـثْرة الحَصْداء أشرفُ مَنْزِلَهْ[٤]
الصُّدْغ منـــه عَقْربٌ ولِحـاظُه * أَسَـدٌ وخلفَ الظَّهْر منـه سُنْبُلَهْ[٥]
ما أجورَ الألحـاظَ منـه اذا رَنَا * واذا انثنى فقَوامُه ما أعْــدَلَهْ
لو لم يَصِبْ صُدْغَيْه عارضُ خدِّه * ما أصبحَتْ فى عارِضَيْه مُسلْسَلَهْ
لله منـــه مهَفْهَــفٌ أجْنيتُــهُ * عَسَـلَ الهوى فجَنَيْتُ منه حَنْظَلَهْ
لو كنتُ فيه قَبِلتُ نُصْحَ عَوَاذلى * ما أدبَرتْ أيامُ حَظِّى المُقْبِـــلَهْ

وقال الطغرائىّ :

رُوَيْدَكُمُ لا تَسْـبِقُوا بقَطِيعَتِى * صُروفَ الليالى إنَّ فى الدَّهرِ كافيَا
ويا قلبُ عاوِدْ ما أَلِفْتَ من الجَوى * مَعاذَ الهوى أن تُصْبِحَ اليومَ ساليَا
ويا كَبِدِى ذُوبِى ويامقلتى آسْهَرى * ويا نفْسِ لا تُبْـقِى من الوجْد باقيَا
فـــلا تَطْمَعُوا فى بُرْءِ ما بِى فإنَّه * هو الداءُ قد أعيَا الطبيبَ المُداوِيَا

---

(١) إشارة الى الكتب الشهيرة : اللمع ، الجمل ، الإيضاح ، التكملة . وكلها فى علم العربية .

(٢) يشير الى "الفصيح" لثعلب ، و"المفصل" للزمخشرى ، و"المجمل" لابن فارس . وكلها كتب فى اللغة .

(٣) الاشارة الى "الصحاح" للجوهرى ، و"العين" للخليل بن أحمد . وهما من كتب اللغة .

(٤) يشير الى بعض منازل القمر وهى : الطرفة ، والقلب ، والنثرة .

(٥) يشير الى بعض البروج ، وهى : العقرب ، والأسد ، والسنبلة .

***

ومما قيل فى طَيْف الخيال، قال قيس بن الخطيم : (٨٧)

إنى شَرِبْتُ وكنتُ غيرَ شَرُوب * وتُقَــرِّبُ الأحلامُ غيرَ قَــرِيب
ما تَمْنَــعِى يَقْظَى فقد تُؤْتِينَــهُ * فى النَّــوم غَيْرَ مُكَدَّرٍ مَحْسُــوبِ
كانَ المُنَى تِلْقاءَها فلقِيتُها * ولَهَــوْتُ من لَهْوِ آمرئ مَكْذُوب

وقال عمرو بن قَمِيئةَ :

نَأَتْكَ أُمامةُ إلا سُــؤالَا * وإلّا خَيــالًا يُوافِى خيالَا
خَيالًا يُخَيِّــل لى نَيْلَهَــا * ولو قَدَرتْ لم يُخَيِّلْ نَوالَا

قال أبو هلال العسكرى : ومن هاتين القطعتين أخذ المحدَثونَ أكثرَ معانيهم فى الخَيال .

وقال البَعِيث :

أزَارَتْكَ ليلى والرِّكابُ خَواضِـع * وقد بَهَر الليْـلَ النجُومُ الطَّوالِـعُ
وأعطَتْك غاياتِ المُنى غير أنَّهـا * كَواذبُ إنْ حَصَّلْتهـا وخَوادعُ

وقال أبو تمـام :

اِسْــتَزَارتْه فِكْرتى فى المَنَامِ * فأتاها فى خِفْيــةٍ وآكْتِتَامِ
يا لها لَيْــلةً تزاوَرتِ الأرْ * واح فيها سِرًّا عنِ الأجْسامِ
مجلِسٌ لم يكن لنا فيه عَيْبٌ * غيرَ أنّا فى دَعْــوة الأحْلامِ

وقال الحمدونىّ :

لم أنَلْه فنِلْتُــه بالأمَانِى * فى منَـامى سرًّا من الهِجْرانِ
واصل الحُلْمُ بيننَا بعـدَ هَجْرٍ * فاجتمَعْنا ونحنُ مُفْــتَرِقانِ

وكأنّ الأرواحَ خافتْ رَقيبًا * فطَوتْ سِرَّها عن الأبْدان
مَنْظَرٌ كان نُزهةَ العَيْنِ إلّا * أنه مَنْظَرٌ بغيرِ عِيان

وقال ابن الرومىّ :

طَرقَتْنا فأنالَتْ نائلًا * شُكْرُه لو كان فى النُّبْه الجُحُودُ
ثم قالتْ وأحَسَّتْ عَجَبِى * من سُرَاها حيثُ لا تَسْرِى الأُسُودُ
لا تعَجَّبْ من سُرَانا فالسُّرى * عادةُ الأقمار والناس هُجُودُ

أخذ العسكرىّ المعنى فقال :

رقَبَتْ غفْلَةَ الرَّقِيبِ فزارَتْ * تحتَ لَيْلٍ مُطَرَّز بنَهارِ
فتعجَّبْتُ من سُرَاها فقالتْ * غيرُ مُسْتَغْرَبٍ(١) سُرى الأقمار
ثم مالَتْ بكأسِهَا فسَقَتْنِى * جُلَّنارِيَّةً على جُلِّ نارى

وقال آخر :

فيا لَيْتَ طَيْفا خيَّلَتْه لىَ المُنَى * وإنْ زادنِى شوقًا إليك يعُودُ
أكلِّف نفسى عنك صَبْرا وسَلْوَة * وتَكْليفُ ما لا يُستطاعُ شديدُ

وقال العسكرى :

طَرَق الخيَالُ فزارَ منه خيَالا * فسرى يُغازِل فى الرُّقاد غَزالا
يا كَشْفةً للكَرْب إلّا أنّه * وَلّى على دُبُر الظَّلامِ فزالا
قَعَد المتيَّمُ وهو أكثرُ صَبوةً * وأشَدُّ بِلبالًا وأكْسَفُ بالَا

وقال العماد الأصفهانى :

ظَبْىٌ طَرِبتُ لِطَيْفِه المتأوِّبِ * طَرَبَ العليلِ لرؤْيَةِ المتطَبِّبِ
لم أدرِ زَوْرَتَهُ أكانت خَطْفةً * من بارقٍ أم لمعةً من كَوْكَبِ

(١) فى الأصل : «مستطرف» وظاهر أنه تحريف .

زار الكَرى متهيِّبا رُقَباءَه * أهْلا به من زائرٍ متهيِّبِ
لَمَّا رأى وَجْدِى تأوَّه رحمةً * لله مِنْ متأوِّه متأوِّب
وأتى ليقرُبَ من وِسادِ متيَّم * لَمَّا أحسَّ بنارِه لم يَقْرُبِ

وقال محمد بن بختيار :

لو أنَّ طَيْفَ الخَيَالِ يَسْرِى * بَلَّ سُراهُ غليلَ صَدْرِى
ولو أرادَ الحبيبُ أن لا * يَضيمَنِى ما آستطابَ هَجْرِى
يلومُنِى فى هَواهُ مَنْ لا * يعلَمُ أن المَلاَمَ يُغْرِى
كَمْ ليلة زار فى دُجَاها * فكان تَحْتَ الظَّلامِ بَدْرِى
يُتْحِفُنِى باحْمِرار خَدٍّ * مُوَرَّدٍ وآبيضاض ثَغْر
يجْمَعُ لِى بيْنَ سُكْرِ لَحْظٍ * وسُكْرِ رِيقٍ وسُكْرِ خَمْر
ودُرِّ لَفْظٍ ودُرِّ ثَغْرٍ * ودُرِّ كاس ودُرِّ نَحْر

وقال آخر :

قلتُ للمُعْرِض الَّذى صدّ عَنِّى * إن طَيْفَ الخيالِ لى عنكَ يُغْنِى
قال لا تَحْمَدُ الخَيَالَ فما زا * رَكَ إلَّا عن اختيارِى و إذْنِى
كِدْتَ تَقْضِى أسًى فقلتُ لِطَيْفِى * أَحْىِ لى روحَه بِزُور التَّمَنِّى
ليس شُحًّا بأن تموتَ ولكِنْ * خِفْتُ أن تستَرِيحَ بالموتِ مِنِّى

وقال آخر :

فإنْ يحجُبُوها بالنهار فمن لَهُمْ(١) * بأن يَحْجُبوا بالليل عَنِّى خَيَالَهَا

(١) فى الأصل : "فما" وما أثبتناه أنسب .

وقال المجنون :

وإنّى لأستغشى ومابى نَعْسَةٌ * لعلَّ لقاهَا فى المَنَامِ يَكُونُ
تُخَبّرنى الأحلامُ أنّى أراكُمُ * ألَا ليْتَ أحلامَ المَنامِ يقِينُ

وقال المؤمل :

أتانِى الكَرَى ليْلًا بشَخْصٍ أُحِبُّه * أضاءت له الآفاقُ والليلُ مُظْلِمُ
فكلَّمَنِى فى النَّومِ غيرَ مُغاضِبٍ * وعَهْدِى به يَقْظانَ لا يتَكَلَّمُ

وذكر العباس بن الأحنف العلةَ فى طُروق الخيال فقال :

خَيَالُك حِينَ أرْقُدُ نُصْبَ عينِى * الى وقتِ انْتِباهِى لا يَزُول
وليس يَزُورُنِى صِلَةً ولكِنْ * حديثُ النَّفس عنكَ به الوُصولُ

وتبعه الطائىّ فقال :

زار الخيالُ لها لا بل أزَارَكَهُ * فِكْرٌ اذا نامَ فِكْرُ الخَلْوِ لم يَنَمِ
ظَبْىٌ تقنَّصتُهُ لَمَّا نَصَبْتُ له * فى آخر الليلِ أشْراكًا من الحُلُمِ

* * *

ومما قيل فى الردّ على العذول، قال أبو نُوَاس :

ما حَطَّك الواشُونَ من رُتْبَةٍ * عِندى ولا ضَرَّكَ مُغتابُ
كأنَّما أثنَوْا — ولم يَشْعُروا — * عليكَ عِندى بالذى عابُوا

وقال تاج الملوك :

مَهْ ياعَذُولُ عن المحِبِّ فإنَّما * عَذْلُ المحِبِّ يَزِيدُ فى بِلْبالِهِ
لا تَعْذُلَنَّ على الصَّبابةِ مُغْرَمًا * حتَّى تَبِيتَ من الزَّمان بحالِهِ

وقال أيضا من قصيدة :

ولقد قُلْتُ للذى لامَـنِى فيـ * ـك وما زَال حالُه مِثلَ حالى
ياعَذولِى فى حُبِّه كُفَّ عَذْلِى * أنا ما للعَـذُول فيه ومالِى
كُلما زِدْتَ فى مَلامِى وعَذْلِى * زِدتُ فى لَوْعَتِى وفى بِلْبالِى

وقال الأرّجانىّ :

وَجْدِى بلَوْمكَ ياعَذُولُ يَزِيدُ * فاستَبْق سَهْمَكَ فالرمىُّ بَعِيـدُ
بَلَغ الهوى من سِرّ قلبىَ مَوْقِعًا * لا العَـذْلُ يَبْلُغه ولا التفنيدُ
وتُنِمُّ بالشَّـجْوِ المُكَتَّم عَبْرَتِى * ومن الدُّموعِ على الغَرام شُهودُ

وقال سيف الدين المشدّ :

ياعاذِلى خَلِّ عَنِّى * أسمعتَ غيرَ سَمِيـعِ
لا تَرْجُ مِنِّى سُلُوًّا * فما فُؤادِى مُطيعِى
وكيْفَ أكتُمُ ما بِى * من لَوْعة ووُلُوعِ
والذَّارياتُ جُفُونِى * والمُرْسَلاتُ دُموعى (١)

وقال ابن الخيمى :

وتَأمُرنِى العُـذَّال بالصـبر عَنْكُمُ * ومَنْ ذا الذى يَرْضى عن الحُلْوِ بالصَّبْرِ
ومِنْ أعجبِ الأشـياءِ أنَّ عواذِلِى * يُطيلون لَوْمى فى الهوى والهوى عُذْرى

* * *

وممـا قيل فى رجوع العذول، قال ابن وكيع :

أقْبَـلَ والعُذَّالُ يَلْحُونَنِى * فكلُّهم قال مَنِ البَـدْرُ
فقلت ذَا مَنْ طالَ فى حُبِّه * منكم لىَ التعنيفُ والزَّجْرُ

(١) إشارة الى اسم السورتين الكريمتين : الداريات والمرسلات .

قالوا جهِلْنا فاغتفرْ جهْلَنا * فليس عنْ ذا لِأمْرِئٍ صَبْرُ
عُذْرُك فى الحُبِّ له واضِحٌ * وما لَنَـا فى لَوْمِنَـا عُذْرُ

وقال أيضا :

أبْصَـــره عاذِلى علَيْـــه * ولم يكنْ قبْـــلَ ذَا رآهُ
فقال لى لو عَشقْتَ هـــذا * ما لامَكَ الناسُ فى هَـــواهُ
قل لى الى من عَدَلْتَ عنه * فليس أهْـــلَ الهوى سِواهُ
وظَلَّ من حيث ليس يَدْرى * يأمر بالحُبِّ مَنْ نَهـاهُ

*
* *

ومـــا قيل فى الوِصال ، قال ابن الرومى :

ولقـــد يؤلِّفنا اللِّقاءُ بليـــلةٍ * جُعلَتْ لنا حتَّى الصبــاحِ نِظامَا
تجْزى العيونَ جزاءَهُنَّ عن البُكَا * وعن السُّهاد ولا نُصيب أَثَامَا
فنبيحهُنَّ مرادَهنَّ يَرُدْنَهُ * فيما ادَّعيْنَ مَلاحةً ووَسَاما
ونُــكافئُ الآذانَ وهى خَفيقــة * إذ لا تَزالُ تُكابِدُ اللُّـــوَّاما
فنُثيبهُنَّ من الحديث مَثُوبةً * تَشْفى الغليلَ وتَكْشِفُ الأسقامَا
ونُكافِئُ الأفــواهَ عن كِتْمانها * إذْ لا يَزالُ لهـا الصُّماتُ لِجاما
فنبيحهُنَّ مَلاثمًــا ومَراشــفًا * ما ضَرَّها أنْ لا تَكُونَ مُداما
تَجْزِى الثَّـــلاثةَ أنصباءَ ثلاثةً * مقســـومةً آناؤهـا أقسـاما



*
* *

ومـــا قيل فى الفراق والبين ، قال بعض الكُتَّاب : فى الفراق مصافحــةُ التسليم ، ورجاءُ الأَوْبةِ ، والسلامةُ من المَلال ، وعمارةُ القلب بالشوق ، والدلالةُ على فضل المواصلة واللقاء .

قال شاعر :

جَزى الله يومَ البينِ خيرًا فإنَّهُ * أرانَا على عِـــلَّاتِه أُمَّ ثابت

وقال آبن الرومىّ :

فإذا كان فى الفِرَاقِ آعْتِناقٌ * جعَــلَ اللهُ كلَّ يوم فِراقَا

وقال أبو حفص الشطرنجىّ :

مَنْ يكُنْ يكْرَهُ الفِـــراقَ فإنّى * أشْـــتَهِيه لموضِـــعِ التَّسْلِيمِ

إنّ فيه آعْتِناقَةً لِفِـــراقٍ * وآنتظـارَ آعتناقةٍ لقُـــدومِ

وقال سيف الدولة بن حَمْدان :

راقَبَتْنِى العيونُ فِيــكَ فأشْفَقْـ * ـتُ ولم أخْلُ قطُّ من إشفاقِ

ورأيتُ العَــدُوّ يَحْسُــدنِى فيـ * ـكَ مُجِــدّا بأنْفَسِ الأعْلاقِ

فتمنَّيتُ أنْ تكونَ بَعِيدًا * والذى بَيْنَنا من الوُدّ باقِ

رُبَّ هَجْرٍ يكُونُ من خوفِ هَجْرٍ * وفِراقٍ يكُونُ خَوْفَ فِــراقِ

وأرى هذا كلَّه على سبيل التعلل ليس إلا، وإنما الفراقُ لاشكَّ فى إيلامه للقلوب.

قال بعض الشعراء :

فــلِمْ لا تُسْبَلُ العَــبَراتُ منى * ولسْتُ على اليقينِ من التَّلاقِى

فــلا وأبِيكَ ما أبصَرْتُ شيئًا * أمَرَّ على النُّفُوس من الفِــراق

وقال آخر :

يارَبِّ باعِدْ بينَ جَفْنِى والكَرى * ما دام مَنْ أهواهُ فى هِجْرانِى

إنّى لأخْشى أنْ أنامَ فألْتقِى * بخيالِه خَوْفَ الفِــرَاق الثانِى

وقال آخر :

فارقْتُه وبوُدّى لو تُفـارِقُنِى * رُوحُ الحيــاة وإنّى لا أُفارقُهُ

وقال أبو تمـام :

المَوتُ عِنْــدِى والفِــرا * قُ كِلاهُمـا ما لا يُطـاقُ
يَتَعـاوَنَانِ على النُّفُو * سِ فذا الحِمـامُ وذا السِّياقُ
لو لم يكُنْ هذا كذا * ما قيــل مَوْتٌ أو فِرَاقُ

وقال غريب بن سعيد شاعر "اليتيمة" :

أَلآنَ يومُ الفِراقِ قَسْــوَتَهُ * حتَّى جَرى دَمْعُه وما شَعَرا
خِلْتُ ما سالَ مِن مَدامِعِه * دُرًّا على وجْنَتَيْـهِ مُنْتَـــثِرا
لم يَبْكِ شَوْقا لكِنْ بكى جَزَعًا * لِهَوْلِ يومِ الفِراقِ إذْ حَضَرا
فى مَشْهَدٍ لو أطاقَ شاهِدُه * فيــه استِتارًا لوجهه سَــتَرَا
أَبَى أَساهُ وفيضُ أدْمُعِــه * الا اشْتِهارًا فى الحُبِّ فاشْتَهرا

وقال أحمد بن محمد بن عبد ربه :

هَيَّجَ البينُ دواعِى سَقَمِى * وكَسَـا جِسْمِىَ ثوبَ الأَلَمِ
أيُّهـا البَـيْنُ أقِلْنى مَرَّةً * فإذا عُدْت فقــد حَلَّ دَمِى
يا خَلِيَّ الرُّوعِ نَمْ فى غِبْطَةٍ * إنَّ مَنْ فارَقْتَــه لم يَنَمِ
ولقــدْ هاجَ لقَلْبِى سَــقَما * ذِكْرُ مَنْ لوشاء داوى سَقَمِى

وقال آخر :

بكَتْ وبكَيْتُ لوَشْكِ الفِراقْ * فقِفْ تَرَ مِنْ مَدْمَعَيْنا العَجَبْ
فذا فضَّـــةٌ فى عَقيقٍ جَرَى * وهــذا عقيقٌ جرى فى ذَهَبْ

وقال آخر :

قلتُ له والرَّقيبُ يُزْعِجُــه * مستَعْجِلًا للفِراقِ أيْنَ أنا
فَمَــدَّ كَفًّا الى ترائِبِـــه * وقال كُنْ آمنًـا فأنتَ هُنا .

وقال آخر :

قد قلتُ إذ سارَ السَّفِينُ به * والشَّوقُ يَنْهَبُ مُهْجتِى نَهْبَا
لو كانَ لِى مُلْكٌ أصُولُ به * "لَأخَذْتُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبَا"

وقال كُشاجِم :

مُزِجَتْ دُموعُ العين مِنِّى يومَ بانُوا بالدِّما
فكأنَّما مَزَجَتْ بخدِّى مُقْلتِى خَمْرا بما

وقال آخر :

لم أَنْسَ يومَ الفِراقِ مَوْقِفَها * وطَرْفُها فى دُمُوعِها غَرِق (٩٠)
وقولَها والرِّكابُ سائِرَةٌ * تَتْرُكُنا هكذا وتَنْطَلِقُ

ومنه ماقيل فى مفارقة الأصحاب :

لَمَّا رأيتُ مُصاحِبِي ومعاشِرِى * لِحَديد وُدِّى بالقطيعةِ مَزَّقَا
فارقْتُه وسَلَلْتُ من يَده يَدى * وقرأتُ لى وله : (وإنْ يَتَفَرَّقَا)

وقال آخر :

قالوا قَطعْتَ صديقَكَ البَرَّ الذى * منه استفَدْتَ مَكارِمَ الأخْلاقِ
فأجبتُهمْ بعضُ المَفَاصل رُبَّما * فسَدَتْ فتُقْطَع فى صَلَاح الباقى

وقال آخر :

ولقد شَكَرْتُ مُفارِقِى * إذْ ساءَ فى أخْلاقِهِ
لو كان أحْسنَ عِشْرتِى * لهلَكْتُ يومَ فراقِه

ومثله قول الآخر :

علَّمتْنِي بهَجْرِها الصَّبْرَ عنها * فهى مَشْكُورةٌ على التَّقْبيح
وأرادَتْ بذا قَبِيحَ فَعَالٍ * صنَعَتْه فكان عينَ المَلِيح

*
* *

ومـما قيل فى التوديع ، قال البحترىّ :

أقولُ له عِنْـــد تَوْدِيعِـهِ * وكُـلٌّ بعَــبرته مُبْلِسُ
لئن قعَدَتْ عنكَ أجسامُنَا * لقد سافَرَتْ معك الأنفُسُ

وقال أبو الطيب المتنبى :

يا راحلًا كلُّ مَنْ يودِّعُهُ * مُوَدِّعٌ دِينَــــه ودُنْيـاه
إنْ كان فيما نراهُ مِنْ كَرَمٍ * فيــكَ مَزِيدٌ فزادَكَ اللهُ

وقال البحترىّ :

ألم تَرَنِى يـــومَ فارقْتُـــهُ * أُوَدِّعُه والهــوى يَسْتَزِيدْ
أُوَلِّى إذا أنا ودَّعْتُــــهُ * فيغلِبُنِى الشوقُ حتّى أعُودْ

وقال أبو تمـام :

نَأْىٌ وَشِيكٌ وآنطلاقُ * وغَلِيلُ شَوْقٍ وآحْتِرَاقُ
بأَبِى فَـــتًى وَدَّعتُـــه * تاهتْ بصُحْبته الرِّفاقُ
بدرٌ يُضِىء لعاشِـقيـ * ـه فما يُطِيفُ به المِحَاقُ

وقال آبن زيدون :

وَدَّعَ الصـــبْرَ مُحِبٌّ ودَّعَكَ * حافظٌ من سِرِّه ما آستَوْدَعَكْ
يَقْـرَعُ السِّنَّ على أنْ لم يَكُنْ * زاد فى تِلْكَ الخُطَا إذ شَيَّعَكْ
يا أخا البَــدْرِ سَنَاءً وسَــنًا * حفظَ اللهُ زمانا أطْلَعَــكْ
إن يَطُلْ بَعْـــدَكَ ليلى فلَكَم * بِتُّ أشكُو قِصَرَ الليـلِ مَعَكْ

وقال أبو عبد الرحمن شاعر "اليتيمة" :

إذا دَهَاكَ الوداعُ فاصبر * ولا يُهولنَّك البعادُ
وانتظر العود عن قريب * فانَّ قلبَ الوَداع عادُوا

وقال آخر :

وَدَّعتُه حيثُ لا تُوَدِّعُهُ * رُوحى ولكنَّها تسير مَعَهْ
ثم تَوَلَّى وفى القُلُوب له * ضيقُ مجالٍ وفى الدموع سَعَهْ

وقال الإمام الصولى :

لو كُنْتَ يومَ الوَدَاعِ حاضِرَنَا * وهُنَّ يَشْكُونَ عِلّةَ الوجد
لم تَرَ إلا الدُّموعَ جاريةً * تَسْقُط من مُقْلةٍ على خَدِّ
كأنَّ تِلكَ الدُّموعَ قَطْرُ ندًى * يَقْطُر من نَرْجِسٍ على وَرْدِ

وقال أبو منصور أحمد بن محمد اللخمىّ :

وَقَفْتُ يومَ النوى منهم على بَعَدٍ * ولم أُوَدِّعْهُمُ وَجْدا وإشْفاقَا
إنِّى خَشِيتُ على الأظعان من نَفَسِى * ومن دُموعِىَ إحْرَاقًا وإغْرَاقا

وقال ٱبن نُبَاتة :

ولَمَّا ٱستَقَلَّتْ للرَّواحِ حُمُولُهُمْ * ولم يَبْقَ إلا شامِتٌ وغَيُورُ
وَقَفْنا فَمِن باكٍ يُكَفْكِفُ دَمْعَه * ومُلْتَزِمٍ قلبًا يَكادُ يَطِيرُ

وقال آخر :

ولَمَّا وَقَفْنا للوَدَاعِ وقَلْبُها * وقَلْبِي يَبُثَّان الصَّبابَةَ والوَجْدا
بكَتْ لُؤلؤًا رَطْبًا ففاضَتْ مَدَامِعِي * عقيقًا فصار الكُلُّ فى نَحْرِها عِقْدا

وقال آخر : (٩١)

وَدَّعتُهـا ولهيبُ الشَّوقِ فى كَبِدِى * والبَيْنُ يُبعِـدُ بينَ الرّوحِ والجَسَـــدِ

وَدَاعَ صَبَّيْنِ لم يُمكنْ وَدَاعُهما * إلا بلَحْظة عَـــيْن أو بنَانِ يَدِ

وحاذَرتْ أعيُنَ الواشينَ فانصرفَتْ * تَعَضُّ من خوفِها العُنَّابَ بالـــبَرَدِ

وكان أوّلُ عَهْـــدِ العينِ يوم نأَتْ * بالدّمعِ آخرَعهـــدِ القَلْب بالجَـــلَدِ

وقال الهيثم الكلاعىّ من شعراء " اليتيمة " :

ولم أنْسَها يـــومَ الوَدَاعِ ومَشْيَها * بوادِرَ دَمْعِ العَـــيْنِ والعَيْنُ تَذْرِفُ

أفانِينُ تَجْـــرى من دُموعٍ ومن دَمٍ * على الخـــدِّ منهـا تَسْتَهِلُّ وتَرْعُفُ

وتكرارَنا نَجْوى الهوى ذاتَ بَيْنِنـا * وكُلٌّ إلى كُلٍّ يلِينُ ويَعْطف

جعَلْنـا هُناكَ الهَجْـــرَ مِنَّا بجانبٍ * وللبَيْنِ داعٍ بالتَّرحُّـــلِ يهْتِفُ

ولولا النوى لم نَشْكُ ضَعْفا عن الأَسى * ومَنْ يحمِـــلُ الأشجانَ بالبَيْنِ يَضْعُفُ

فقلتُ كِلَانَا مُثقَـــلٌ من صَـــبَابةٍ * ولكنَّنى عن حَمْلِها مِنْـــكِ أضْعَفُ

وقال الظاهر البصرىّ :

نَفسِى الفِـــداءُ لمن جاءَتْ تُودِّعُنِى * يومَ الفِـــراقِ بقَلْبٍ خائفٍ وجِلِ

قد كنتُ فارقتُ رُوحى يوم فُرقتِهـا * لكن حَيِيتُ بطيبِ الضَّمِّ والقُبَـــلِ

وقال يزيد بن معاوية :

جاءتْ بوجْهٍ كأنَّ البدرَ بَرْقَعَهُ * حُسْنا على مِثل غُصْنِ البانةِ الثَّمِلِ

إحْدى يَدَيْهَـا تُعاطِيـــنِى مُعتَّقَـــةً * كَخـــدِّها عَصْـفرتْه حُمرةُ الخَجَـــلِ

ثُمَّ آستبدّتْ وقالت وهْىَ عالمـــةٌ * بمـا تقول وشمسُ الكأس لم تَفِـــلِ

لا ترحَلَنَّ فمـا أبقيْتَ لى جَـــلَدا * ممـا أُطيق به تَوْدِيعَ مُرْتَحِـــلِ

ولا مِن الصبرِ ما ألقَى الفِـــراقَ بِهِ * ولا من الدَّمـــعِ ما أبْكِى على طَلَلِ

ومن الناس من كره الوداع، وفى ذلك يقول البحترىّ :

اللهُ جارُك فى ٱنطِلاقِكْ * تِلقاءَ شامِكَ أو عِراقِكْ
لا تَعْـذُلَنِّى فى مَسِيـ * ـرى يومَ سرت ولم أُلاقِكْ
إنّى خَشِيتُ مَواقِفًا * للبَيْنِ تَسْفَحُ غَرْبَ ماقِكْ
وعلمتُ أنّ بُكاءنَا * حسبُ ٱشتياقى وٱشتِياقِكْ
وذكَرْتُ ما يَجِدُ المُوَدِّ * عُ عند ضَمِّكَ وٱعتناقِكْ
فتَركْتُ ذاكَ تعمُّدًا * وخرجتُ أهْرُبُ من فراقِكْ

وقال آخر :

الله يعلَمُ ما تَركْت وَداعَهُ * ولقد جَزِعْت لبُعْده وفِراقِهِ
إلا مخافةَ أنْ يُذيبَ فُؤادَهُ * ما فى فُؤادِى منه عندَ عِناقِهِ

وقال آخر :

إنّ تَرْكِى فَضِيلةَ التَشْييعِ * لاجتِنابِى مَشَقَّةَ التَّودِيعِ
ما يَفِى أُنْسُ ذا بوَحْشَةِ هذا * فرأيتُ الصَّوابَ تَرْكَ الجميعِ

وقال آخر :

ما تركْتُ الوَداعَ يومَ ٱفترقْنا * عن مَلالٍ ولا لوجهٍ قَبِيحِ
أنتَ رُوحى على الحقيقةِ ما زِلْـ * ـتَ وما ٱخترْتُ أن أُوَدِّعَ رُوحى

***

وممّا قيل فى الصدّ والهِجْران، قال أبو عُبادة البحترىّ :

هَجَرَ الحبيبُ فمُتُّ من شَغَفٍ * لمّا حُرِمْتُ عَزِيمةَ الصَّبْرِ
فاذا قضَيْتُ فنادِ يا حَزَنِى * هذا قَتِيلُ الصَّدِّ والهَجْرِ
والبدرُ فى حِلٍّ وفى سَعَةٍ * من سَفْكِه دمَ عَبْدِهِ الحُرِّ

وقال ابن مَيَّادة :

كانُوا بَعِيــدًا فكنتُ آمُلُهُمْ * حتَّى اذا ما تقارَبوا هَجَــرُوا
فالبُعْــدُ منهم على رجائِهِــمُ * أنفَعُ من قربهــم اذا هَجَرُوا

(٩٢) وقال أبو الحسن أحمد بن عمر النهروانىّ :

على قَلْبِى الاحِبَّــةُ بالـتّــمادِى فى الهوى غَلَبُوا
وبالهِجْــران من عينِّى طِيبَ النومِ قد سَلَبُوا
وما طَلَبُوا سِوى قتــلى * فهانَ عَلَىَّ ما طَلَبُوا

ولمــا سمع الشيخ العالم صدر الدين محمد بن الوكيل هذه الأبيات عارضها وأنشدنى لنفسه فى صَفَر الأغرِ الميمون سنة ثلاث عشرة وسبعمائة :

لَئِنْ غَلَبُــوا على عَقْلِى * لقــد سَلَبُوا لِمَنْ غَلَبُوا
وإنْ أبكِى تبسُّمُهُمْ * فخُلَّبَ بَرْقِهِـــمْ خَلَبُوا
وإن تَزْجُ العيونُ فَقَدْ * اليها السُّهْدَ قــد جَلَبُوا
وإنْ عطَفُوا بِرِقَّتِهِــم * فــدَرَّ مَدامعى حَلَبُوا

* * *

وممــا قيل فى الزيارة ، قال الوزير أبو عبد الله بن الحدّاد :

اذا جاءَنِى زائرا حُسْـــنُهُ * أقامَ عليه رَقِيبــا عَتِيــدَا
اذا ما بَدَا سَرْبَلَتْهُ العيونُ * وخَرَّتْ وُجُوهٌ اليه سُجُودَا
هو البَدْرُ والغُصْنُ خَدًّا وقَدًّا * كما أنه الظَّبْىُ لَحْظا وَجِيدَا
أتى زائرا وفُؤادِى خَلِىٌّ * فمرَّ به مُسْــتَهاماً عَمِيــدَا
وغادَرَنِى بعْدَه فى غَرَام * تضَرَّمَ بين ضُــلُوعى وَقُودَا

وقال نصير الخُبْزأَرُزّى، شاعر "اليتيمة" عفا الله عنه :

خَلِيلَىَّ هَـلْ أبصَرْتُما أو سَمِعْتُما * بأكْرَمَ من مَوْلًى تَمَشَّى الى عَبْدِ
أتى زائرًا مِن غَيْرِ وَعْدٍ وقال لى * أُصُونُكَ عن تعليق قَلْبِك بالوَعْدِ

وقال الواوا الدمشقى :

زارَ بليلٍ على صَـباحٍ * على قَضِيبٍ على كَثِيبِ
حتّى أتت أَلْسُنُ الليالِى * مُعْتَذِراتٍ من الذُّنُوبِ
فيالَهَا زَوْرَةً أخَـذْنا * بها أمانًا من الخُطُوب

وقال أبو عبد الله الحدّاد :

يا زائرًا مَـلأَ النَّـواظِرَ نُورا * والنَّفْسَ لَهْـوًا والفُؤادَ سُرورا
لو أسْتَطِيعُ فرشْتُ كلَّ مَسَالِكى * حَدَقًا و بِيضَ سَوَالِفٍ ونُحورَا

وقال آخر :

أهْـلًا وسَهْلًا بطارِقٍ طَرَقَا * أحببْتُ فيـه السهادَ والأرَقَا
زارَ على غَفْـلةِ الرقيب و يُمْـ * ـناه تُدارى وِشاحَـه القَلِقَـا
فبِتُّ منـه مُعانِقًا صَـنَمًا * يَنْفَحُ مِسْكًا وعَنْـبرًا عَبِقَـا
لو شِئْتُ أنشأْتُ من ذَوائِبِه * لَيْـلًا ومِن نورِ وجْهِه فَلَقَا

وقال أبو عبد الله الحامدىّ من شعراء "اليتيمة" :

مُشتاقةٌ طَرَقَتْ فى الليـل مُشْتاقَا * أهلًا بمَنْ لم يَخُنْ فى العَهْـدِ ميثاقَا
أهْلًا بمن ساقَ لِى طَيْفَ الأحِبّة فى * ليـلِ الدُّجُنَّة بل أهْلًا بمـا ساقَا
يازائرًا زارَ من قُرْبٍ على بَعَدٍ * آنسْتَ مستوحِشًا لا ذُقْتَ ماذاقَا
اللهُ يعْـلَمُ لو أنى آسـتَطَعْتُ لقد * فرشْتُ مَمْشـاكَ آماقًا وأحْـداقا
يالَيْـلُ عَرِّجْ على إلفَيْنِ قدجَعَلا * عَقْدَ السواعِدِ للأعنـاقِ أطْواقَا

وقال مؤيد الدين الطغرائىّ :

وزائرةٍ وافتْ فأجلَلْتُ خَـدّها * وقبَّلتُ إكراما لموْرِدِها الأرضَا
فيا زَوْرةً جاءتْ على غيرِ موْعِدٍ * فقرَّتْ عُيونٌ وآشتفَتْ أنفُسٌ مَرْضى
فَلَمْ أرَ إلّا ما ألَذُّ وأشْتَهِى * ولم أرَ إلّا ما أوَدّ وما أرضى
على أنّها وَلَّتْ ولم أَقْضِ سُنَّةً * من الوَطَر المطُول دَهْرا ولا فرضَا
وما سوّغَتْنا ليلةَ الوصلِ قرْضَها * الى أنْ بَدَا الإصْباحُ يَسْتَرْجع القَرْضا

وقال آبن سكَّرة من شعراء "اليتيمة" :

أهْلًا وسَهْلًا بمَنْ زارتْ بلا عِدَةٍ * تحْت الظلامِ ولم تحْذَرْ من الحَرَسِ
تسترَّتْ بالدُّجى عمدا فما آستَتَرَتْ * وباتَ إشراقُها لَيْلًا على قَبَسِ
ولو طَوَاها الدُّجى عنَّا لأظهرَها * برقُ الثَّنايا وعطْرُ النَّحْرِ والنَّفَسِ

* * *

ومما قيل فى تخفيف الزيارة وموانعها. قال شاعر الحماسة : (٩٣)

ولَمّا رأيتُ الكاشحِينَ تَتَبَّعُوا * هوانَا وأبْدَوْا دُوننا نَظَرا شَزْرا
جعَلتُ ومابى من جَفاءٍ ولا قِلًى * أزورُكُمُ يومًا وأهْجُرُكُمْ شَهْرا

وقال مسلم بن الوليد :

أقْلِلْ زيارتَكَ الصَّديـ * ـق يَراكَ كالثَّوبِ آسْتَجَدَّهْ
إنَّ الصَّديق يُمِلّه * ألّا يَزَال يَراكَ عِنْدَهْ
إلّا الكرامَ ذَوِى النُّهى * إنَّ الكريمَ يُدِيمُ عَهْدَهْ

وقال آخر :

اذا ما كَثُرتَ على صاحبٍ * وقد كان يُدْنِيك من نَفْسِهِ
فلا بُدّ من مَلَلٍ واقِعٍ * يُغَيِّر ما كان مِنْ أُنْسِهِ

وقال آخر :

لئِنْ تأخرتُ عن مَفْروضِ خِدْمَتِكُمْ * تجشُّما ، فضَـــمِيرِى غير مُتَّهَـــمِ
ســـعى وِدادِى إليـــكُمْ بالوفاءِ لكم * والسَّعىُ بالقَلْب فوقَ السعْيِ بالقَدَمِ

وقال آبن المعلم :

لم أَطْوِ بَحْرَ نَداكَـ مع قُرْبِـقِلّى(١) * إلا مَخـافةَ مَوْجِهِ المُتراكب
وعَلِمْتُ أنّى إنْ أتيْتُـــكَ زائرًا * ثَقَّلتُ والتثقيلُ ليس بواجب

وقال المعوّج :

ثلاثةٌ منعتْهـا من زيارَتِنـا * وقد طوى الليلُ جَفْنَ الكاشِحِ الحَنِق
نُورُ الجَبِين ووَسْـــوَاسُ الحُلِىّ وما * يَمسُّ أردانَهـا من عَنْبَرٍ عَبِق
هَب الجَبِينَ بفَضْلِ الثوبِ تسْتُره * والحَـــلْىَ تَنْزِعه ما الشأْنُ فى العَرَق

وقال أبو فراس الحمدانىّ :

لقـــد نافَسَنِي الدّهْرُ * بتأخيرى عن الحَضْرهْ
فَمـا ألْقى من العِـلةِ * ما ألقى من الحسرَهْ

ومنها التأخر عن عيادة المرضى ، قال آبن زُرَيق الكوفىّ الكاتب :

يامَرِيضًـا لِسُـقْمِهِ * مَرِضَ العِـلْمُ والوَفا
لم يَكُنْ تَرْكىَ العيا * دةَ هَجْـــرًا ولا جَفَا
لم أُطِقْ أنْ أراكَ يا * أكرمَ الناس مُدْنفا
طالَ خَوْفِى عليك والـ * ـحمدُ للهِ إذ كَفَى

---

(١) لم أطو بحر نداك : لم أنزل به يقال طوى المسافر منزلا الى منزل أى لم ينزل به .

وقال آخر :

مَنَعَتْنِي عليــكَ رِقَّةُ قَلْبِي * من دُخُولِى عليكَ فى العُوّادِ
لو بأُذْنِى سمعتُ منكَ أنِينًا * لتَفَــرّى على الأَنِينِ فؤادى

وقال آخر :

فواللهِ ليْسَ انقطاعِى جَفًا * وفى كَبِدِى منك نارٌ تشبُّ
ولكنّنى قَطُّ لا أشْــتَهِى * أرى مَنْ أُحبُّ كما لا أُحبّ

⁂

ومما قيل فى المدامع، قال العسكرىّ : أبلغُ ما قيل فى امتلاء العين من الدمع قولُ بعض الأعراب :

فَظَلْتُ كأَنِّى من وَراءِ زُجاجةٍ * الى الدَّار من فَرْط الصَّبابة أنظُرُ

وقال البحترىّ :

ويحسُنُ دَلُّها والموتُ فيـــه * وقد يُسْتَحْسَنُ السيفُ الصَّقِيل
وَقَفْنــا والعُيونُ مُثَقَّــلاتٌ * يُعَالِجُ دَمعَها طَــرْفٌ كَلِيـــلُ
نَهَــتْهُ رِقبَــةُ الواشينَ حتَّى * تعلّق لا يَغيضُ ولا يَســيلُ

وقال السرىّ :

بنفسِى مَنْ رَدَّ التحيــةَ ضاحكًا * فجدّدَ بعد اليأسِ فى الوَصْلِ مَطْمَعِى
اذا ما بَدَا أبدى الغَــرامُ سرائِرِى * وأظهَرَ للعُذَّالِ ما بينَ أضْلُعِى
وحالَتْ دُموعُ العينِ بيْنِى و بَيْنَه * كأنَّ دُموعَ العينِ تَعْشَقُه مَعِى

وقال الصولىّ :

قد كانَ فى طُولِ البُكاءِ راحةٌ * وعِنَــانُ سِرِّى فى يَدِ الكِتْمانِ
حتَّى اذا الإعْلانُ نَبَّــه واشِيًا * رقَأَتْ دُموعى خَشْــيَةَ الإعْلانِ

وقال بشار :

ماءُ الصَّبابةِ نارُ الشَّوقِ تَحْدِرُه * فهل سَمِعتُم بماءٍ فاضَ من نار

وقال أبو هلال العسكرىّ :

أشكو الهوى بدُموعٍ قادها قَلَقٌ * حتّى عَاقْنَ بجَفْنٍ ردَّها الفَرَقُ

فى الفُؤادِ سَبِيلٌ للأسى جَدَدٌ * وفى الجُفُونِ مَقِيلٌ للكَرى قَلِقُ

لَهيبُ قلبى أفاضَ الدَّمْعَ من بَصَرى * والعُودُ يَقْطُر ماءً وهو يَحْتَرِقُ

وقال الصولىّ : أنشد أبو الحسن بن رجاء المبرّد يوما بيتَ ذى الرّمّة :

"لعَلَّ انْحِدارَ الدمع يُعْقِب راحةً * من الوَجْدِ أو يَشْفِى شَجِىَّ البَلابِل"

وقال : من قال فى مثله فقد ملح .

وقال الحسن بن وهب :

اِبْكِ فما أَكْثَرَ نَفْعَ البُكا * والحُبُّ إشفاقٌ وتَعْلِيل

اِفْزَعْ اليه فى ازْدِحام الجوى * ففيه مَسْلاة وتَسْهِيل

وهو اذا أنت تأمّلتَه * حُزْنٌ على الخدّيْنِ مَحْلُول

وقال العباس بن أحمد بن الأحنف :

إنّى لأَجْحَدُ حُبَّكم وأُسِرُّه * والدمعُ مُعْتَرِفٌ به لم يَجْحَدِ

والدمعُ يشهدُ أنّنى لكِ عاشِقٌ * والناسُ قد علمُوا وان لم يَشْهَدِ

(٩٤)

وقال آخر:

فلا تُنْكِرَنْ لَوْنَ الدُّموعِ فإنّما * يُبَيِّضُها تصعيدُها من دَمِ القَلْبِ

وقال العسكرىّ :

آفةُ السِّرِّ من دُمُو * عٍ دَوامٍ دوامِعِ

كيفَ يخفى مع الدُّمُو * عِ الهوامِى الهوامِعِ

ما رأينا أخَا هَــوًى * سِرُّه غـــيْرُ ذائِــع
إنّ نِيران حُبِّــه * باديَاتُ الطلائِــع

وقال خالد الكاتب :

بكَيْتُ دمًا حتَّى بقِيتُ بلا دَمٍ * بُكاءَ فَتًى فردٍ على شَجَنٍ فَرْدِ
أأبْكِى الذى فارقْتُ بالدمع وحدَه * لقد جَلَّ قدرُ الدمعِ فيه إذًا عندى

وقال آخر :

غدَتْ بأحِبَّتى كُومُ المَطَايَا * فبانَ النومُ وامتَنَع القَــرَار
وكان الدَّمْعُ لى ذُخْرًا مُعَدًّا * فأنفقْتُ الذخِيرةَ يومَ ساروا

وقال آخر :

طالَ عَهْدِى بها فلمَّا رأتْنِى * نظَمَتْ لُــؤلؤا على تُفَّــاحِ

وقال آخر :

إذ لا جَوابَ لمُفْحَمٍ متحيِّرٍ * الا الدموعُ تُصانُ بالأطْرَافِ

وقال آخر :

تقول غَداةَ البيْنِ عِنْــد ودَاعِها * لِىَ الكَبِدُ الحَرّى فسِرْ ولكَ الصَّبْرُ
وقد ســبقَتْها عَبْرَةٌ فدمُوعُهــا * على خدّها بِيضٌ وفى نحرها حُمْرُ

معناه أن الدّموع اذا انحدرت الى نحرها احمرَّت من الطِّيب .

قالوا : وأحسن ماقيل فى صفة الدّموع اذا امتزجت بالدماء قول أبى الشِّيص :

لَهَوْنَ عن الإخوانِ اذ سَفَرَ الضُّحى * وفى كَبِــدِى من حَرِّهِنّ حَرِيقُ
مزجْتُ دَمًا بالدّمْع حتَّى كأنّمـا * يُذابُ بعيْــنِى لؤلُؤٌ وعَقِيــقُ

وقول أبى تمــام :

نثَرَتْ فَرِيدَ مَدامِــعٍ لم تُنْظَمِ * والدمعُ يَحْمِلُ بعضَ ثِقْلِ المُغْرَمِ
وَصَلَتْ نجيعا بالدُّموع نخدُّها * فى مثل حاشِــيَةِ الرِّداءِ المعلم

ومن أجود ما قيل فى بياض الدمع على حمرة الخدّ قول الصولىّ :

كأنَّ تلك الدُّموعَ قَطْرُ ندًى * يَقْطُرُ من نَرْجِس على وَرْد

وهى أبيات تقدّمت فى التوديع .

ونحوه قول ابن الرومىّ :

لَمَّا دَنَا البيْنُ وزاحَ الدَّلُّ * ودّعتْهـا ودمعُها منهَلُّ
وخدُّها من قَطْره مخضَلُّ * كانه وَرْدٌ عايــه طَلُّ

وقال آخر :

كأنَّ الدُّموعَ على خَدّها * بَقيَّــةُ طَلٍّ على جُلَّنار

* * *

وممـــا قيل فى الرضا من المحبوب باليسير ، فمن ذلك قول حُمَيد بن ثور :

أُقَلِّبُ طَرْفى فى السماء لعــلَّه * يُوافقُ طَرْفِى طَرْفَها حين تَنْظُر

ومثله قول ابن المَعْلُوط :

أليس اللَّيلُ يجمع أمَّ عمرو * وإيَّانا فذاكَ لنــا تدانِى
بلى وأرى السماء كما تَرَاها * ويَعْــلُوها النهارُ كما عَلَانِى

وقال جميـــل :

وإنى لأَرْضى منــكِ يابثن بالَّذِى * لو ٱستَيْقَن الواشى لَقَرَّتْ بَلابِلُهْ

بِلَا وبأنْ لا أَســتطِيع وبالمُنى * وبالأملِ المكذوب قد خابَ آملُهْ
وبالنَّظْرة العَجْلى وبالحول ينقضى * أواخِـــرُه لا نلتَـــقى وأوائِـــلُهْ

وقريب منه قول الآخر :

يَودُّ بأنْ يُمْسى سقِيما لعلَّها * اذا سَمِعَتْ منه بشَكْوى تُراسِلُهْ
ويهتزُّ للمعروف فى طَلَب العُــلا * لتُحْمَدَ يومًا عند سَلْمى شمائِلُهْ

أخذ العسكرىّ المعنى فقال :

وقلتُ عساها إن مَرِضْتُ تعودُنِى * فأحبَبْتُ او أنِّى غَدَوتُ مَرِيضا
وزِدتُ ٱتِّســاعا فى المَكارِمِ والعُلا * ليُصْبِحَ جاهى عنــدهُنَّ عَرِيضا

وقال أبو الفضل بن عبد العزيز :

يامَنْ هَجَـــرتَ فلا تُبالِى * هل تَرْجِع دولةُ الوِصالِ
هل أطمَعُ ياعذابَ قلبى * أن يَنْعَم فى هـــواكِ بالِى
الطَّرْف كما عَهِدْتِ باكٍ * والجســمُ كما تَرَيْنَ بالى
ما ضَرَّكِ أنْ تعلِّلِينى * فى الوصْل بموعد المُحَالِ
أهْواكِ وأنت حَظُّ غيرى * يا قاتِلتِى فما ٱحْتيـالى

⁂

ومـا قيل فى النحول، فمن ذلك قول المتنبى : (٩٥)

أبْلى الهَوى أسَــفًا يومَ النَّوى بَدَنِى * وفَرَّقَ الهَجْرُ بين الجَفْن والوَسَنِ
رُوحٌ تَرَدَّدُ فى مثْـــل الخِلاَل اذا * أطارَت الريحُ عنه الثوبَ لم يَبِنِ
كفى بجِسْمى نُحُـــولا أننى رجلٌ * لولا مُخَاطبـــتِى إيَّاكَ لم تَرَنِى

وقال آخر :

أُسَرّ اذا بُلِيتُ وذاب جِسْمِى * لعـــلَّ الريحَ تَحْمِلُـــنى إليـــهِ

وقال ابن المعتز :

ماذا تَرى فى مُدْنَفٍ * يَشْكُوك طُولَ سُقْمِه
أضـنَيْتَه فمـا يطِيـ * ـق ضَعفُه حمـلَ ٱسْمِه
ولا يَـرَاك عائدًا * إلا بعيْنِ وَهْمِه

وقال كُشَاجم :

وما زَال يَبْرِى أعظُمَ الجسم حبُّها * ويَنْقُصها حتَّى لَطُفْنَ عن النَّقْص
فقد ذُبْتُ حتَّى صِرْتُ لو أنا زُرْتُها * أمنْتُ عليها أنْ يَرَى أهلُها شَخْصى

ومن أبلغ ما قيل فى ذلك قول ديك الجنّ :

أنْحَلَ الوجْدُ جِسْمَهُ والحنينُ * وبَرَاه الهوى فما يَسْتَبِينْ
لم يَعِش أنَّه جليـدٌ ولكن * دَقَّ جِدًّا فما تَراه المَنُـونُ

وقال نصير بن أحمد :

أنْحَلَـنِى الحُبُّ فلو زُجَّ بِى * فى مُقْلَةِ النـائم لم يَنْتَبِـهْ
وكانَ لى فيما مَضى خاتَمٌ * واليوم لو شِئْتُ تمَنْطَقْتُ بِهْ

وقال الحسن بن وهب :

أبْلَيْتَ جسْمِى من بَعْدِ جِدَّتِه * فمـا تكادُ العيونُ تُبْصِرُهْ
كأنه رَسْـمُ مَـنْزِلٍ خَلَقٍ * تَعْرِفُه العينُ ثُمَّ تُنْكِرُهْ

* * *

ومما قيل فى المحبوب اذا ٱعتلّ، قال العباس بن الأحنف :

زعمـوا لى أنَّها صارَتْ تُحَمْ * ٱبتـلى الله بهذا مَنْ زَعَمْ
ٱشتَكَتْ أكْمَل ما كانَتْ كَمَا * يُكْسَفُ البَدْرُ إذا ما قِيل تَمّ

وقال أحمد بن إسحاق الطالَقانىّ :

لقد حلّت الحُمّى بساحةِ خَدّهِ * فأبدلَتِ التُّفّاح بالسَّوْسَنِ الغَضّ

قال أبو هلال العسكرىّ : والأصل فى ذلك قول عبد بنى الحسحاس . ونقل فى كتابه ديوان المعانى بسند رفعه قال : كتب عبد الله بن عامر إلى عثمانَ بنِ عفّانَ رضى الله عنه : إنى آشتريت لك عبدا حبشيا شاعرا، فكتب إليه عثمان : لا حاجة لى فيه، فان قُصارى الشاعر منهم أن يهجو أعراضهم و يشبب بكريمتهم ، فاشتراه بنو الحَسْحاس، فرئى يوما وهو ينشد :

ماذا يُرِيدُ السَّقامُ من قَمَـرٍ * كلُّ جمالٍ لوجهِه تَبَـعُ
ما يَبْتغى ــ خابَ ــ من محاسنه * أما لَهُ فى القِباح مُتَّسَـعُ
غـيَّر مِنْ لَوْنه وصَـفَّرَ ما * وَرَّدَ منـه الجمالُ والبِـدَعُ
لو كان يَبْغِى الفِـداءَ قيل له * ها أنا دُونَ الحبيبِ يا وَجَـعُ

ثم يقول لنفسه : أحسَنْتَ والله يريد أحسَنْتَ . وكان العبد كما حدّس عثمانُ، فما زال يهجو مواليَه و يشبِّب بنسائهم حتّى قتلوه . فضحِكتْ منه آمرأة وقد ذهبوا به ليقتُلُوه فقال :

فانْ تَضْحكى مِنّى فيارُبَّ ليلة * جعلْتك فيها كالقَباء المفرَّجِ

وقال لهم :

فلقد تحدَّر من جَبِينِ فتاتِكمْ * عَرَقٌ على ظَهْرِ الفراش وطيبُ

وهو الذى مدح نفسه بقوله :

إن كنتُ عبداً فنفسِى حُرَّةٌ كَرَما * أو أسودَ اللونِ إنى أبيضُ الخُلُقِ

ولم أورد هذه الواقعة هنا لأنه موضعها من كل وجه، وإنما الشىء بالشىء يذكر.

وقال شاعر :

لو لم تكن حماه مشغوفة * تعشقه طورا وتهواه
ما عانقت إذ أقبلت جسمه * وقبلت إذ فارقت فاه

وقال آخر :

لو كان كل مريض * يزداد مثلك حسنا
لكان كل صحيح * يود لو كان مضنى

وقال محمد بن العباس الخوارزمى من شعراء " اليتيمة " :

ولى من أم ملدم كل يوم * ضجيع لا يلذ له منام
مقبلة وليس لها ثنايا * معانقة وليس لها التزام
كأن لها ضرائر من غذائى * فيغضبها شرابى والطعام
إذا ما صافحت صفحات جسمى * غدا ألفا وأمسى وهو لام (٩٦)

✣

ومما يناسب هذا الفصل ما قيل فى شرب الدواء، فمن ذلك قول أبى تمام :

أعقبك الله صحة البدن * ما هتف الهاتفات فى الغصن
كيف وجدت الدواء أوجدك الله * شفاء به مدى الزمن

وقال ابن حجاج :

يا من به تتباهى * مجالس الخلفاء
ومن تقصر عنه * مدائح الشعراء
يا سيدى كيف أصبحـ * ـت بعد شرب الدواء
خرجت منه تضاهى * فى الحسن بدر السماء
فى ثوب صحة جسم * مطرز بالشفاء

*
* *

ومما قيل على لسان الورقاء . وكل مطوّقة عند العرب حمامة كالدُّبْسِىّ والقُمْرِىّ والوَرَشَانِ وما أشبه ذلك ، و جمعها حَمَامٌ ؛ يقال للذكر والأنثى منه حمامة ، والحمامة تَبْكِى ، وتُغَنِّى ، وتَنُوح ، وتُغَرِّد وتَسْجَع ، وتُقَرْقِر ، وتَتَرَنَّم . و إنمـا لهـا صوت سجيع لا يُفْهم ، فجعله الحزينُ بكاءً ، والطَّرِبُ غِناءً .

قال حميد بن ثور :

مطوّقةٌ خَطْبـاءُ تَسْـجَع كُلّمـا * دنَا الصيفُ وٱنزاح الربيعُ فأنجَمـا
تغَنَّتْ على غُصْنٍ عِشاءً فـلم تَدَعْ * لنائحــةٍ فى نَوْحِهـا متَـلوَّمَا
فلم أرَ مِثْــلِى شاقَهُ صوتُ مِثْلِهـا * ولا عَرَبِيًّـا شاقَهُ صـوتُ أعْجَما

وقال مجنون بنى عامر :

ألَا يا حماماتِ اللِّوى عُدْنَ عُدْوَةً * فإنِّى إلى أصواتِكُنَّ حَزِينُ
فعُــدْنَ فلمَّـا عُدْنَ كِدْنَ يُمِتْنَنِى * وكِدتُ بأســرارٍ لهُنّ أُبِينُ
فــلم تَرَ عَيْنِى مثلَهُنَّ حمائمًـا * بكَيْنَ ولم تَدْمَعْ لهنّ عُيُــونُ

وقال أبو الأسود الدؤلىّ :

وساجع فى فُروعِ الأَيْكِ هَيَّجَنِى * لَمْ أدْرِ لِمْ نَاحَ ممَّـا بِى ولِمْ سَجَعا
أباكيًا إلْفه مِن بعدِ فُرْقتِـه * أمْ جازِعًا للنَّوى من قَبْلِ أن يقَعَا
يَدْعُو حمـامَتَه والطـيرُ هاجِعةٌ * فمـا هَجَعْتُ له لَيْــلِى وما هَجَعا
شَكَاالنَّوَى فبكى خَوْفَ الأَسى فرمى * بيْنَ الجَـوانِح من أوجاعِه وَجَعا
كأنَّه راهبٌ فى رأْسِ صَوْمعـــةٍ * يتـلُو الزَّبُورَ ونجمُ الصُّبْحِ قد طَلَعا

وقال جحدر العكلي :

وقِدْمًا هاجني فازددتُ شوقا * بُكاءُ حمامتين تجاوبان
تجاوبتا بلحنٍ أعجميٍّ * على عودين من غَرْبٍ وبانِ
فكان البانُ أن بانت سُلَيمى * وفى الغَرْب اغترابٌ غير دانِى

وقال عوف بن مُحلِّم :

ألا يا حمامَ الأيكِ إلفُك حاضر * وغُصنُك ميّادٌ ففيم تنوح

وقال ابن عبد ربه من أبيات :

وكيف ولى قلبٌ اذا هبّت الصَّبا * أهاب بشوقٍ فى الضلوع دفينِ
ويهتاجُ منه كُلّ ما كان ساكنًا * دعاءُ حمامٍ لم تَبِتْ بوكون
وإنّ ارتياحى من بُكاءِ حمامةٍ * كذى شَجَنٍ داويتَه بشجونِ
كأنّ حمام الأيك لمّا تجاوبت * حزينٌ بكى من رحمةٍ لحزين

وقال ابن قلاقس :

غِناءُ حمامٍ فى معاطِف بانِ * الى مذهب الحُبّ القديم ثنانِى
تغنّى فأعطافُ الغصونِ رواقصٌ * وأحداقُ أزهارِ الرِّياض روانِى
فذكّرنى شرخَ الزمانِ فمدمعى * سَفُوحٌ وقلبى دائمُ الخفقانِ

وقال أعرابىّ :

وقبلىَ أبكى كُلَّ مَنْ كان ذا هوًى * هتوفُ البواكى والديارُ البلاقعُ
وهُنّ على الأغصانِ من كُلِّ جانبٍ * نوائحُ ما تخضَلُّ منها المدامعُ

وقال فتح الدين بن عبد الظاهر :

نسبَ الناسُ للحمامةِ حُزنًا * وأراها فى الحُزنِ ليست هنالكْ
خضبتْ كفَّها وطوّقت الجيـ * ـدَ وغنّتْ وما الحزينُ كذلكْ

وقال ابن الرومىّ :

أَشْجَتْكَ داعِيَـــةٌ مع الْإِشراقِ * هتفَتْ بساقٍ من ذُؤابةِ ساق
أيْكِيَّــةٌ تدعُو — ولم أر باكِيًا * رَيْبَ الزمانِ — قرِينَها لِفراق
تَبْدُو أواميتُ(١) الشَّجَى فى صَوتِها * وتُرى عليهـا أنّة الإطـــراق .
لو تَسْتطِيعُ تسلَّبتْ من طَوْقِها * لو كان مُنْتحَلًا من الأطْواق

* * *

ومما قيل فى المراجعات، فمن ذلك قول وضّاح اليمن :

قالَتْ ألَا لا تَلِجَنْ دارَنَا * إنَّ أبانَا رجُـــلٌ غائِرُ
أما رأيتَ البابَ من دُونِنا * قلتُ فإنِّى واثِبٌ طافِــرُ
قالت فان القَصْرَ من دُونِنا * قلتُ فإنِّى فوقَهُ ظاهِـــرُ
قالت فإنَّ الليثَ عادٍ(٢) به * قلت فسيْفِى مُرْهَف باتِرُ
قالت فهذا البحْرُ ما بيْنَنَـا * قلت فإنِّى سـابِحٌ ماهِرُ
قالت أليس اللهُ من فَوْقنا * قلت بـــلى وهو لنـا غافِرُ (٩٧)
قالت فإمَّا كُنْتَ أعيَيْتَنَا * فأْتِ اذا ما هَجَعَ السَّامِرُ
واسقُطْ علينا كسُقُوطِ النَّدى * ليـــلةَ لا ناهٍ ولا زاجِـــرُ

وقال المؤمل بن أميل :

وطارقاتٍ طَرَقْنــــنى رُسُـــلا * والليـــلُ كالطَّيلسانِ مُعْتكِرُ
فقُلْنَ جِئْنا اليــكَ عن ثِقةٍ * من عنــد خَوْدٍ كأنَّهـا قَمَـــرُ

(١) يطلق الأمت فى اللغة على الضعف والوهن ويجمع على إمات وأموت ولم نر جمعه على أواميت .

(٢) عاد من عدا عليه الأسد وثب عليه . ومن أسماء الأســد العادى . وفى الأصول : "عال" باللام وهو تحريف .

هَـلْ لكَ فى غادةٍ مُنَعَّمَـةٍ * يَحارُ فيها من حُسْـنِها النَّظَرُ
فى الجِيدِ منها طُولٌ اذا التَفَتتْ * وفى خُطاها اذا خطَتْ قِصَرُ
فقُمتُ أسْعى الى مُحَجَّبـةٍ * تُضىءُ منهـا البُيوتُ والحُجَـرُ
فقلتُ لَمَّا بدا تَخَفُّـرُها * جُـودى ولا يمنعنَّـك الخَفَرُ
قالت تَوقَّرْ ودَعْ مقالَكَ ذا * أنتَ امرُؤٌ بالقَبيحِ مُشْتَهِرُ
واللهِ لا نِلْتَ ما تُحـاوِلُ أو * يَنْبُتَ فى بطن راحتى شَـعَرُ
لا أَنتَ لى قَـيِّمٌ فتَجـبُرَنى * ولا أمِـيرٌ علىَّ مُؤْتَمَـرُ
قلتُ ولكنْ ضَيفٌ أَتاكِ به * تحتَ الظلامِ القضاءُ والقَدَرُ
فاحتَسِبى الأجْرَ فى إنالَتِـه * ويا سِرى قد تطـاوَلَ العسرُ
قالتْ قد جئْتَ تبتغى عَمَلا * تكادُ منـه السماءُ تَنفَطِـرُ
فقلتُ لَمَّا رأيتهـا حَرِجَتْ * وغَشِيَتْهَـا الهمومُ والفِـكَرُ
لا عاقَبَ اللهُ فى الصِّـبا أبدًا * أنثى ولكنْ يُعـاقَبُ الذَّكَرُ
قالتْ لقـد جئتَنا بمُبتَـدعٍ * وقد أتتْنا بغَـيْرِه النُّـذُرُ
قد بَيَّنَ اللهُ فى الكتابِ فـلا * وازِرةٌ غَـيْرَ وِزْرِهـا تَزِرُ
قلتُ دَعى سورةً لَهِجْتِ بها * لا تَحْرِمَنَّـا لَذَّاتِنَـا السُّـوَرُ
وجْهُكِ وجهٌ تَمَّتْ محاسِـنُه * لا وأبى لا تَمَسُّـه سَـقَرُ

وقال آخر :

خَطَرتْ فقلْتُ لها مَقالَةَ مُغْرَمٍ * ماذَا عَلَيْـكِ من السَّلامِ فسَلِّمى
قالتْ بمَنْ تَعْنِى فحُبُّـكَ بَيِّنٌ * فى سُقْمِ جِسْمِكَ قلت بالمتَكَلِّمِ
فتبسَّمَتْ فبَكَيْتُ قالت لا تَرُعْ * فلعَـلَّ مثْـلَ هَواكَ بالمتَبَسِّمِ

قلتُ ٱتّفَقْنَا فى الهَــوى فزِيارةً * أو مَوْعدًا قبْــلَ الزيارةِ قدِّمى
فتضاحكَتْ عجباً وقالتْ يافتى * لو لم أدَعْكَ تنام بِى لم تَحْــلُمُ

وقال آخر :

ولمَّا نزَلْنــا عــلى زَمْزِم * ونحنُ نُرِيد طَوافَ الإفاضَهْ
بكَيْتُ فقــالت عـلَام البُكَا * فقلتُ على الوُدّ أخْشَى انتِقاضَهْ
فقــالت ثَكِلْتُــكَ من عاشِــقٍ * تُشَــمِّر ذيلَكَ قبــل المَخَاضَهْ
فقلتُ صَــدَقْتِ ولِكنَّــنِي * أُعَلِّمُ نفْسِى طَرِيقَ الرِّياضَــهْ

* * *

ومــا قيل فى المردوف، قال بعض الشعراء :

عيناكَ على ســفك دمى أسرفتا   والجسم نحيــلْ
أطلِق برضاك فى الهوى أسرَ فتًى   حيرانَ ذليــلْ
فى ريقــكَ خمــرتان قد حُرِّمتا   من غير دليــلْ
والعاشــق ظمآنُ فيا حرُّ متى   ســقيه قليــلْ

وقال آخر :

فى خدّكَ وردتان قــد رُكِّبتا   من فوق قضيبْ
فى قلبيَ جمـــرتان قــد أُضرِمتا   نارٌ ولهيـــبْ
حلّفتــكَ بالإله ياخيرَ فـــتى   رفقًا بكئيبْ
حيرانَ يهـيم بين حتّى ومتى   والأمر عجيبْ

وقال آخر :

يابدرُ عصَيتُ فى الهــوى عذّالى   طوْعا لهـــواكْ
وانقــدتُ لأمرك الكبير العالى   ما قــلَّ وفاكْ

إن كان رِضاكَ سقمَ جسمى البالى   صبرا لرضاكْ
عذِّبْ جسدى بسائر الاحوالِ   إلا بجفاكْ

وقال آخر :

يامرتحلا الى الحِمَى مَصرَفُه   بالله عليكْ   خذ معك كتابْ فيه خبرى
لى ثَمَّ رشًا عساك تستعطفُه   إن هان عليكْ   فى ردّ جوابْ للمنتظرِ
إنْ عرَّضَ بى فقل نعم أعرِفُه   يشتاق اليكْ   قد رقّ وذابْ بين البشرِ
ما يتركه هواكَ أو تتلفَه   والأمر اليكْ   ما الهجر صوابْ من مقتدرِ (٩٨)

* * *

ومما قيل فى الجناس، قال أبو الفضل الميكالى :

مواعيده بالوصل أحلام نائم * أشبّهها بالقفر أو بسَرابِهِ
فمن لى بوجه لو تحيّر فى الدجى * أخو سفرٍ فى جُنح ليل سَرَى بِهِ

وقال أيضا :

صِلْ محبًّا أعياه وصفُ هواه * فضناه ينوب عن تَرجُمانِهْ
كلّما راقه سواك تصدّت * مقلتاه بدمعه تَرجُمانهْ

وقال آخر :

ما ضرّ مَن قد أباح قتلى * فى حبّه لو أباح رِيقَهْ
أَبَى فؤادى السلوَّ عنه * لكنه ما أَبَى حريقَهْ

وقال آخر :

أقول والليل مرخىّ غياهبه * والدّيْرُ يُسمِعنى حِسّ النواقيسِ
يانفسُ كم بين مسرورٍ بلذته * و بين مُبْلًى بتشتيت النوى قيسى

وقال آخر :

يا من تنكّدت الدنيا لغيبتـه * أساخطٌ أنت عنى اليومَ أم راضى
أمْرضتَ بالهجر قلبَ المستهام فما * عليك بالوصل لو داويتَ أمراض

وقال آخر :

لقد راعنى بدر الدجى بصدوده * ووكّل أجفانى برعىِ كواكبِهْ
فيا عَبْرَتى سُحّى دَمًا لفراقه * ويا كبدى صبرا على ما كواكِ بهْ

وقال آخر :

قلت له ما ذا السواد الذى * فيك تبـدّى قال ذا غاليهْ
فقلت قَبّلنى اذًا قُبلة * فقال خذها قُبلةً غاليهْ
فقلت ما تغلو على عاشق * فى حبكم ذى كبـدٍ غاليهْ

وقال آخر :

شافَه كفّى رشأٌ * بقُبْلةٍ ما شَفَتِ
فقلت اذ قبّلها * ياليت كفّى شفتى

وقال آخر :

لم يكفكم أخذُ قلبه سلَبًا * حتى أخذتم عن طرفه وسَنَهْ
كم ليلة بات للغرام وكم * يومٍ وشهرٍ ما نامه وسَنَهْ

وقال آخر :

يا من لحظاته أسودٌ وَثَبَتْ * قد صحّ هواك فى فؤادى وثبَتْ
جرّدتُ لها سيوفَ صبرى فنبت * يامن غرس الهوى بقلبى فنبتْ

وقال آخر :

يامن بحشاشتى اذا غاب سكنْ * هيّجتَ من الغرام ما كان سكنْ
يامن شَرَع الصدودَ فى الحبّ وسنّْ * من بعدك مهجورُك ما ذاق وَسَنْ

وقال آخر :

أهوى قمرا سفكُ دمى حلَّ لهُ * فى أىّ شريعـــةٍ ومَن حلَّلَهُ
ما بلَّـــلَ شَـــعرَه وما حلَّلَهُ * إلا سمـــحَ البخيلُ وانحــلّ لهُ

وقال آخر :

مَن بلَّلَ صُدْغَ قاتلى مَن سَلْسَلْ * مَن أودع ثغرَه رحيقا سَلْسَلْ
مَن علّلنى فى حبّه مَن سَلْسَــلْ * ياعاذل انجهلتَ ما بى سَلْ سَلْ

وقال آخر :

يا بانـــةً لحبّهـــا * فى القلب أصلٌ قد نبتْ
سيوف صبرى عن سيو * ف مقلتيـك قد نَبَتْ
تلك لحـاظُ أعيـن * أم أُسْـدُ غيلٍ وثبت
(١)
... ...
لواحـــظٌ لو برزتْ * فى يوم حربٍ لَسَبَتْ
وعقربُ الصُّدغ التى * لكلّ قلب لَسَبَتْ
أَسْـناؤُكم تاقت لهـا النفوس يوما وصَـــبَتْ
لا سيّما إن حَملتْ * نشـرَك ريح وصبتْ
تخيلهـم دون بلو * غ السُّول فينا قد كَبَتْ
أفـــدى حبيبا زارنى * فكم عـــدوٍّ قد كَبَتْ
رعى حقوقى فى الهوى * عليـــه لمّـــا وَجبتْ
وسكّن الأحشـاء بالـ * ـوصـال لمّا وَجَبَتْ

---

(١) لعل هنا بيتا سقط من الأصل ولم نعثر عليه .

وقال أيضا :

من لفتى جار عليـ * ـه طرفـه فيما قضَى
صبٌّ اذا الدهر قضى * عليه بالبين قضَى
يبكى على دهر تولّى بالتدانى أو مضى
تمطر عيناه اذا الـ * ـبرق الشآمِى أو مضا

وقال آخر :

رمى حرَّ قلبى بهجرانه * رشًا ما درى قدرَ ماقد رمى
وقد كان قدّم إحسانه * ولكنه قدَّ ما قدّما
فتسليم أمرى به للقضا * ذَخَرتُ به أجرَما أجرما

وممّا قيل فى الموشّحات، فمن ذلك ما قاله بعض الأندلسيين :

يد الإصباح قدحتْ زناد الأنوار * فى مجامر الزَّهرِ
دهر جذلان واعتدال رِيْعان * فما الإظعان عن طَلّا وغزلانْ
راق الزمان وشدَتْ على البان * ذاتُ الجناح وانثنت قدودُ الأشجارْ
* فى الغلائل الخُضرِ *

لنا أجساد للسرور تجـذبُ * كما تنقاد لربيعها العربُ
حتى الجماد لا يفوته الطربُ * طافت بالراح، سحبُ فسكر النَّوّارْ
* من سُلافة القَطْرِ *

إن انخلاعى مع رشًا وصهباء * لدى بقاع حكت وشىَ صنعاء
وللشّعاعِ لهبُ على الماء * وللرياحِ فى متون تلك الأنهارْ
* شَبَكٌ من التِّبرِ *

ورِيم المى بات بِيدَه صدرى * كبدر تمّا وسط غُرّة الشهر
شدوتُ لمّا راعنى سنا الفجر * قل للصباحِ : ان تدنُ بطرد الأقمارْ
* فمع الدجى نسِرى *

وغصن مائلْ الهلال أعلاه * له من نابلْ فى النفوس قتلاه (٩٩)
سيف الحمائل غمده عِذاراه * طوع الجماح إن يكن كثيرَ النِّفارْ
* فهى عادة العُفْر *

وقال ابن بقى :

ما بى شَمول إلا شجون * مزاجها فى الكأس دمع هتون
لله ما بذّرْ من الدموعِ * صبّ قد استعبرْ من الوَلُوعِ
أودى به جؤذَرْ يوم البقيعِ * فهو قتيلُ لا بل طعينُ
* بين الرجا والياسْ له منونُ *

[خرجْتُ للحيْنِ كفّى بكفّى * وحيل ما بينى وبين إلفى
لا شك بالبينِ يكون حتفى * حان الرحيلُ ولى ديونُ
* إن ردها العباسْ فهو الأمينُ[1] *]

أما ترى البدرا بدرَ السعودِ * قد اكتسى خُصرًا من البرود
اذا انثنى نَضْرًا من القدودِ * أضحى يقولُ مت يا حزينُ
* قد اكتسى بالياسْ الياسمينُ *

قلت وقد شرّد النومَ عنّى * وآيس العود السقم منّى
صدّ فلما صدّ قرعتُ سنّى * جسمى نحيلُ لا يستبينُ
* يطلبه الجُلاسْ حيث الأنينُ *

(١) الزيادة من نفح الطيب .

تجاوز الحـــدّا قلبي اشتياقا * وكلّف السهدَا مَن لا أطاقا
قلتُ وقد مدَّا ليـلى رُواقا ليـلى طويلُ ولا معينُ
* يا قلبَ بعضِ الناسْ أما تلينُ *

وقال سراج الدين عمر الكتّانى الحلبيّ يمدح الملك المنصور صاحب حماه :

جسمى ذوَى بالكمدِ، والسهرِ والوصبِ، من جانى
ذى شنبِ كالبَردِ، كالدررِ، كالحبَبِ جمـانى
لى غصن بان نَضِرُ * يسبيك منه الهَيَفُ
يرتـــع فيــه النظرُ * فزهـــره يُقتطـفُ
والخـــدّ منــه قفرْ * والجسم منــه ترِفُ
قــد جاءنا يعتـــذرْ * عِـــذاره المنعطِفُ
ثم التوى كالزردِ، مُعَبقرِى، معقْرَبِى، رَيحانى
فى مُذْهَبِ، مورَّدِ، مدنَّرِ، مكتّبِ، سَوسانى
ظبىٌ له مرتَشَــفُ * كالســلسبيل الباردِ
غصنُ نقًا ينعطفُ * مِــن لِين قدّ مائدِ
بدرٌ عَــلاه سَـــدَفُ * من ليل شَعرٍ واردِ
مُقَــرْطَقٌ مشــنّفٌ * يَخْتــال فى القــلائدِ
بين اللّوى، وثَهْمَدِ، بجُؤذَرِ فى رَبْرَبِ غِزْلانى
ذى ضَرَبِ، ذى غَيدِ، ذى حَوَرِ ذى هُدُبِ، وَسْنَانِى
أمَا وحَلِى جيـــده * ورنّةِ الخـــلاخل
والضمِّ من بروده * قَـــدَّ قضيبٍ مائلِ

والوردِ من خـدوده * إذْ نَمَّ فى الغـلائلِ
لا كنت من صدودِه * متصـلا بعـادلِ
نارَ الجَوَى، لا تَخْمُدِى، واستَعِرِى، وكذِّبِى، سُلْوانِى
وأَسْبِلِى، واطَّرِدِى، وانْهمِرِى كالسُّحُبِ، أجفانِى
مولاىَ جفنى ساهرُ * مـؤرَّق كما ترى
فـلا خيـالٌ زائرٌ * يَطْرقـنى ولا كَرَى
إنِّى عليـلٌ صـابرٌ * فما جَرَى من صـبرا
إنْ سَحَّ دمعى الهامرُ * فلا تَلُمْـه إنْ جَرَى
جَالَ الهوى، فى جَلَدِى، ومُضْمَرِى، أضرَّ بى، كتمانِى
مؤنِّبى، اتَّئِـدِ، لا تفْـتَرِ، وجَنِّب، عن عانِى
إنْ صالَ بالهجرِ وصَـدْ * رحتُ بصبرى مرتدِى
عنه وإن طـال الأمدْ * إلى ذُرَى محمـدِ
وكيف يخشى مَن قَصَدْ * مَلْكا كريمَ المحتِـدِ
الملِكَ المنصـورَ قـد * سَمَا سَمَاءَ السُّـودَدِ
ثم آستَوى بأجْرَدِ، مضـمَّرِ، ومِقْضَبِ يمَـانِى
ذى شُطَبِ، مهنَّدِ، وسَمْهَرِى، مضطَرِبِ، مُرَّانِى
مَلْكا علت هِمَّـاتُه * من فوقِ هامِ المشترِى
وبَخَّلَـتْ راحاتُه * سُحَّ السحابِ الممطـرِ
وعَـوَّذَتْ راياتُه * بمحكماتِ السُّـوَرِ
بدرٌ بدتْ هـالاتُه * من الصباحِ المُسْـفِرِ

تحت لِوَى ، منعقدِ ، بالظَّفر ، فى موكبِ ، فِرْسَانِى

كالأَشْهُب ، فى الأَسْعُد ، كالأقمرِ . فى أعْذَبِ ، سَيْحَانِى

يامِلكًا دون الورى * تخطبُــه المما لكُ
وما لكا إذا ســرَى * تحْجُبُــه المــلائكُ
بعضُ عَطَاك هل تُرَى * جادت به البرامِــكُ
فاسْتَجْلِهَا من عُمَــرَا * ثغــرُ مُنَــاها ضاحكُ

لا يُحْتَوَى كالشُّهُدِ ، كالسُّكَّرِ . كالضَّرَبِ مَعَـانِى

كالسُّحُبِ ، كالعسجَدِ ، كالجوهرِ ، من حَلَبِ ، كَتَّانِى

انتهى ما أوردناه من الغزل والنسيب فى هذا الموضع ، وقد آن أن نأخذ فى ذكر الأنساب و بالله التوفيق .

الباب الرابع

من القسم الأوّل من الفن الثانى فى الأنساب

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وجعلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ . ومعرفة أنساب الأمم مما افتخرت به العرب على العجم، لأنها احترزت على معرفة نسبها، وتمسكت بمتين حسبها؛ وعرفت جماهير قومها وشعوبها، وأفصح عن قبائلها لسان شاعرها وخطيبها؛ واتحدت برهطها وفصائلها وعشائرها، ومالت الى أفخاذها و بطونها وعمائرها؛ ونفت الدعىّ فيها، ونطقت بملء فيها . (ط ١٠٠)

وسأورد منها إن شاء الله تعالى ما يكتفى به، ويتمسك بأسبابه .

وقد وقفت على المقدّمة التى وضعها الشريف "أبو البركات الجوّانى" فرفعت له علما، ونصبت له الى المعالى سلما : لأنه أتقن أصولها، وحرّر فصولها؛ وأورد فيها من الأنساب ما ينتفع به اللبيب، ويستغنى بوجوده الكاتب الأريب؛ فوجدته بدأ فيها بذكر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بآبائه، وشرح جملة من نسبه الطاهر وأبنائه؛ فرأيت أن أسرد النسب من أصله، وأبدأ بآدم عليه السلام، ثم بنسله؛ وأجعل العمدة على سرد عمود النسب المتصل بسيد البشر؛ وأذكر من ذلك ما اشتهر عند أهل الأنساب وانتشر الى أن انتهى الى اسمه الشريف فأجعله خاتمة النسب، وأتمسك من شريعته ومحبته بأوثق سبب؛ وأرجو ببركته بلوغ مآربى، ونجح مطالبى؛ وستر عيوبى، ومغفرة ذنوبى؛ وتزكية عملى، وسدّ خللى، والتجاوز عن سيئاتى، والمسامحة بفلتاتى وافتاتى؛ والخيرة فى حركاتى وسكناتى .

هذا واللهِ رجائى من كرم ربى، وإن قل عملى وكثر ذنبى؛ وعلى الشريف العمدة فيما أوردته، والعهدة فيما نقلته؛ فمن تأليفه نقلت، وعلى مقالته اعتمدت .

قال السـيد الشريف نقيب النقبـاء أبو البركات بن أسـعد بن على بن معمر الحسينى الجوّانى، النسابة رحمه الله : إنّ جميع ما بنت عليه العرب فى نسبها أركانَها، وأسست عليه بنيانها عشر طبقات .

الطبقة الأولى الجذم

وهو الأصل إما الى عدنان، وإما الى قحطان، والجذم : القطع، يقـال : جِذْم وجَذْم؛ وذلك لمـا كثر الآختلاف فى عدد الآباء وأسمائهم فيما فوق ذلك، وشق على العرب تشعب المناهج فيه وتصعب المسالك؛ قُطع الخوض فيما فوق قحطان ومعـدّ وعدنان، واقتُصر على ذكر مادونهما، لأجتماعهم على صحته؛ ومنه قول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لمـا انتسب الى معدّ بن عدنان : "كذب النسّابون فيما فوق ذلك" لتطاول العهد . فمن كان من ولد قحطان قيل يمنىّ؛ ومن كان من ولد معدّ بن عدنان قيل خِنْـدِفىّ، أو قَيْسىّ، أو نِزارىّ وإن كان الجميـع داخلا فى نِزار، أعنى معدّ بن عدنان؛ وإنما كان بعد نِزار جَمَاجم استُغنى بالنسبة اليها عن نزار بن معدّ بن عدنان؛ ولأن جمهور العلماء طبقوا النسب على ما قدّمناه أربع طبقات، خندفىّ، وقيسىّ ونزارىّ ويمنىّ؛ فقولهم : خندفىّ أى كل من يرجع الى الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان؛ وهو جمّاع خندف، فتوسعت العرب فى ذلك الى أن قالوا : الياس هو خِنْدِف، لأن وِلده وهم مدْرِكَة، وطَابِخَةُ، وقَمَعَـةُ، أمهم خندف، وهى ليـلى بنت حُلْوان بن عِمْران بن الْحَافِ بن قُضَاعة، خنـدفت فى طاب ولدها أى أسرعت، فقال لها الياس : مالك تُخندفين ؟ أى تهرولين فسميت خندف، فرجع

الى خندف أبطن عدة، كمُزَيْنَــة، والرِّبَاب، وضَبَّة، وصُوفَة. والشُّعَيْرا، وتَمِيم، وهُذَيل، وأَسَد، والقَارَة، وكِنَانة، وقُرَيْش، فقيل لولد الياس: "خندف" ثم قيل لإلياس نفسه خندف إذ كان أبا لمن أمه خندف لاغير ولا ولد له إلا من خندف؛ ولذلك نظائر وأشــباه فى العرب، كما قيل لمــالك بن خُزَيْمَة بن مُدْرِكَة بن إلياس بن مضر: "عائدة" لأن أم ولده عائدة بنت الخُمْس بن قُحَافة الخَثْعَمِيَّة.

وكما قيل لعَوْف بن وائل بن قيس بن عَوْف بن عبد مَنَاف بن أُدّ بن طَابِخَة بن اليَاس بن مضر: "عُكْل" لأن أمةً يقال لها عُكْل حضنت ولده.

وكما قيل لعمرو بن أُدّ بن طابخة بن إلياس: "مزينة" لأن أم ولده مُزَيْنَــة بنت كَلْب بن وَبَرَة القُضَاعية.

وكما قيل لعمرو بن قيس بن عَيْلان بن مضر بن نزار: «جدِيلَةُ قَيْس» لأن أم ولده جَديلة بنت مُرّ أخت تميم بن مرّ بن أُدّ بن طابخة.

وكما قيل للحارث بن عَدِىّ بن الحارث بن مُرَّةَ بن أُدَد بن زيد بن يَشْجُب بن عُرَيْب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَإ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان: «عاملة» لأن أم ولده عاملة بنت مالك بن وديعة القضاعية.

وكما قيــل لأَشْرَس بن السكون بن أَشْرَس بن كِنْدَة: «تُجِيب» لأن أم ولده تُجِيبُ بنت ثَوْبَان المَذْحِجِيَّة. وغير ذلك مما يطول الكلام باستقصائه والله أعلم.

وأما قولهم: قيسىّ، فالمراد به من ولد قَيْس بن عَيْلَان بن مُضَر بن نِزَار بن مَعَدّ (١٠١)
ابن عَدْنَان، ويكون عيلان هاهنا أخا إلياس بن مضر، وكان (١) اسم إلياس عيلان.

---

(١) لعله أوكان اسم إلياس الخ ليستقيم الكلام.

وقال الوزير ابن المغربى : هو النآس بتشديد السين فيكون مضر أعقب إلياس والنـاس . ومن العلماء من قال : إن عيلان كان حاضنا، حَضَن قيسا وليس بأب فيقول قيس عيلان بن مضر، مضاف اليه بغير ذكر البنوة، كما قيل فى نخذ من قضاعة سَعْد هُذَيم، وهُذَيْم حاضن، وغير ذلك فى العرب كثير والأوّل أصح . وهذا قيس بن عيلان بن مضر هو الذى قيل لقيس به قيس والله أعلم .

وذهب قوم الى أن ولد معدّ بن عدنان كلهم يقال لهم : قيس وهو خطأ، وانما هم يجوّزون ذلك على وجه بعيد ليميزوا بالعزوة الى ذلك بين يمن وغيرها : فيقولون : قيس و يمن، فيظن السامع أنهما أخوان، وأين قيس من قحطان جدّ يمن، لأن قحطان أبا اليمن هو أخو الجدّ العشرين لقيس : وهو فالَغ بن عابَر، وقحطان بن عابر، وسيرد ذلك فى سرد النسب بعون الله ومشيئته .

وبيانه هاهنا أن قيس بن عيلان، بن مضر، بن نزار، بن معـدّ، بن عدنان، ابن أُدّ(١)، بن أُدَد، بن اسماعيل الذبيح، بن ابراهيم الخليل، بن تارَحَ : وهو آزر بن ناحُور، بن سَاروغ، بن أَرْغُو، بن فالَغ، بن عَابَر، ففالغ أخو قحطان، وقحطان هو الجدّ الذى ترجع اليه يمن كلها، وهو أحد جِذْمَى النسب كما تقدّم .

فقد بان أن قول من يقول : قيس و يمن قبيلة ليس بشىء، و إنمـا قال ذلك لولد معدّ بن عدنان إشارة لإعلام السائل اذا سأل المعدىّ من أىّ نسب هو، فكأنه يقول له من البطن التى منها قيس . وهذا بعيد وشاذ .

(١) هكذا بالأصل . وفى كتاب الجوّانى المنقول منـه هذا الفصل والموجود منـه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية، ناقصة الآخر (ابن أد بن اليسع بن الهميسع بن سلامان بن نبت بن حمل بن قيذار ابن إسماعيل الذبيح الخ) .

ومما يؤكد بعده أنا اذا جوزنا ذلك لمن ينتسب الى جمجمة فوق قيس كربيعة ابن نِزار بن معدّ بن عدنان، و إِيَاد بن نزار وغير ذلك وان كان بعيدا فكيف يجوز أن يطلق ذلك على قريش . فنقول : هم قيس، و إنما قريش بنو فهر بن مالك بن النَّضْر بن كنانة بن خُزَيمة بن مُدْركة بن إلياس بن مضر بن نزار، و إلياس هو عم قيس فيكون قريش دون قيس بهذه العدّة، فلا يجوز أن يقال : إن قريشا من قيس، وقيس إنما هو ابن عم الأب السادس من قريش : وهو مدركة ؛ ولو كان عمًّا له لكان ربما يجوز على وجه التعارف عند العرب بأن العم أب كما أخبر الله تعالى عن نبيه يعقوب عليه السلام فقال تعالى : ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِى قَالُوا نَعْبُدُ إِلٰهَكَ وَ إِلٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَ إِسْمَاعِيلَ وَ إِسْحَاقَ﴾ ، والذى ذهب الى أن العم أب قال : أنا أطلق على ولد معدّ بن عدنان قيسا لأن قيسا منهم، فأقول : قريش من قيس، وهذا بعيد من وجهِ أن قيسًا ليس بعم لقريش، و إنما هو ابن عم، ولا ترجع العزوة فى الانتساب الى ذيل الأعقاب، إنما يُعزى لأعلى النسب، لا لأسفل العقب ؛ ولو صح ذلك، لعْزى الإنسان لآبن آبن عمه وهذا لا يصح .

فقد وضح أن العزوة الى قيس لا تصح الا لمن يرجع اليه بالولادة منه، لأن ربيعة و إيَادا ابنى نزار أعلى منه، فلا يصح أن يُعْزوا اليه ؛ وقريش وكنانة أسفل منه فلا يصح أن يعزوا اليه .

وبالجملة فإنه ابن عم لهما، أعنى قريشا وكنانة، وأخ لهما أعنى ربيعة و إيادا ؛ ولا يجوز أن يعزى الأب الى ابنه اذ كانت النسبة فى ذلك لا ترجع الى الآبن إنما ترجع الى الأب، ولو اعتمد ذلك فى الأنساب لاختلطت العزوة الى كل أب

بالأب الآخر فلم يتميز ، ولم يقف عنـد حدّ دون الاخر ، وهـذا يؤول الى الجهالة بالأبطن والأفخاذ والعشائر .

وأمّا شهرة العزوة الى قيس ، فلما فيهـا من الجماجم والرءوس والقبائل والأرحاء وهى عند النسابين أكبر من تميم ومن بكر ابنى مُرّ بن أدّ بن طابخة ، إذ كان فى قيس بنو عَبْس ، وذُبْيـان ، وغَطفَان ، وأَعْصُر ، وهَوازن ، وعُدْوان ، وفَهْم وهم جَديلة قيس ، وسُـلَيم ، وثَقِيف ، وعامِر ، وجُشَم ، ونَصْر ، و بَكْر ، وسَـعْد ، وسَلُول ، ور بيعة ، وكِلاب ، وقُشَير ، وحَبِيب ، وعُقَيْل ، وحَرِيش ، وخَفَاجة ، وطَهْفَة ، وغير ذلك من الأفخاذ والعشائر التى تشرح فى مواضعها بمشيئة الله وعونه .

وأما نزار بن معدّ بن عدنان ، ففيها من الأبطن والأفخاذ والعشائر : كبنى رَبيعَة الفَرَس ، وضُبَيْعة أَضْجَم ، وأَكْلُب ، وأَسْلم ، و يقدم ، وأجلان ، وهميم ، وعبد القَيْس ، ودُهْن ، والنَّمِر ، وتَغْلب ، ووَائِل ، و بَكْر ، وصعب ، وعلى ، وحبيب وعَنَزَة ، وعَنْز ، ورُفَيْدة ، و إراشة ، ويَشْكر ، وعُكَابَة ، وعِجْل ، و جُحَيْم ، وحَنِيفَة ، و زِمَّان ، والدول(١) ، وشَيْبَان ، وذُهْل ، ومَازِن ، وسَدُوس ، و بلىّ ، وعَوْف ، و بَدْر ، ومَعْن ، ودُعْمِىّ ، و زُهْرَة ، وحُذَافة .

فأما أَنْمَـار بن نزَار ، فانقلب فى يمن كما انقلبت قضاعة فى غير ذلك من الأفخاذ والعشائر ممـا نبين فى موضعه إن شاء الله تعالى والحمد لله .

وأما يمن ، فهم أولاد قحطان ، بن عابر ، بن شالخ ، بن أَرْفَخْشَذ ، بن سَام ، ١٠٣
ابن نوح عليه الســـلام .

وفيها عدّة جماجم وقبائل وأبطن وأفخاذ وعشائر : كسَبَإ ، وطَيِّئ ، والأَشْـعر ، وحِمْيَر ، وقُضَاعة ، وغسَّان ، وأَوْس ، والخَزْرَج ، والأَزْد ، ولَخْم ، وجُذَام ، وعَامِلَة ،

(١) بضم الدال واسكان الواو وهو غير الدؤل الذى ينسب اليه أبو الأسود الدؤلى .

وخَوْلان، وغافِق، ومَذْحِج، وحَرْب، وسَعْد العَشِيرة، ومَعَافِر، وهَمْدان، وكِنْدة، وكَلْب، ومَهْرة، وصِنْهاج[1]، وبارِق، وبَجِيلة، وثَعْلَبة، ودَرْما، وزُرَيْق، وعُنَيْز، وعَتَّاب، وبُحْتُر، وجَرْم، ومُرَاد، وعَبْس، وجُعْفِيّ، وسَلْمان، وتُجِيب، وصدا، والنَّخَع، والصَّدِف، وحَضْرَمَوْت وغير ذلك .

وكل ما ذكرناه فهو أبطن وأفخاذ وعشائر مختلطة، وما قصدنا فيها الترتيب، على طبقات النسب والتعقيب، وإنما جئنا من كل عُزْوة ببعض مشاهيرها التى تنسب اليها، ليتبين بعضها من بعض ويعلم غرضنا فى تحرير ما قدمناه والله أعلم .



وأما عِزْوة العرب الى يمن وهم ولد قحطان. فلكونهم نزلوا اليمن؛ وكان منهم ملوك الحِيرَة وأصحاب سدّ مأرب فتيامنوا فنسبوا الى اليمن .

وقيل : إنما قيل لهم : يمن بأَيْمَن بن هَمَيْسَع بن حِمْيَر، وهو جدّ الملوك التبابعة؛ والأوّل أولى .

وأكثر العزوة لمن ينقلب عن نسبه الى اليمن، لأجل أن الملوك كانت فى اليمن، مثل آل النُّعْمان بن المُنْذِر من لَخْم، وآل سَلِيح من قُضَاعة، وآل مُحَرِّق، وآل العَرَنْجَج وهو حمير الأكبر بن سبإ كالتبابعة والأذواء وغيرهم .

والعرب يطلبون العزّ ولو كان فى شامخات الشواهق [و[2] بطون الأماق البوالق فينتسبون الى الأعز لحماية الحمية وإباءة الدنيــة وسكون النفوس الى نفيس الكثرة

(١) الذى فى القاموس : وصنهاجة : قوم بالمغرب من ولد صنهاجة الحميرى وفى تاج العروس : "قال ابن دريد : بضم الصاد ولا يجوز غيره . قال شيخه : والمعروف عندنا الفتح خاصة فى القبيلة بحيث لا يكادون يعرفون غيره" .

(٢) زيادة وجدت فى نسخة الجوائب المخطوطة ولم توجد فى الأصل « الفوتوغرافى » .

والعصبية بطريق دقيق فى النظر لا على الظن المشتهر] كما جرى لقضاعة بن معدّ ابن عدنان [لما[1] خاف على أمه الجرهمية بعدُ] مالك بن مرّة بن عمرو بن زيد بن مالك ابن حمير أباه معدّ بن عدنان، بجاءت بقضاعة على فراش مالك بن مرّة فنسبه العرب الى زوج أمّه [[1] مالك بن مرّة، عادة للعرب فيمن يولد على فراش زوج أمه]. وقيل إن اسم الجرهمية : قضاعة، فلما جاءت بولدها سمته باسمها . وقيل بل كان اسمه عميرا فلما تقضع عن قومه أى بعد سمي قضاعة. والعادة عند العرب أن تنسب الى الرجل زوج أمه؛ ألا ترى أنها قالت فى عبد مناة بن كنانة : بنو علىّ وهو على بن مسعود الأزدىّ وكان حضن بنى أخيه لأمّه وهم بكر وعامر ومرّة أولاد عبد مناة بن كنانة، فغلب اسمه عليهم لما تزوج أمّهم هند ابنة بكر بن وائل وخلف عليها بعد أخيه، فضم اليه بنى أخيه المذكورين مع أمّهم هذه، وهم صغار فربوا فى حجره فنسبهم العرب الى على؛ وسيأتى من هذا الباب أمثال له فى مواضعها إن شاء الله تعالى .



والطبقة الثانية الجماهير، والتجمهر: الاجتماع والكثرة؛ ومنه قولهم : جماهير العرب أى جماعتهم، ومنه ترجمة مجموع لغة العرب "الجمهرة" الكتاب الذى ألفه أبو بكر بن دريد، وجمهرة "الأنساب" أى مجموعها والله أعلم .

والطبقة الثالثة الشعوب، واحدها شِعْب؛ ويقال شَعْب؛ ويقال فى القبيلة بالفتح وفى الجبل بالكسر، وهو الذى يجمع القبائل وتتشعب منه، ويشبه بالرأس من الجسد؛ قال الله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ﴾ الآية .

(١) زيادات وجدت فى نسخة الجوانى المخطوطة ولم توجد فى الأصل «الفنوغرافىّ» .

*
* *

والطبقة الرابعة القبيلة، وهى التى دون الشعب تجمع العمائر، وإنما سميت قبيلة لتقابل بعضها ببعض واستوائها فى العدد، وهى بمنزلة الصدر من الجسد .

*
* *

والطبقة الخامســـة العمائر، واحدها عِمَارة، وهى التى دون القبائل، وتجمع البطون، وهى بمنزلة اليدين .

*
* *

والطبقة السادسة البطون، واحدها بطن : وهى التى تجمع الأفخاذ .

*
* *

والطبقة السابعة الأفخاذ، واحدها فَخِذ وفِخْذ، مثل كبد وكِبد، وهى أصغر من البطن، والفخذ تجمع العشائر .

*
* *

والطبقة الثامنة العشائر، واحدها عشيرة، وهم الذين يتعاقلون الى أربعة آباء، وسميت بذلك لمعاشرة الرجل إياهم، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ . فدعا النبىّ صلى الله عليــه وسلم علياء قريش الى أن اقتصر على بنى عبد مناف، وهم يجتمعون معه فى الجدّ الرابع . فمن ها هنا جرت السنة بالمعاقلة الى أربعة آباء، وهم بمنزلة الساقين من الجسد اللتين يعتمد عليهما دون الأفخاذ .

*
* *

والطبقة التاسعة الفصائل، واحدها فصيلة : وهم أهل بيت الرجل وخاصته قال الله تعالى : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٠٣ و) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾ وهى بمنزلة القدم .

*
* *

والطبقة العاشرة الرهط . وهم رهط الرجل وأسرته : بمنزلة أصابع القدم ؛ والرهط دون العشرة ، والأسرة أكثر من ذلك ، قال الله عز وجل : ﴿ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ ﴾ . قال السيد أبو طالب فى قصيدته المشهورة التى يمدح فيها سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم :

وأحضرت عند البيتِ رهطى وأسرتى * وأمسكتُ من أثوابه بالوصائل

ورهطه بنو عبد المطلب وكانوا دون العشرة ، وأسرته من بنى عبد مناف الذين عاضدوه فى نصرة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تمثيل التفصيل عدنان جذم ، قبائل معدّ جمهور ، نزار بن معدّ شعب ، مضر قبيلة ، خندف عمارة : وهم ولد إلياس بن مضر ، كنانة بطن ، قريش فخذ ، قصىّ عشيرة ، عبد مناف فصيلة ، بنو هاشم رهط .

وحيث انتهى القول فى ذكر الطبقات فلنأخذ الآن فى بسط النسب وسرده فنقول وبالله التوفيق .

أصـــل النسب

أبو البشر آدم عليه الســـلام

وادم هو الجد الخمسون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمود النسبِ الطاهر المحمدىّ من آدم عليه السلام فى ابنه شيث بن آدم عليهما السلام : وهو هبة الله ، وأمه حوّاء أمة الله .

ولما قتل قابيل بن آدم أخاه هابيل ولد شيث ، وقال آدم عليه السلام : هذا هبة من الله وخلف صالح . وهو الذى بنى الكعبة — شرّفها الله تعالى — بالطين والحجارة على موضع الخيمة التى كان الله تعالى وضعها لآدم من الجنة .

وقال وهب : إن الله تعالى أنزل على شيث خمسين صحيفة ، ورزق عدّة من البنين والبنات .

والعقب منه فى ابنه أنوش بن شيث وأمّه لبود ابنة آدم عليه السلام . وهو الذى غرس النخلة وزرع الحبة ، ونطق بالحكمة ؛ وتدعى أمه محوايلة البيضاء .

والعقب منه فى ابنه قينان بن أنوش ، وله ولد اسمه أروى (أعنى لأنوش) ، أعقب وانقرض عقبه .

والعقب من قينان فى ابنه مهلائيل بن قينان ولم يرزق غيره .

والعقب منه فى ولده يارد بن مهلائيل . وكان ليارد إخوة .

والعقب من يارد فى ابنه أخنوخ بن يارد ، وهو إدريس النبىّ عليه السلام ، وأمّه تدعى بره . قيل سمى إدريس لدرسه الصحف الثلاثين التى أنزلها الله تعالى عليه ؛ وهو أوّل من خطّ بالقلم ، وكان له إخوة انقرضوا .

والعقب منه فى ابنه متوشلخ بن أخنوخ ، وأمه بروخا .

وعقبه فى ابنه لمك بن متوشلخ ، واسمه لامخ .

والعقب منه فى ابنه نوح النبىّ عليه السلام ، وأمه قينوش ابنة بركائل بن محوايل ، وهو عليه السلام آدم الثانى ، لأنه لا عقب لآدم عليه السلام إلا من نوح وولده ، و إخوة نوح عليه السلام جماعة ، منهم صالح بن لمك ، وسقطان ، ومنان ، وترسيس ، وصدفا ؛ وكان لهم أولاد انقرضوا كلهم والعقب من نوح لا غير ؛ ورزق لمك والد نوح عليه السلام نوحا ، وله من العمر مائة واثنتان وثمانون سنة ؛ وتوفى وقد مضى من عمر نوح خمسمائة سنة .

واختلف فى عمر نوح : فقيل عاش ألف سنة الا خمسين عاما، ستمائة قبل الطوفان وثلثمائة وخمسين سنة بعده . وقيل بل لبث قبل الطوفان ألف سنة الا خمسين عاما على ماذكر ذلك ان شاء الله تعـالى فى قصته فى التاريخ . وعمود النسب من نوح فى ابنه سام بن نوح عليه الســلام . وسام هو الجدّ الأربعون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه عمردة . و إخوة سام حام، و يافث، و بوناطل، وسالوم وهو الذى غرق فى الطوفان .

وأما سام بن نوح، فإن الله تعالى جعل فى ذرّيته الكتّاب والنبوّة والملك والجمال والبياض ، ونزلوا ما بين ساقيد الى البحر ، وما بين البحر الى الشأم ، وهو وســط الأرض ، والحـــرم وما حوله ، والحرم الى حضرموت ، والى عمـــان ، والى عالج والدهنـــاء .

والعقب من يافث بن نوح طرسوس، وهمذان، والجبال، والجزر، وفرنجة ، والصقالبة الذين على تخوم القسطنطينية ، واشكار ، والترك ، وقبرس، و يأجوج، ومأجوج، وكومر، والمصيصة، وأدنة، ورروادنيم ، وماسج ، وخراسان ، و باوال، و يونان، و برجام، وكرد بن مرد بن يافث .

قال : وهذه رواية العلماء بالنسب، وسنذكر خبر كرد بعد هذا فى موضعه .

ومن ولد يونان بن يافث الروم واليونانيون ، كان منهـــم الفلاسفة وأهل الحكمة كالإسكندر وغيره .

وولد بوناطل بن نوح، وهو الذى عقد الألوية للناس حين تفرّقوا : الأرغار، والبعاس، والدكايك، والدمشق ، وهم أمم لا يحصون خلف صين الصين .

والعقب من حام بن نوح، الهند والسند والنوب، والزنج، والحبشة، والقبط، والبربر، ومصرايم أو اسمه مصر بن حام .

وذكر صاحب الشجرة : أن مصرايم أعقب من ابنه لوديم، وأن لوديم أعقب (١٠٤) قبط مصر بالصعيد ـ والبيهم ، والتفوحيم ، والبرنسيم ، والكشلوجيم ، والقابدقابين ، ومودشايا ، وكوشابا ، وهبورشابا .

قال : وهؤلاء بأجمعهم ولد قوط بن حام ، وأندلش ، وكوشان ؛ فولد قوط بن حام مصر ، فولد مصر بن قوط قبط : وهم قبط مصر ، وبهم سُمِّيت مصر مصرَ . قال : هذا قول شيوخنا . وذكر أهل التاريخ ، أن مصر سُمِّيت بمصر بن بيصر بن حام ؛ كل ذلك قد قيل وهو الأكثر عن العلماء .

وقال أبو المنذر النسابة فى روايته : إن السند والهند وما بينهما من البلاد قتلهم يوشع بن نون الا بقيّة منهم يسيرة لحقوا بأطراف بلاد السودان ، وهم الذين ما بين مصر الى بلاد السودان ، ومنهم البربر والبجة .

وذكر صاحب الشجرة : أن كوش أبو الحبش ، وأنه كوش بن حام ، وأنه أعقب من نمرود أبى ملوك بابل ، ومن أحويلا وهو الواحات ، ومن سَفنا وهو أبو زغاوة ، ومن سبإ ، ومن سفخا ، وهو أبو الدمدم ، ومن رعما وهو أبو البقاقو من السودان ، والعقب من رعما هدا من سبإ أبى الهند ومن داذان أبى السند .

وذكر أبو المنذر النسابة أن كنعان بن حام أعقب من حماة ، وحمص ، وارواد ودى وطرابلس ، وصيدون ، وهى صيداء ، وحاث ، ونفوسة ، وهوارة ، ومُزاتة ، واموراً ، وكركاسى ، ومزانة من البربر .

قال الجوّانى : وهذا كلّه بيِّن الخلاف بين النسابين ؛ ومن النسابين من يلحق لواتة وهم ولد برّ بالبربر هدا بن كنعان بن حام ، ومن اللواتيين من يقول فيهم : إنهم قيس ، ويعبرون أنهم من ولد جابر بن بَغيض ، بن رَيْث ، بن غَطَفان ؛ وأنّ جابرا

جدّهم عمّ فزارة . ومن لواتة ومزاتة من يزعم أنهم قوم ناقلة صاروا الى بلد البربر، وأن البربر انمـا هم هوّارة، وصَنْهاجة، وأن أباهم تزوّج امرأة منهم يقال لها : تصوين فنُسبوا الى أمهم، وهوّارة تزعم أنهم قوم ناقلة من يمن جهلوا أنسابهم .

وولد لَوَاتة بن بَرّ ، وهو لَواتة أربعة أفخاذ، وهم زُنَّارة ومَصَّانا ونَيْطا وتَطُوفا، ولكلّ فخذ من هــذه الأفخاذ عدّة عشـائر ، حصل الإضراب عن ذكرها رغبـة فى الاختصار . فلنرجع الى عمود النسب فنقول :

إن عمود النسب الشريف من سام بن نوح فى ابنه أَرْفَخْشَذ بن سام، وأمه من بنات الملوك .

وكان لسام من الأولاد غير أرفَخْشَذ إرم ولاوَذ وأَشْوَذ وغُلَيم وماش (والموصل ولد وأبو الأرمن وخُوزِستان أولاد سام)[1] . وفيهم خلاف عند النسابين .

والعقب من إرم بن سام من عوص وجاثَر وماشٍ وأهلُوا و إيران أولاد إرم .

فالعقب من أهلوا بن إرم من سام قادسان .

والعقب من أكراد[2] جدّ القبيلة المعروفة بالأكراد فى قول أكثر النسّابين، ومن عشيرة القبيلة من يذكر أنهم من بنى عمرو بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن العبسىّ كما نذكره فى بنى هوازن .

وفى الأكراد عدّة بطون كالحلاليّة والمروانيّة وغيرهما .

وقد ذكر بعض النسابين أن كُرد بن مُرد بن يافث بن نوح . وفى ذلك خلاف .

(١) هكذا فى الأصل بحروفه وجاء فى "العبر" أن بنى أشوذ هم أهل الموصل و بنى غليم أهل خوزستان ، ولعله الصواب .

(٢) لعله والعقب من ايران فى كرد اخ ، انظر "العبر" .

والعقب من عَوص بن إرم بن سام عاد، وبه سُمّيت عاد إرم .

والعقب من ماشٍ بن إرم بن سام من نَبِيط، وهو نَبَط سواد العراق .

والعقب من جاثَر بن إرم ثمود وجَدِيس . فالعقب من ثمود بن جاثَر فالحَ وهَيلع وبَعوق وأرام؛ من ولده صالح النبيّ عليه السلام آبن أسف بن كَماشِج بن أرام بن ثمود؛

والعقب من لاوَذ بن سام عِمْليق وهو أبو العمالقة والفراعنة والجبابرة بمصر والشام، وطَسم بن لاوَذ وأُميم بن لاوذ؛ وفرعون موسى هو الوليد بن مصعب آبن أَشْمير بن الهُون بن عمليق بن لاوذ بن سام .

وولد الفرس أشُّور (١) بن سام تَيرش وهم الفرس؛ وبهم سُمّيت فارس؛ ومنهم الأكاسرة .

وولد غُلَيم بن سام : خُوزان وهم الخُوز الذين مساكنهم بلاد الأهواز مما يلى بحر الصين .

فلنرجع إلى سرد عمود النسب فنقول : إن عمود النسب منه فى شالَخ (٢) بن أرفخشذ وكان له من الأولاد غير شالَخ مالك وقَينان آبنا أرفخشذ . قال : وزعموا أن قَينان أوّل من نظر فى علم النجوم بعد الطوفان وآستنبط ذلك من تَنُّور صُفْر كان فيه علمها قبل الطوفان، ودُفن فى الأرض فآستخرجه وعَلِمَ ما فيه .

والعقب من شالَخ فى آبنه عابَر بن شالَخ، وعابر هو هود النبيّ عليه السلام؛ وأمه مَرجانة وهو جماع النسب . وله من الأولاد فالَغ، وفيه عمود النسب، وهو أبو قريش وقحطان ويَقْطُن . فولد يقطن بن عابر : جُرْهُم بن يقطن، كانوا ولاة البيت الحرام

(١) هكذا بالأصل وفى "العبر" : أنهم من ولد إيران بن أشوذ بن سام بن نوح . وفى آبن الأثير أنهم بنو فارس بن تيرش بن ماسور بن سام .

(٢) وردت هكذا فى كل المصادر التى يعتمد عليها فى النسب ووردت فى الكتاب المقدس فى سفر التكوين (شالح) بالحاء المهملة .

فمكثوا ما شاء الله، ثم آستحلّوا المحارم، وكثرت فيهم المآثم، فأخرجهم الله تعالى من جوار بيته، ورماهم بالفناء فلم يبق منهم أحد، وفيهم يقول القائل :

* وبادوا كما بادت بقيّةُ جُرهمِ *

وقحطان بن عابر هو أبو اليمن كلها، وجذْم نسبها .

وولد قحطان هم العرب المتعرّبة؛ إذ العرب ثلاث فرق، عاربة ومتعرّبة ومستعربة .

وأما العاربة فهم تسع قبائل من ولد إرم بن سام بن نوح، وهم عاد، ثم ثمود،
(١٠٥) ثم أُمَيم، ثم عَبِيل، ثم طَسْم، ثم جَدِيس، ثم عِمْليق، ثم جُرْهُم، ثم وَبَارِ. فعاد وعبيل
آبنا عوص بن إرم بن سام بن نوح، وطسم وعماليق وأميم بنو لاوذ بن سام؛ وثمود وجديس آبنا جاثر بن إرم بن سام؛ ووبار وجرهم آبنا فالغ بن عابر؛ فهذه العرب العاربة .

وأما المتعربة فهم بنو قحطان بن عابر الذين نطقوا بلسان العرب العاربة وسكنوا ديارهم .

وأما المستعربة فهم بنو إسماعيل بن إبراهيم : وهم بنو عدنان بن أُدّ .

قال الشريف الجوّانى : وهذا مختصر من نسب اليمن. قال : إن العقب من قحطان آبن عابر من يَعْرُب بن قحطان، وهو الذى زعمت يمن أن العرب إنما سميت عربا به وأنه أوّل من تكلم بالعربية ونزل أرض اليمن فهو أبو اليمن كلّها .

وذكر بعض النسابين أن حضرموت بن قحطان، وإليه يُنسب كل حضرمىّ . وقيل : حضرموت من ولد حمير، وإنه حضرموت بن عمرو بن قيس بن معاوية آبن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قُطُن بن عَرِيب بن زُهَير بن أَيْمن آبن الهَمَيْسع بن حِمْير؛ قال : وعلى ذلك آعتماد شيوخنا فى النسب .

وقال آخرون : هو حضرموت بن يقطان بن عابر .

فولد يَعْرُب بن قحطان : يَشْجُب ، فولد يشجب بن يعرب : سبأ واسمه عبد شمس ، وإنما سُمى بسبإ لأنه أوّل من سَبَى من العرب ، فولد سبأ بن يشجب : حِمْير وكَهْلان .

وقالت طائفة من النّسابين : ومَرّاء بن سبإ . فولد مرّاء بن سبإ : شعبان قبيلة وصَريحان قبيلة ، ولهم عدد ومدد .

وولد حمير بن سبإ بن يشجب : مالكا وعامرا وعوفا وسعدا ووائلة وعمرا وهميسعا .

فأما عمرو بن حمير فهم آل ذى رُعَين ملوك اليمن ، وهم بنو الحارث بن عمرو ابن حمير .

ومن النّسابين من ينسب ذا رُعَين الى أنه ولد زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغَوْث بن قُطْن بن عَرِيب بن زهَير بن أيمَن بن الهَمَيْسع بن حِمْير ، وهم عشيرة ذى أصبح وعشيرة سيف بن ذى يزن .

قال : وشيوخنا فى النسب ينسبون التبابعة الملوك إلى أيمن بن هميسع بن حمير ولا خلاف عندهم فيه وأنهم يرجعون إلى أيمن .

وأما عامر بن حمير ، فمنه قبائل يَحْصُب كلّها . وهو يحصب بن دُهمان بن عامر بن حمير . قال : ومن شيوخ النسب من قال : يحصب بن ذى يزن بن ذى أصبح بن زيد بن الغَوْث بن سعد بن عوف بن مالك بن زيد بن سَدَد بن زُرعة ، وهم حمير الأصغر .

وأما هَمَيْسَع بن حمير فمن ولده صَنْهاجَة القبيلة المشهورة المعقبة بالمغرب وفى ذلك خلاف ، وهى من بنى زُهَير بن أيْمن بن هَمَيْسَع بن حِمْير ، وصَنْهاجة اسم الجدّ للقبيلة كلها وهو صَنْهاجَة بن المثَنَّى بن المِسْور بن يَحْصب بن ذى يَزَن بن ذى أَصْبح بن

زيد بن الغَوْث بن سعد بن عَوْف بن عَدِىّ بن مالك بن زيد بن سدد بن زرعة، وهم حِمْير الأصغر بن سَبَإ الأصغر بن كَعْب بن كَهْف الظلم، بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن قُطْن بن عَرِيب بن زُهَير بن أَيْمن بن هَمَيْسَع المذكور.

قال : وإلى ذى أَصْبَح هذا يرجع الإمام مالك بن أنس الاصبحىّ. وقيل : ذو يزن آبن أسلم بن زيد، وذو أصبح بن مالك بن زيد.

قال : ومن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشَم بن عبد شمس هذا الذى فى عمود النسب ثلاث بطون غير سهل بن عمرو، وهم شَعْبان بن عمرو وحَيْران بن عمرو وحضرموت بن عمرو؛ وحضرموت هذا هى القبيلة التى يُنسَب إليها كلّ حضرمىّ وقد تقدّم ذكره.

وأما سعد بن حمير، فمنه السّلَف البطن المشهورة، وأَسْلم بطن وهما آبنا ربيعة آبن سعد بن حمير.

وأما وائلة بن حمير، فمنهم السَّكاسِك وهم بنو زيد بن وائلة بن حمير، وهى غير سكاسك كندة.

وأما مالك بن حِمْير فمن ولده قُضاعة وهم قضاعة بن مالك بن مُرَّة بن عمرو بن زيد بن مالك بن حمير البطن المشهورة على ما نذكره. وقيل : إنها من وِلد مَعَدّ بن عَدْنان وفى ذلك يقول القائل :

أبوكم مَعَدّ كان يُكنَى ببكره * قُضاعةَ ما كُنّى به من تمججا

ومن قضاعة ثلاث بطون : وهم عِمران بن الحاف بن قضاعة وعمرو بن الحاف وأَسلمُ بن الحاف بن قضاعة.

فأما البطن الأولى من قضـاعة وهم ولد عِمران، فأعقب حُلْوان بن عِمران بن الحافِ بن قضاعة من خمس قبائل ،وهم تَغلِب الغَلْباء،و يقال: تَغلبيّ قُضاعيّ أو يمنيّ ، يراد به هذا الأب، وتَغلَبيّ مَعَدّيّ أو نِزَاريّ ،فيراد به تَغلِب بن وَائل بن قاسِط الذى فى أَسَد بن رَبيعة بن نِزار، وعَشْم بن حلوان ، وزبَّان بن حلوان، وعمرو بن حلوان وهو سَليح وتَزيد بن حُلْوان (بالتاء بآثنتين من فوق وفتحها) .

والعقب من تَغلِب بن حُلْوان بن عِمْران بن الحاف بن قُضاعة :وَبَرَة بن تَغلب والعقب من وَبَرة بن تَغلِب من خمس أفخاذ : كَلْب بن وَبَرة، واليه يُنسب كلّ كَلْبيّ، وفيهـم عدّة أفخاذ وعشائر، كبنى عَوف و بنى ضَمْضَم و بنى عُلَيم و بنى زهـير و بنى كِنانة، والجميع عشائر يرجعون الى عُذْرة بن زيد الله بن رُفَيدة بن ثور بن كلب، وعُرَيْنة بن ثور بن كلب بن و برة، واليه يرجع كل عُرَنىّ، وأَسَد بن وَبَرة، والبُرَك ابن وَبَرة، والنَّمر بن وَبرة ، والتغلب بن و برة ، وفهد، وضبع ، ودبّ، وسـيد ، وسرحان، وذئب أولاد وَبَرة بن تَغلِب الغَلْباء . (١٠٦)

فمن أسد بن وَبَرة : بنو القَيْن بن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد، وتَنُوخ وهو مالك ابن زهير بن عمرو بن فَهْم بن تَيْم الله بن أسَد ، والى تَنُوخ هذا يُنسَب كلّ تَنُوخىّ ، واليه يرجع أبو العلاء المَعَرّى الشاعر .

وأعقب نَمِر بن وَبَرة بن تَغلِب فى ثلاث أفخاذ : خُشَيْن، واليه يرجع كلّ خُشَنىّ وهو نُمَيْر، منهم أبو ثَعْلَبة الخُشَنىّ الصحابىّ رضى الله عنه، ومَشْجَعة بن تَيْم بن النَّمِر ابن وَبَره ، واليـه يرجع كلّ مَشْجَعىّ ، وغَاضِرة بن النَّمر وعاتيـة بن النمر الا أنهما دخيلان فى سُلَيم . قالوا : عاتية وغاضرة ابنا سليم بن منصور .

وأما زَبّان بن حُلْوان فأعقب من جَرْم بن زَبَّان ،واليه يرجع كلّ جَرْمىّ . وفى جَرْم عدّة بطون، منها مَلَكان بن جَرْم بفتح الميم واللام : بطن .

وأما عمرو بن الحاف بن قضـاعة فأعقب من ثلاث أفخاذ : بَلِىّ بن عمرو ، وبهراء بن عمرو ، وحَيْدان ، وقيل : حُدّان بن عمرو ، والى بَلِىٍّ هذا يُنسب كلّ بَلَوِىّ ككعب بن عُجْرة البَلَوىّ ، وبنو العَجلان ، وبنو أُنَيف ، وبنو عصية[1] : وهم كلّهم حلفاء الأنصار : بنى عمرو بن عوف من الأوس وهى قبائل من بَلِىٍّ فى الأنصار ، منهم المُجَـذَّر بن ذِياد وطلحة بن البرّاق ، وأبو بُرْدة بن نيار الصحابىّ بَلَوِىّ حليف الأنصار واسمه هانئ .

وأما بَهْرَاء بن عمرو بن الحاف بن قُضاعة فإليه يُنسب كلّ بَهْرَانِىّ كالمِقْداد بن الأَسْـوَد الكندىّ ولم يكن كنديّا ولكن كان بَهْرَانيّا قُضاعيّاً لأنه المِقْداد بن عمرو ابن ثَعْلبة بن مالك بن رَبيعة بن ثُمامة بن مطرود بن عمرو بن سعد بن لؤىّ بن ثعلبة ابن مالك بن الشَّرِيد بن أبى أهون بن قيس بن دُرَيم بن القين بن أهْود بن بهراء . وإنمـا قيل المِقْداد بن الأَسْود لأن الأَسْود بن عبد يَغُوث بن وهْب بن عَبْد مَنَاف ابن زهرة تبنّاه لحلف كان بينهم فنُسب اليـه ، وكان أبوه عمرو حليفا فى كندة . وفى بَهْراء بطون .

وأما حَيْدان ، ويقال : حُدّان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ، فمن بطونه خمس ، عَرِيب بن حيـدان ، وعُرَيْد بن حيـدان ، وتزيد بن حيدان ، واليه تُنسب الثياب التَّزِيديّة ، ومَهْرة بن حَيْدان . والى مَهْرة هذا يُنسب كلّ مَهْرىّ ، وفى مَهرة أفخاذ ، وحَيَادَة بن حَيْدان .

وأما أسلَم بن الحاف بن قضاعة ، فأعقب من فخذين : حوْتكة وسُود ، فأما سُود ابن أسلم بن الحاف فأعقب من زيد وليث ابنى سـود ، وأعقب زيد بن سود من

---

(١) هكذا فى الأصل ، وفى الجوانى : "عصينه" .

أربع بطون : جُهَيْنة، واليه يرجع كلّ جُهَنِىّ، ونَهْد : رهط أبى عثمان النَّهدىّ؛ واليه يرجع كلّ نَهْدىّ، وسَعْد هُذَيْم، وعُذْرة؛ واليه يرجع كلّ عُذْرِىّ أولاد زيد بن سود بن أَسلُم بن الحاف بن قضاعة .

• وقال ابن الكلبىّ : عُذْرة بن زيد اللّات بن رُفَيْدة بن كلب بن وَبَرة .

فأما جُهَيْنة بن زيد، فرهط عُقْبة بن عامر الجُهَنِىّ الصحابىّ؛ وفى جُهَيْنَة الحُرَقة وهم بنو أَمْس بن عامر بن مُودَعَة بن جُهَيْنة .

وفى نَهْد بن سُود المقدّم ذكره : بنو حُرْقَة بن خُزَيْمة بن نَهْد .

وفى عُذْرة بن زيد بن سُود بن أسلُم : بنو ضِنَّة بالنون بن عَبْد بن كبير بن عُذْرة ابن زَيْد بن سُود بن أَسْلَم بن الْحَاف بن قُضَاعَة .

ومن ولد لَيْث بن سُود بن أَسْلم : بنو عِلَّة بكسر العين مشدّدة اللام بن غَنْم بن سَعْد ابن زَيْد بن لَيْث بن سُود، وفى سَعْد هُذَيْم بن زيد بن سُود : بنو عِلَّة بن غَنْم ابن ضِنَّة بن سَعْد هُذَيْم بن زَيْد بن سُود بن أَسْلَم .

قال : فهذا نهاية الاختصار فى نسب حمير . وهذا ولد كَهْلان أخيه .

قال : وولد كَهْلَانُ بن سَبَإ بن يَشْجُب بن يَعْرُب بن قَحْطَان بن عابر عليه السلام: زيدا، فولد زَيْد بن كَهْلان بن سبَإ بن يَشْجُب بن قَحْطَان : مَالِكًا وعَرِيبًا وهما لحذان .

فالعقب من عَرِيب بن زَيْد بن كَهْلان من يَشْجُب .

والعقب من يَشْجب بن عريب بن زيد بن كَهْلَان من زيد بن يَشْجُب .

والعقب من زيد هذا : أُدَد بن زيد بن يَشْجب .

والعقب من أُدَد فى طَيِّئ بن أُدَد، واسمه جُلْهُمة، وهو البطن العليا، واليه يُنسب كل طائى، والأَشْعَر بن أُدد، واليـه يرجع كل أَشْعَرى، واسم الأَشْـعَر نَبْت، وانما قيل له الأَشْعَر لأنه وُلد أَشْعَر الجسد، ومَالِك بن أُدَد وهو مَذْحِج، واليه يرجع كل مذحِجى. وقيل: إن مَذْحِج أمُّ مالِك بن أُدد فنُسب اليها ولدها. وقيل: بل هى أكمة حمراء وُلد عليها مالِك فعُرف بها ولدُه. وقيل: بل اجتمعوا على الأكمة باليمن، والأكمة تسمى مذحِج، فقالوا: تعالوا نجعل مذحِجا أما.

وذكر ابن عبد البر فى روايته: أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أكثر القبائل فى الجنة مَذْحِج"، ومَذْحِج إحدى الجماجم التسع من جماجم العرب، سُمُّوا جماجم لأن ميلادها استوى بميلاد قبائل بإزائها من أفناء العرب، ثم تفرّعت منها قبائل اجتزأت بأسمائها والانتساب اليها فبعدت عنها واكتفت بانتسابها اليها. ومُرّة بن أُدَد أربع أبطن لأدد.

والعقب من طيئ بن أُدَد بن زَيد بن يَشْجُب بن عَرِيب بن زيد بن كَهْلان من فخذين: فُطْرَة والغَوْث ابنى طيئ.

والعقب من فُطْرة بن طَيِّئ بن أُدَد من سَـعْد بن فُطْرة، ومنـه فى خَارِجَة بن سَعْد ومنه فى جُنْدَب، ومنه فى رُومَان بن جُنْدَب. (١٠٧)

والعقب من رُومَان بن جُنْدَب بن خَارِجَة بن سَعْد بن فُطْرَة من بطنين: ذُهْل وثَعْلَبة، وهما الثَّعْلَبتَان وجماعة صغار.

والعقب من الغَوْث بن طَيِّئ من عَمْرو بن الغَوْث.

والعقب من عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ من ثُعَل: بطن، ونَبْهَان: بطن، وهِنَاء ابن عَمْرو: بطن، وثَعْلَبة بن عَمْرو: بطن، ومَزْرُوعَة بن عَمْرو: بطن، وحَسَّان بن

عَمْرٍو : بطن، وزَيْد بن عَمْرو : بطن، وخُشَين بن عَمْرو : بطن، وإلى نَبْهَانَ هذا يُنسَبُ كل نبهانىّ .

والعقب من نَبْهَانَ بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ من آبنيه : سَعْدٍ ونَائِلٍ، ومن بنى سَعْد بن نبهان : بنو اليُسْر بن ثَعْلَبَةَ بن نَصْر بن سَعْد بن نَبْهان : فخِذٌ، والى هناء آبن عمرو هذا ينسب كلّ هنائىّ .

والعقب من ثُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث(١). فأما سَلامَانُ فالعقب منه من عُنَيْز وثَعْلَبَة وبل(٢) أولاد سلامان لصلبه، وعُنَيْز هذا جدّ القبيلة المشهورة، وثَعْلَبَةُ هذا جدّ ثَعْلَبَة طائفةٍ من العربان المجاورين للدَّارُوم من الشام [وهم] بطنان : دِرْماو زُرَيْق، فالعقب من عُنَيْز بن سَلامَانَ بن ثُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ من فخذين : فُرَيْر بن عُنَيْز، له عدد، وعُتُود بن عُنَيْز .

والعقب مِن عُتُود، مِن مَعْن وبُحْتُر آبنيه، وإليهما يرجع كلّ مَعْنىّ وبُحْتُرىّ، والشاعر البُحْتُرىّ منهم .

والعقب من مَعْن بن عتُود من ثلاث : ثُوَب، ووُدّ، ومَالِك : بنى مَعْن بن عتود .

والعقب من ثُوَب بن مَعْن : غَنْم له عدد، وأبو حارِثَة فأعقب من غَنْم بن ثُوَب ابن مَعْن بن سِلْسِلَةَ الفخذَ التى يرجع إليها كلّ بنى سِلْسِلَةَ المَعْنيّون .

وأما بُحْتُر بن عُتُود بن عُنَيْز بن سَلامَانَ فالعقب منه فى تَدُول بن بُحْتُر .

والعقب من تَدُول من ستة أفخاذ، وهم جُدَىّ، وسَنَام، وأَيْمَن، وخَيْثَم، وأَعْور، وسَالِم أولاد تدول .

(١) أسقط الناسخ الخبر وهو "من سلامان وجرول فأما الخ" كما يؤخذ مما يأتى فى التفصيل فتنبه .

(٢) كذا بالأصل . ولعلها محرفة عن "نابل" انظر نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب للقلقشندي فى الكلام على بنى نابل .

وأما ثَعْلَبَةُ بن سَلَامَانَ بن ثُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ فأعقب من عوْف آبن ثعلبة، وأعقب عَوْفٌ من نخذين : دِرْما وزُرَيْق، ودِرْما هو عَمْرو بن عَوف ودِرْما أمّه؛ فأعقب دِرْما بن عَوف بن ثَعْلَبة بن سَلَامَانَ من خمس أنخاذ : سَلَامَة والأَحمر وعَمْرو وقَصِـير والأَوْس : أولاد دِرْما؛ وأعقب زُرَيْق بن عَوْف بن ثَعْلبة من نخذين : لُبْنَى والأشعث ولدى زُرَيْق .

وأما جَرْوَل بن ثُعَل بن عَمْرو بن الغَوْث بن طَيِّئ فأعقب من آبنيـه : مُعَاوِيَة ورَبِيعَة؛ فأعقب مُعَاوِيَةُ بن جَرْوَل من سِنْبِس(١) : القبيلة المشهورة، وعَدِىّ ولَوْذَان : أولاد مُعَاوِيَة .

والعقب من سِنْبِس بن مُعاوية بن جَرْوَل من ثلاث أنخـاذ : عَمْرو، ولَبِيد، وعَدِىّ؛ فأما لَبِيد بن سِنْبِس فأعقـب من حِرْمِز، فأعقب حِرْمِز من يحصب وجَرْم؛ وعُقْدَةُ أولاد لَبِيد نخذان . وإلى لبيد هـذا تُنسب العرب السَّنَابِسَةُ الذين بالبحيرة من أعمال مصر؛ وهم من نخذ يقال لها : قُنَّةُ بن خَلَّاد .

وأما عَدِىّ بن سِنْبِس بن مُعَاوية فأعقب من أَبَان بن عدِىّ، وهو نخذ .

والعقب من رَبِيعة بن جَرْوَل بن أبى أَحْزَم : هَزومة، وأعقب هَزومة من أَحْزَم، وأعقب أَحْزَم من عَبْشَمْس مكسور الباء متصلا .

وأما مَذْحِج، وهو مالك بن أُدَدَ بن زَيْد فأعقب من أنخاذ أربعة، سَعْد العَشيرة، ومُرَاد، هو يُحَابِر، وعَنْس، ولُمَيس، وجَلْد أولاد مالك وهو مَذْحِج؛ والى مُرَاد هذا يُنسب كلّ مُرَادِىّ، وسُمّى مُرَادا لتمرّده، والى عَنْس يُنْسب كلّ عنسىّ، منهم عَمَّار بن يَاسِر الصحابىّ والأسود العنسىّ الكذّاب .

(١) ضبط فى الأصل بضم السين والباء وكذا فى صبح الأعشى، وضبطه السويدى فى سبائك الذهب بفتح السين، وذكر فى القاموس أنه بالكسر وكذا فى الصحاح واللسان وكتاب المعارف لابن قتيبة .

والعقب من سعد العشيرة بن مالك من ثلاث عشرة فخذا وهم زَيْد اللات ، وعَابِد اللات ، وعَبْـد اللات ، وجا(١) ، وجُعْفِيّ ، وجَرْد ، وحَكَم ، وأَوْس اللات ، ونَمِرة ، وأَنَس اللات ، وسَعْد اللات ، وعَمْرو ، وصَعْب : أولاد سعد العشيرة لصلبه فإلى جعفيّ هـذا يُنسب الجعفيّون ، والى نمرة يُنسب النمريّون ، وفى نمرة فخذان : جَدَا ، على وزن ندا ، وسِلْهِم ابنا نمرة .

وأما جُعْفِيّ فالعقب منه فى فخذين : مَرَّان ، وحَرِيم ابنى جعفىّ بن سعد العشيرة ، يرجع بنو سِلْهِم بن حكم فخذ(٢) بكسر السين والهاء .

وأما صَعْب بن سعد العشيرة ، فالعقب منه فى زُبَيد ، واسمه مُنَبِّه ، واليه يرجع كل زبيدىّ ؛ وفيهم عدّة أفخاذ منهم بنو حرب وغيرهم . وقيل للفخذ زُبَيْد وهم بنو منبه الأكبر لأن مُنَبِّها الأصغر بن صَعْب بن سـعد العشيرة بن مالك بن أُدَد قال : من يَزْبُدُنى رِفْدَه ؟ فأجابه الى ذلك أعمامه كلّهم بنو مُنَبِّه الأكبر ، فقيل لهم جميعا زُبَيْد . ومن بنى زُبَيد مَازِن بن منبّه .

والعقب من مُرَاد بن مَذْحِج من فخذين : نَاجِية وزاهر ابنى مُرَاد بن مَذْحِج .

والعقب من ناجية : جَمَل بن كِنَانة بن نَاجِية بن مُرَاد رهط هند بن عمرو الجَمَلِىّ الذى قتله ابن يَثْرِبِى فى يوم الجمـل ؛ وجمل هذه رهط سِـيفَوَيْه القاص . قال : وينزلون بنهر الملك ؛ وعُطَيف بن ناجيـة بن مراد رهط فَرْوَة بن مُسَيْك العطيفىّ الصحابىّ ، وسَلْمَان بن يشكُر بن ناجية بن مراد رهط عُبَيْدة السَّلْمانىّ ، وهو جاهلىّ [١٠٨] إسلامىّ من كبار التابعين .

---

(١) كذا بالأصل وصوابه "خارجة" .

(٢) كذا بالأصل والكلام مبتور .

ومن ناجية : قَرَنُ بن رَدْمانَ بن نَاجية بن مُرَاد رهط أُوَيْس القَرَنىّ نفعنا الله والمسلمين ببركته .

وفى مراد تَجُوب، وهو رجل من حِمْير، كان أصاب دَمًا فى قومه فلجأ إلى مُراد فقال : جئت اليكم أجوبُ البلاد لأحالفكم ؛ فقيل له : أنت تَجُوب، فسُمِّىَ به ؛ وهو فى مُرَاد رهط عَبد الرحمن بن مُلجَم المُرادىّ التُّجُوبىّ — لعنه الله — قاتل علىّ ابن أبى طالب رضى الله عنه .

وأما جَلْد بن مَذْحِج، فأعقب منه عِلَّة بن جَلْد ؛ والعقب من علة من ثلاث أفخاذ : عَمْرو وعَامر وحَرْب ؛ فمن بنى حرب بن علة : رَهَاء وهو رهاء بن منبـه بن حرب ابن علة، منهـم مالك بن مُرارة الرَّهاوىّ الصحابىّ، ويَزيد بن شَجَـرة الرّهاوىّ، وصُدَاء وهو يزيد بن حرب بن علة، منهم زِيَاد بن الحارِث الصُّـدَائىّ الصحابىّ .

وأما عَمْرو بن علة بن جَلْد بن مَذْحِج، فالعقب منه ثلاث أفخاذ : النَّخَع القبيلة المشهورة، وكَعْب، وعَامر .

فأما النَّخَع بن عَمْرو، فأعقب منه فخذان : مَالِك وعَوْف ابنا النَّخَع .

وأما كَعْب بن عَمْرو فأعقب منـه فخذان : الحَارث، وهم بَلْحَارِث بن كَعْب ورُعَيل بن كَعْب .

وأما عَامر بن عَمْرو بن علة، فالعقب منه فى فخذ واحدة، وهى مُسْلِيَة بن عَامر .

وأما مرّة بن أُدَد بن زَيْد بن يَشْجُب بن عريب بن زَيْد بن كَهْلان بن سَبَإ، فأعقب من فخذين : مرهم والحارث ابنى مرّة بن أدد ؛ فالعقب من الحارث من فخذين : عَدىّ ومَالك ولديه . فالعقب من مَالك بن الحَارث بن مُرّة خَوْلان بن عمرو بن مالك وإليه يُنسب كلّ خوْلانىّ، ومعَافر بن يَعْفُر بن مالك بن الحـارث

ابن مُرّة بن أدد بن زيد بن يَشْجُب؛ وإليه ترجع المعافر فى أنسابها، ولهم خطة بمصر، ومنهم فخذ بنى قَرَافَة وهى أمهم، وهم الذين عُرِفتْ بهم القَرَافةُ بمصر، ومسجدهم المسجد المعروف بمسجد الرحمة بالقَرافة؛ وهم بنو عِضّ بن سيف بن وائل بن الحرىّ بن المَعافر بن يعفر .

وأما عَدِىّ بن الحارث بن مُرّة فأعقب من أربع أبطن لصلبه، وهم عُفَيْر ولَخْم: قبيلة؛ واسمه مالك بن عدىّ، وجُذَام بن عدىّ: قبيلة؛ واسمه عامر، والحارث بن عدىّ وهو عامِلة: قبيلة؛ وإنما سُمِّيا لخما وجُذاما لأن أحدَهما لَخَم وجهَ أخيه فَسُمِّى لخما، واللخمة: اللطمة، وجَذَم الآخرُ إصبعَ أخيه فقطعها فَسُمِّى جُذَاما، وهما القبيلتان المشهورتان؛ والحارث بن عدىّ وهو عاملة وإليه يرجع كلّ عاملىّ، وعاملة وهى بنت مالك بن وَدِيعَة بن قُضَاعة؛ وهى أمّ ولد الحارث المذكور .

فأما عُفَيْر بن عدىّ بن الحارث فأعقب من ثَوْر بن عُفَير، وثَوْر هو كِنْدة الملوك فأعقب كِنْدة من فخذين: مُعَاوِيَة وأَشْرَس ابنى ثور؛ والعقب من معاوية هذا من ابنيه مُرَتِّع وزيد؛ فمن ولد مرتع بنو امرئ القيس وبنو الرائش وبنو معاوية الأكرمين وبنو وهب . وبنو بدًّا مشدّد، خمسة: بنو الحارِث بن مُعَاوية بن ثَوْر بن مُرَتِّع؛ وإلى مُعَاوية بن الحَارِث يرجع امرؤ القيس بن حُجْر بن الحارث بن عَمْرو ابن حجر آكل المُرَار بن معاوية المذكور الكندىّ الشاعر . والنسب إلى امرئ القيس بن الحارث بن معاوية المقدّم ذكره: مَرقسىّ، مسموع عن العرب، وكلّ امرئ القيس غيره فى العرب فالنسب مَرْئىّ بوزن مَرعىّ .

والعقب من أَشْرس بن ثَوْر وهو كِندة بن عُفَير بن عدىّ: السَّكُون بن أشرس، والسَّكاسك: وهو حُمَيس السَّكْسَك بن أشرس، وإليهما يُنسب السَّكونيون

والسَّكْسَكِيُّون؛ ومن السكونيِّين معاوية بن حُدَيج السكونىّ الصحابىّ، وحاشد بن أشرس، ومالك بن أشرس .

والعقب من السكون بن أشرس من نخـذين : شَبِيب وعُقْبة ٱبنى السَّكون . أعقب شبيب بن السكون من أشرس وشُكَامة، فأعقب أشرس بن شبيب بن السَّكون ٱبن أشرس من عدىّ وسـعد . وهم تُجيبُ البطن المشهورة ؛ ولهم خطة بمصر ، وعرفوا بتُجيب، وهى أمهم بنت ثَوْبان بن سُلَيم بن رَهاء بن منبّه بن حرب بن علة ٱبن جَلْد بن مَدِحج .

والعقب من مالك بن أشرس بن شبيب المذكور : الصَّدِف، واسمه عمرو بن مالك، وإليه يُنسب كلُّ صدَفىّ بالفتح كما قالوا : شقَرىّ ونَمَرىّ وسلَمىّ : فى شقرة تميم ونمر ابن قاسط وسلَمة من الأنصار . ومن النسّابين من قال : الصدف هو سِماك بن عمرو ٱبن دُعْمىّ بن حضرموت .

وأما لخم بن عدىّ، فأعقب من نخذين وهما لصلبه : نُمـارة وجَدِيلة، ويقال : جُديلة ؛ وذكر الوزير أبو القاسم بن المغربىّ أنه قيل فيها : جُدَيْلة بالباء بواحدة .

والعقب من نُمارة بن لخم بن عدىّ بن الحارث بن مُرّة بن أُدَد بن مالك بن نُمـارة نخذ، وحبيب بن نمـارة، وهو عمَمٌ | وعدىّ بن نُمـارة | [1] سُمّى بذلك لأنه أول من ٱعتمّ، وهو الذى عمم ملوك العراق ؛ ولهم إخوة صغار، كالوجما بن نُمـارة وقَبِيصة وعمـرو وعوف ومجن أولاد نُمـارة أعقبوا ؛ ومن يُنسب اليهـم يُعزَى لجـدّهم لخم وأمهم نُمـارة .

ومن بنى مالك بن نمارة الفحد الأولى : بنو راشدة بن مالك بطن مشهورة .

(١) الزيادة عن " السبائك " وتوجد أيضا من كلامه الآتى قريبا .

ومن بنى عدىّ بن نُمارة، وهم عَمَم بن لخم : بنو نَصْر بن ربيعة من ربيعة بن نصر .

ومن ولد نصر بن ربيعة : النعمان بن المنذر بن ماء السماء وهى أمه بضدّ ما فى غسّان، (٩) لأن غسّانَ عامرا ماءَ السماء أبٌ فهو ثَمّ "أبٌ" وهاهنا "أُمٌّ"، وماء السماء هاهنا هو آمرؤ القيس بن النعمان بن آمرئ القيس بن عمرو بن عدىّ بن نصر بن ربيعة . قال : وفى ذلك خلاف .

ومن بنى حبيب بن نُمارة بنو الدار بن هانئ بن حبيب بن نُمارة، ينتسبُ كلُّ دارىّ إلى هذه البطن، وهم رهط تميم الدارىّ الصحابىّ المعروف بالمختطِف، وقد انقرض تميم الدارىّ ولا عقبَ له .

وأما جَزِيلة[(٢)] بن لَخْم ويقال : جُزَيلة، فأعقب من أَرَاش وجحر وحُلَيل ويشكُر وعمرو، أولاد جزيلة بن لخم . فمن بنى أراش بن جزيلة أَرْش بن أراش لا غير، ويقال : أُرَيْش مصغّرا .

والعقب من أَرْش بن أَراش من فخذين : غَنْم وحَدَس — بالحاء المهملة والدال المهملة المحرّكتين — والحمراء القبيلة لها خطة بمصر، والأشعث فخذ، وهذه الحمراء فى غيرها من الحمراء من قُضاعة، وفَهْم، وعَدوان، والأَزْد، وهُذَيل بن مدركة وبنى الأزرق وهم من الروم، ومنهم سُمّيت الحمراوات .

فأعقب غَنْم بن أُرَيش بن أَرَاش بن جَزِيلة بن لخم من صعب وفَهْم وزِرّ وعمرو : أولاد غنم .

ومن شيوخ النسب من قال : إن النعمان بن المنذر بن ماء السماء بن امرئ القيس ابن المنذر بن النعمان بن امرئ القيس بن عُيَيْنة بن أبى الحرام بن العَمَرَّط بن غَنْم ابن عَوْدة بن عُبيد بن زِرّ المذكور .

(٢) كذا فى الاصل وفى السبائك أيضا بالزاى وأوردها القاموس فى مادة (ج ز ل) وهو مخالف لما سلف له قريبا من قوله (جديلة) فتنبه .

والعقب من حَدَس بن أُرَيش بن أراش بن جَزِيلة بن لخم من ربيعة ورَميمة .

والعقب من ربيعة بن حَدَس أربع عشائر : مَنارة ، وسعد ، وكعب ، والهُذَيم : بنو ربيعة .

والعقب من هُذَيم هذا من حُدَاد وعامر والحارث : بنى الهُذيم .

والعقب من رميمة بن حَدَس بن أُريش بن أراش بن جَزِيلة من عمرو وجدّه .

والعقب من عمرو بن رميمة هذا : الحارث وصعب وعَلَامة وعدىّ والمنـذر وثعلبـــة .

فأما الحارث بن عمرو فأعقب من أبى بن الحارث ، فأعقب أُبَىّ من كليب وعدىّ .

والعقب من كُلَيب بن أُبَىّ [بن] الحارث من أربع أفخاذ : فيض والحـارث وغَنْم وعُمَيْت : أولاد كليب .

والعقب من فيض بن كليب من أربع أفخـاذ أبى الشتاء ، ورَقَاش ، وحُمران ، وصابى : أولاد فيض بن كُلَيب .

والعقب من الحارث بن كليب بن أبى من سعد وجدّه . وولد كعب بن غَنْم ثلاث أفخـاذ : بنى قرقر بن كعب وبنى بَرّ بن كعب وبنى مُرقِّش بن كعب .

ومن بنى برّ بن كعب : بنو واسع بن كعب : وهم بنو رومى وزُهير وزير وحسان وبرّ أولاد واسِع ، كُلٌّ منهم فخذ .

والعقب من عُمَيت بن كليب بن أبىّ من دَعْجان وجدّه ، ومن أفخاذه : مُغالة بن دعجان الفخذ المعروفة فى آخرين .

وأما حجر بن جزيلة بن لخم ، فأعقب من ثلاث أفخاذ : أَزْدة وزُغَر وأَذَبّ . فأعقب أزدة من فخذين : منيع وعوف ابنى أزدة بن حجر . وأعقب زغر بن حجر

من مالك بن دَعِن، وهو الذى آستخرج يوسف الصدّيق عليه السلام من الجبّ، وله عقب . فهذا مختصر فى نسب لخم .

وأما جذام وآسمه عامر، فالعقب منه فى بطنين : حَرام وحِشْم ابنى جُذام .

والعقب من حَرام بن جذام من نخذين : إياس ومالك ابنى حرام بن جذام .

والعقب من إياس بن حرام من رَبِيل بن إياس، ومن سعد بن إياس، فأعقب سعد هذا من أَفْصَى، فأعقب أفصى بن سعد بن إياس من نخذين : زيد ومالك ابنى أفصى، وأعقب مالك هذا من سعد بطن المنسوب اليها بنو سعد جذام، وإن كان فى جذام عدّة سعود، لكن هذه ذات القُعدُد والبيت والصيت .

ومن ولد زيد بن أفصى بن سعد بن إياس بن حرام بن جذام : سعد بن مالك بن زيد المذكور : بطن؛ ووائل بن مالك ولَهَبَة؛ وإلى وائل بن مالك بن زيد يرجع زيد (١) بن زنباع فى نسبه .

والعقب من مالك بن حرام بن جذام من وائل وسعد . أعقب وائل بن مالك من حُبَيش وجمع ومازن . من ولد حبيش : شُعيب النبيّ عليه السلام وهو شُعيب بن ثُوَيْب بن حُبَيش المذكور آبن وائل بن مالك بن حَرَام بن جذام؛ وأعقب سعد ابن مالك بن حرام بن جذام من غَطَفان : البطن الأكبر فى جذام . وأعقب غطفان ابن سعد من يامة بن عَنْبَس بن غطفان وغنم بن غطفان؛ وأعقب يامة بن عنبس ابن غطفان من علىّ بن يامة؛ وأعقب علىّ من كعب بن على؛ وأعقب كعب بن على من ثلاثة أفخاذ لصلبه : عبيد ومطرود وعوف؛ من ولد عبَيد بن كعب هذا : الضُّبَيب بن قُرط بن حفيد بن سمح (٢) بن عبيد : فخذ؛ وأعقب مطرود الضبيب هذا

---

(١) لعل الصواب " روح " .

(٢) كذا بالأصل ولم نعثر على صحتها فى كتب الأنساب .

من ثعلبة بن أميّة بن الضبيب : فخذ، وعمرو بن مالك بن الضبيب : فخذ؛ وأعقب مطرود بن كعب بن على من خالد وعمرو ومبذول ونُفَاثة .

فأعقب غنم بن غطفان بن سعد من نَضْرة بن غنم فى آخرين، فأعقب نضرة ابن غنم بن صَبِرَة الفخذ المشهورة ابن نصر .

والعقب من حِشْم بن جذام من بُدَيل بن حِشم؛ فالعقب من بديل : بكر وشَنُوءَة ابنى بُدَيل؛ والعقب من بكر هذا من سود بن بكر . والعقب من سعد : أسود وعمرو آبنا سود . والعقب من أسعد بن سود بن بكر بن بديل بن حِشم بن جذام من فخذين : السَّلْم والهُون آبنى أسعد وفى سود أيضا السَّلْم بن مالك بن سود بإسكان اللام فخـــذ .

والعقب من عمرو بن سود من لَهَبَة وحُبَيش وعِدَا أولاد عمرو .

فهذا مختصر من نسب جذام .

وأما عائذة، وهم ولد الحارث بن عدىّ بن الحارث بن مرة بن أدد بن يشجب وهو أخو جذام ولخم، فالعقب من الحارث بن عدىّ المذكور من فخـــذين : الزهد ومعاوية آبنى الحارث : وهما ابنا عاملة كما تقدّم؛ وزهد : فعـــل، من قولهم : شىء زهيد أى قليل .

والعقب من الزهد بن الحارث بن عدىّ من ثلاث أفخاذ : عَوْكَلان وزَحْفان وسَلْمان : بنى الزهد، ومن بنى عَوكَلان المذكور السّـلم بن ظِبْيان بن أبى عزم بن عوكلان المذكور .

والعقب من معاوية بن الحارث بن عدىّ أخو الزهد خمس أفخاذ لصلبه : ثعل، وعِجْل، وسلمة، وقُرَّة، وثعلبة . قال : وهذا النهاية فى اختصار نسب مرّة بن أدد .

وأما الأشعر بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان، فأعقب من جُمـاهير بن الأشعر وله عدد ، وعبد الثريّا بن الأشعر وعبد شمس والأدغم ونُعَيْم أولاد الأشـعر . وأعقب جُماهير وهو جُماهِر بن الأشعر من ناجية بن جماهير له عدد، وأعقب ناجية من وائل بن ناجية وهو البيت .

وهذا مختصر نسب الأشعريّين، ومنهـم من الصحابة : أبو موسى وأبو عامر وأبو بُرْزة؛ وهم نخذ متسع وفيه عدّة أفخاذ وعشائر يطول الكتاب بشرحها .

قال : وهذا نسب بنى مالك بن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب آبن قحطان .

فالعقب من مالك بن زيد من بطنين، وهما نبت والخِيَار ابنا مالك ؛ والعقب من نبت من الغوث ابنـه ؛ والعقب من الغوث بن نبت من عمرو والأزد ؛ والى هذا الأزد يُنسب كلّ أزدىّ .

فمن ولد عمرو بن الغوث : بَجِيلة وهم ولد أنمـار بن أراش بن عمرو بن لِحيان ابن عمرو وأم الغوث وبجيلة بن أنمـار وهى بنت صعب بن سعد العشيرة بن مذحج، وقد قيل : بل هى أم ولد أنمـار .

والعقب من أَنْمار بن أراش بن عمرو بن لِحيان بن عمرو بن مالك بن زيد : خمس قبائل : الغوث وعَبْقر وصُهَيْبة ووَدَاعَة وأفتَـل وهو خَثْعَم : بنو أنمار بن أراش . قال : وذكر علماؤنا فى النسب أن بَجِيلَة هو عَبْقر والغوث وصُهَيبة، وسُمُّوا بذلك لأجل أمهم بَجِيلة، وأن خَثْعم هو أفتلُ وأمّه هند بنت الغافِق الأزدىّ، وسُمِّىَ خثعم باسم جملٍ كان لآل أنمـار أو لآل أفتل بن أنمـار، وكانوا يسمّونه خثعم . ويقال : بل قيل خثعم لأنهم تَخَثْعموا بالدم؛ والأول أقرب الى الصحيح .

والعقب من الغوث بن أنمار من ثلاث أفخاذ وهم زيد وأَحْمَس وقيس كندة : بنو الغوث . وفى أحمس هذا أسلم بن أحمس : فخذ؛ وفى أسلم بن أحمس بن الغوث: دُهْن . معاوية بن أسلم بن أحمس؛ فخذ : رهط عمّار بن معاوية الدُّهنىّ الصحابىّ.

والعقب من عبقر : بجيلة بن أنمـار بن أراش بن عمرو من ثلاث أفخاذ: قَسْر وعَلَقَـة وقَطَن أولاد عبقر . وفى قسر عُرَيْنَـة بن زيد بن قسر، يقال له : قَسْرىّ فى النسب، ويقال : عُرَنىّ؛ والى عَلَقَة يرجع كلّ عَلَقىّ .

والعقب من صهيبة بجيلة بن أنمار بن أراش بن عمرو : أُتَيْد بن خِطام بن صهيبة ابن أنمـار : فخذ .

والعقب من زُرعة بن أنمـار بن أراش بن عمرو بن لحيان بن عمرو من ثلاث أفخاذ : حُزْرُق وسِمْط وحبيب أولاد زرعة .

والعقب من خثعم وهو أفتل بن أنمـار بن أراش بن عمرو بن لحيان من ثلاث أفخاذ : شَهْران وربيعـة وناهِش أولاد عَقْرَس بن خَلَف بن أفتـل وهو خثعم . وفى ربيعة بن أَفْرَس : بنو أكلُب بن ربيعة .

فهذا مختصر كافٍ فى بجيلة وخثعم .

وأما الأزد بن الغوث (واسمه دِراء مثل رِداء، وقيل: دِرء مثل درع،) فالعقب من ولده أربع أبطن، وهم مازن وغسّان؛ وغسّان ماء بسدّ مأرِب باليمن وقيـل : بالمُشَلَّل نزلوا به فنُسبوا اليه؛ والى غسّان هـذا يُنسب كلّ غسّانىّ ، ونصر وعبـد الله والهِنُو بنو الأزد بن الغوث؛ والى غسّان هـذا يرجع الأنصار ، وقد يكون مِن غسّان من ليس أنصاريّا كثيرا، ويكون من مازن من ليس غسّانيا .

والذى نزل على غسان من الأزد بعضُ بنى آمرئ القيس البِطْريق بن ثعلبة البُهْلول ابن مازن وماويّة وربيعة وآمرؤ القيس : بنو عمرو بن الازد، وكُرْز وعامر ابنا ثعلبة البهلول بن مازن بن الأزد .

والعقب من عبد الله بن الأزد بن الغوث من ثلاث أفخاذ : الحارث وقرن وعُدْثان أولاد عبد الله بن الأزد .

والعقب من عدثان (١) هذا من عَكّ وسود ومالك وغالب وكعب ؛ ومن بنى سود ابن عدثان : طاحِيةُ بن سود فخذ .

والعقب من عك بن عدثان فخذان الشاهد وصُحارٌ ابنا عَكّ .

والعقب من الشاهد بن عك : غافق، واليه يُنسب كلّ غافقىّ ؛ قال : ولهم خطّة (١١١) بمصر، وساعدة ابنا الشاهد . وقيل : بل هو غافق بن الحارث بن عك بن الحارث ابن عدثان .

والعقب من صُحار بن عك بن عدثان : بَوْلان وعَبْس وغسّان أولاد صُحارٍ هذا .

وأما نصر بن الأزد، فأعقب من مالك بن نصر من أربع قبائل : عبد الله وراسب ومَيْدَعان وأكفر من حِمارٍ : أولاد مالك بن نصر بن الأزد . والى راسب يُنسب كلّ راسبىّ ؛ وفى بنى مالك راسبيون أُخَر يأتى ذكرهم إن شاء الله تعالى .

والعقب من عبد الله بن مالك فى كعب بن عبد الله ؛ ومنه فى الحارث بن كعب .

والعقب من الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك من ثلاث أفخاذ : كعب ومالك ونُبَيْشة وهو فاسخة ؛ فمن ولد فاسخة بن الحارث بن كعب : بنو غراء بن شُرَيْق

---

(١) وردفى كل كتب النسب التى تحت أيدينا باسم (عدنان) بالنون وقال عنها صاحب القاموس ما يأتى : «وعك بن عدثان بالثاء المثلثة ابن عبد الله بن الازد ، وليس ابن عدنان أخا معدّ» .

ابن فاسخة ؛ ومن ولد مالك بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر : بنو مَجَاعَة وبنو الأرنب ابنى مالك .

والعقب من كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر : زَهْران وأَحْجُن وعبد الله أولاد كعب بن الحارث ، والى زهران يُنسب كلّ زَهرانى . ومن أفخاذه دَهْمان بن نصر بن زَهران ، وغاضرة بن زهران ، ودَوْس بن عدثان من زهران ، منهم أبو هريرة الدوسى الصحابى ؛ واسمه عمرو بن عامر ، وفى اسمه خلاف .

والعقب من أحجن بن كعب بن الحارث بن كعب بن عبد الله بن مالك بن نصر من ثلاث : أسلم ولهْب وقرن أولاد أحجن ، فمن أفخاذ أسلم هذا بنو ثُمالة وهو عوف ابن أسلم بن أحجن : رهط محمد بن يزيد المبرّد النحوى ؛ وفيه يقول عبد الصمد ابن المُعَذَّل :

سألنا عن ثُمالة كلَّ حىٍّ * فقال القائلون ومن ثُمالَهْ
فقلت محمد بن يزيد منهم * فقالوا زدتنا بهم جهالَهْ

وأما مَيْدَعان بن مالك بن نصر فمنه أربع أفخاذ : راسب واليه يُنسب الراسبيّون أيضا ، ومُنْهِب وحبيب ومعاوية بنو مالك بن ميدعان .

فهذا مختصر نسب بنى نصر الأزديين .

وأما الهِنو بن الأزد ، فأعقب من سبع أفخاذ : الهُون وبُدَيد ودَهْنة وبَرْقًا وعَوْجا وأَفْكه وحُجْر أولاد الهنو ؛ فأعقب الهُونُ من فخذين : النَّدَب ونَكل .

وأما مازن بن غسّان بن الأزد فأعقب من فخذين لصلبه ، وهما عمرو وثعلبة العنقاء ، سُمّى بالعنقاء لطول عنقه .

فالعقب من عمرو بن مازن بن الأزد فى عدّة أولاد كلّهم فى الأزد، من جماجمهم عَدىّ والعاص؛ فأما العاص فمن ولده بنو بُقَيلة بن سُنَين بن زيد بن سعد بن عدىّ آبن نمير بن صوفة بن العاص بن عمرو بن مازن، وسُمّى بُقَيلة لأنه لبس ثوبين أخضرين .

وأما عدىّ بن عمرو بن مازن بن الأزد فأعقب من عدّة أولاد، من جماجمهم هند ابن هند بن عمرو بن عدىّ، وصَبِرَة بن عمرو بن صبرة بن حارثة بن عدىّ، ومسعود بن مازن بن ذئب بن عدىّ؛ اليه يرجع سَطِيح الكاهن وكلّ مسعودىّ فى الأزد، وجميع بنى عدىّ بن عمرو يعزون الى الأزد .

وأعقب ثعلبةُ العنقاء بن مازن بن غسّان من آمرئ القيس البطريق بن ثعلبة؛ فأعقب آمرؤ القيس البطريق حارثة الغِطْريف؛ فأعقب الغطريف من عامر ماء السماء؛ فأعقب عامر ماء السماء من عمران وعمرو وهو مُزَيْقِياء سُمّى بذلك لأنه كان يمزّق فى كلّ يوم [حلّتين] لئلا يلبسهما غيره .

والعقب من عمرو مُزَيْقِياء بن عامر ماء السماء بن حارثة الغطريف بن آمرئ القيس البطريق بن ثعلبة العنقاء بن مازن بن غسّان وهو السِّرَاج بن الأزد بن الغوث فى ست أفخاذ ثعلبة، بطن الأنصار، وحارثة بطن خزاعة، وجَفْنَة بطن، وعمران من أزد عُمَان، ومحرِّق بطن، سُمّى بذلك لأنه أوّل من حَرَّق بالنار، وكعب : أولاد عمرو مزيقياء واليهما يرجع نسبُ الأنصار . فأما الأوس بن ثعلبة بن عمرو فأعقب من مالك بن الأوس، وأعقب مالك من خمس قبائل : النَّبِيت، وعوف، وجشم، وامرئ القيس، ومرّة : أولاد مالك بن الأوس .

قال : وسُمّى النَّبِيت نَبِيتًا لكثرة ولده، فأعقب النبيت من فخذين الحارث وكعب وهو ظَفَر بن الخزرج بن النبيت الأوسىّ؛ فأعقب الحارث بن الخزرج بن النبيت

من ابنيه : جشم وحابية؛ فأعقب جشم من رَعْوان وانقرض، ومن عبد الأشهل : ابنى جشم ؛ وأعقب حابية بن الحارث من مجدَعة وجويرَة وجشم بنى حارثة ؛ ومن بنى جشم بن حارثة بنو خَدِيج بن رافع بن عدىّ بن جشم ، وظُهْر بن رافع بن عدىّ .

وأما ظَفَر وهو كعب بن الخزرج بن النبيت بن مالك بن الأوس — وبنو ظفر البطن المشهورة فى الأوس — فأعقب من أربع أفخاذ ، وهم بنو مُرة وهيثَم وعبد رَدَاح وسواد : بنى ظفر بن الخزرج؛ ومن بنى سواد بنو الحَطِيم بن عدىّ بن عمرو ابن سواد : فخذ؛ فهؤلاء بنو النبيت .

(١١٢) أما عوف بن مالك بن الأوس فأعقب من عمرو، وأعقب عمــرو من لَوْذان، فخذهم بنو السِّميعة وثعلبة وحبِيب وعوف أولاد عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس .

والعقب من عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس من بنيــه : مالك وجِلْس وكُلْفَة؛ فأعقب مالك بن عوف من بنيــه : عُزَير ومعاوية وزيد؛ وأعقب زيد بن مالك هذا من ضُبَيْعة: الفخذ المشهورة، وأميَّة الفخذ المشهورة فى الإسلام، وعُبَيد أولاد زيد؛ وبنو ضُبَيعة بن زيد بن مالك: يقال لولده : بنو كسْر الذهبِ، منهم بنو حارثة بن عامر بن مُجَمِّع بن عِطاف بن ضبيعة بن زيد بطن معروفة . ومن أفخاذ كلفة بن عمرو بن عوف : جُلَاح بن حَرِيش بن جَحْجَبَى من كُلفة : بطن .

وأما جشم بن مالك بن الأوس بن حارثة . فأعقب من خَطْمَة : بطن؛ واسم خطمة عبد الله، وإنما سُمّى خطمة : لأنه خَطَم رجلا بسيفه على خَطْمه فسُمّى به، وأعقب خطمة بن جشم من ثلاث أفخاذ : الحارث وعامر ولوذان بنى خطمة .

وأما آمرؤ القيس بن مالك بن الأوس، فأعقب من فخذين : بنى السَّلْم وبنى واقف، واليه يرجع كلّ واقفىّ فى الأوس .

وأما مرّة بن مالك بن الأوس بن حارثة ، فأعقب من ثلاث أفخـاذ : عامر وسعيد ومازن .

وهذا نهاية الاختصار فى ولد الأوس .

وأما الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو مُزيقياء ، فأعقب من خمس أفخاذ : الحارث وعمرو وعوف وجشم وكعب بنى الخزرج .

والعقب من الحارث هذا من سبع أفخاذ : عوف وحُرَديش وجشم وصخر وجديم والخزرج وزيد أولاد الحارث ، ومن عوف بن الحارث بن الخزرج : خُدْرَة وخُدَار ابنا عوف ، ولخدرة يرجع أبو سعيد الخدرىّ وهو فخذ بنى خدرة .

وأما عمرو بن الخزرج فمن ولده بنو النجّار بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج البطن المشهورة ، واسم النجار تَيْم الله يدعى العِتْر ، واليه يرجع حسّان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد منـاة بن عدىّ بن عمرو بن مالك بن النجار الشاعر أعنى بالشاعر حسّان ، وقد انقرض عقب حسّان .

وأما عوف بن الخزرج فمن أفخاذه بنو غنم قَوْقِل : فخذ ، وهو أُطُم كان لبنى غنم ، وسالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج ، وغنم رهط عُبَـادة بن الصامت الصحابىّ . ومن بنى عوف بن الخزرج سالم الحُبْـلَى بن غنم بن عوف ، سُمِّى بذلك لعظم بطنه .

وأما جشم بن الخزرج ، فأعقب من فخذين وهما تَزِيدُ وغَضْب ابناه لصلبه ، فمن أفخاذ تزيد بن جشم هذا بنو سَلِمة وربيعة ابنا سعد بن علىّ بن راشد بن ساردة ابن تزيد ، وسَلِمة رهط معاذ بن جبل الصحابىّ بكسر اللام .

وأما غصب بن جشم بن الخزرج ، فمن أفخاذه بنو زُرَيْق و بَيَاضَـة ابنى عامر ابن زريق بن عبد بن حارثة بن مالك بن غصب بن جشم بن الخزرج .

وأما كعب بن الخزرج فمن أفخاذه سعيد وقيس ابنا سعد بن عبادة بن دُلَيم بن حارثة بن أبى جَذِيمة بن طَرِيف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج ؛ وقد انقرض قيس بن سعد بن عبادة .

ومن كعب بن الخزرج المذكور غير طريف هذا : ثلاث أفخاذ أخر إخوة طريف ابن الخزرج هذا ، وهم ثعلبة وعامر وعمرو؛ كان لعامر هذا ابن الخزرج بن ساعدة ابن كعب بن الخزرج الأوّل : بنو قَسِّيَّة بن عامر وقد انقرضوا عن آخرهم .

فهذا مختصر كاف فى أنساب الأوس والخزرج .

وأما حارثة بن عمرو مزيقياء ، فأعقب من أربع أفخاذ : عمرو بن ربيعة بن حارثة وهو أبو خُزاعة ؛ وإنما قيل لهم خزاعة لأنهم انخزعوا من بنى عمرو مزيقياء بن عامر ، والانخزاع : التقاعس والتخلّف ، فأقاموا بمَرّ الظَّهْران بجنبات الحرم ، ووُلُّوا حِجابةَ البيت دهرا وهم حلفاء بنى هاشم ؛ وقد اختلف النُّسابون فى خزاعة بعد إجماعهم على أنهم وِلد عمرو بن لُحَىّ ، وأنّ خزاعة هو كعب بن عمرو بن لحىّ بن قَمَعَة بن خِنْدِف ، وهو ابن الياس بن مضر ؛ وعمرو بن لحىّ هو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [فيه] لأكثم بن أبى الجون الخزاعى : "يا أكثم رأيتُ عمرو بن لحىّ بن قمعة بن خندف يجرّ قُصْبه فى النار ، ما رأيت رجلا أشبهَ منه برجل منك" ، فقال أكثم : أيضرّنى شبهه يا رسول الله؟ فقال : "لا ، لأنك مسلم وهو كافر" والقُصْبُ : الحشوة من الأمعاء وهو المصران ؛ وكان عمرو بن لحىّ أوّلَ من غيّر دين إسماعيل عليه السلام ، فنصب الأوثان ، وسيّب السائبةَ ، وبحّر البحيرةَ ، ووصل الوصيلةَ ، وحمى الحامىَ . قال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما : نزل القرآن بلغة الكعبيْن : كعب بن لؤىّ وكعب بن عمرو بن لحىّ ، وذلك أن دارهم كانت واحدة ، وأفصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء وعدىّ بن حارثة وعمرو بن حارثة .

(١١٣)

فأما عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء، قال شيخنا شيخ الشرف : عمرو هو خزاعة نفسه أعقب من خمس أفخاذ : كعب وسعد وعدىّ ومُلَيح وهو لحىّ : بطن كثيّر بن عبد الرحمن الشاعر، وعوف بن عمرو خزاعة .

، فأما كعب بن عمرو خزاعة بن ربيعة فأعقب من ستّ أفخاذ ، وهم منُقِذ وسَلُول وحُبْشِيَّة ومطرود ومازن وسعد : أولاد كعب بن عمرو خزاعة .

فأما سلول بن كعب واليه ينسب كل سلولىّ، فاعقب من ثلاث أفخاذ : حبشيّة وعدىّ وحِرمِز، فأعقب حبشيّة بن سلول من قُمَيْر وضَاطِر وكليب وحُلَيل وغاضرة : بنيه لصلبه . وأعقب عدىّ بن سلول من حَبِير وهَيْنه وحُرَيز : بنى عدىّ

وأما حبشيّة بن كعب بن عمرو خزاعة، فأعقب من ابنيه لصلبه : غاضرة وحرام .

وأما سعد بن عمرو وهو خزاعة، فأعقب من ثلاث قبائل : بنى المُصْطَلِق، وبنى عامر وبنى الكاهن .

وأما أفصى بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فإنه أعقب من أسلم : بطن فى آخرين، وهم مَلَكَان وزيد وعمرو وعدىّ وجُهَادة وحَطَّاب وسَوادة وجُرَيش وامرؤ القيس وصهيبة وجشم ؛ فمن بنى أسلم بن أفصى : سلامان : فخذ، وهَوزن : فخذ ابنا أسلم ابن أفصى، ومن ملَكان بالفتح، ا ن أفصى : غَبْشان بن ملكان : فخذ، منهم ذو الشِّمالين المقتول ببدر .

وأما عدىّ بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من سعد بارق، نزل بماء بالسراة أيام سدّ مأرب يسمَّى بارق، وقيل : هو جبل . وقيل : بل تبعوا البرق فسُمّوا بذلك، وعمرو وعوف : بنى عدىّ .

وأما عمران بن عمرو مزيقياء، فأعقب من الأَسْد والحُجْر ابنيه لصلبه ؛ فأعقب الأسد من ثلاث أفخاذ : العَتِيك وشُهَيل والحارث بنى الأسد ؛ فمن ولد العتيك

أسـد بن الحارث بن العتيك : فخذ، ووائل بن الحارث، واليه ينسب المُهلَّب بن أبى صُفْرة .

وأما الجحـر بن عِمران بن عمرو مزيقياء، فأعقب من أربع أفخـاذ : زيد مَناة ومرحوم وعمرو وسُود أولاده لصلبه؛ فأعقب عمرو بن الجحر من ابنه رَباب .

وأما كعب بن عمرو مزيقياء، فأعقب من خمس أفخـاذ : السموءل وحنظلة وثعلبة ومالك وقاتل الجوع أولاد كعب بن عمرو .

وأما عمرو بن حارثة بن عمرو مزيقياء، فأعقب من ثلاث أفخاذ : حارثة والرَّبْعَة وملادس بنى عمرو .

وأما جفنة بن عمرو مزيقياء فهم ملوك الشأم . والعقب من جفنة من ثلاث أفخاذ : كعب و رِفاعة والحارث : بنى جفنة فى آخرين .

فالعقب من كعب بن جفنة بن مزيقياء من أُمام والحارث ابنيه لصلبه؛ ومن ولد أُمام : جَبَـلَة بن الأَيْهم بن عمرو بن جبلة بن الحارث الأعرج بن جبلة بن الحارث الأوسط بن ثعلبة بن الحارث الأكبر بن عمرو بن حجر بن هند بن أمام هذا ابن كعب بن جفنة بن عمرو مزيقياء . وقيل : بل هو جبلة بن الأيهم بن جبلة ابن الحارث الأكبر بن ثعلبة بن عمرو بن جفنة، وفيه اختلاف؛ وجبلة هو الذى تنصّر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ومن رفاعة بن جفنة : السموءل ابن أوفَى بن عادياء بن رفاعة بن جفنة : بطن، وأعقب الحارث بن جفنة من المنذر ابن النعمان بن الحارث : بطن ، ومن الحسحاس ومنارة ابنى عوف بن الحارث : بطن؛ و جماعة من قبيلة الأرمن نصارى يزعمون أن جدّهم هيّر يرجع الى جفنة غسّان.

وأما الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان ، فالعقب من ولده فى همْدان وهو أَوْسَلَةُ بن مالك بن زيد بن أوسلة بن ربيعة بن الخيار المذكور . وقيل : هو الجبار بالجيم والباء الموحدة .

والعقب من همدان : ابن مالك بن جشم بن خَيْران بن نَوْف بن همدان هذا ، ومن جشم : ابن بَكِيل وهو الحبك : فخذ ، وحاشد ابنا جشم لصلبه ، فأعقب الحبك من دَوْمان وسَوْران وخَيْران . فمن ولد دومان بن الحبك وهو بَكِيل : أرحب ومرهِبة : ابنا عامر بن مالك بن معاوية بن صعب بن دومان ، اليه يُنسب كلّ أرحبيّ . ومن حاشد بن جشم بن خيران : سَبِيع : فخذ ، ابن سبع بن صعب ابن خيران بن معاوية بن كبير بن خيران ، وهو مالك بن زيد بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران : رهط أبى إسحاق السَّبِيعىّ . وفى ذلك خلاف بين النّسابين فى الأسماء .

وذكر بعض النّسابين أنّ ألهانَ بن مالك : أخا همدان بن مالك ، اليه يرجع ويُنسب كلّ ألهانىّ وهم قليل ، ويَام بن أُصىّ بن نافع بن خيران وهو مالك بن زيد : رهط زُبَيد اليامىّ شيخ الثّوْرىّ .

وذكر بعض النّسابين : أن الأَوْزاع وهم من مَرْثِدة بن زيد عددهم فى همدان وهم من حمير واليه يرجع كلّ أوزاعىّ ، ومن ولد سَدَد بن زُرعة وهو حمير الأصغر : الأوزاع بن سعد بن عوف بن عدى بن مالك بن زيد بن سَدَد . والأوزاع بن زيد ابن سدد ، والأوزاع بن سدد ، والأوزاع بن شُقْران بن المعالّ بن سَدَد .



قال : وهذه النهاية فى اختصار أنساب اليمن ، وقد احتوت على الغاية فى حسن إيصال البطون وتبيينها فى الترتيب ، فلنرجع الى عمود النسب المحمدىّ فنقول :

إن عمود النسب من عابر بن شالخ فى ابنه فالغ بن عابر ،وأمه ميشاخا؛ وكان له من الولد غير عمود النسب الجبابرة، مثل تميم وقينان وسيرى[1] ومُدبِّر وغيرهم انقرضوا كلّهم لم يعقب منهم إلا أرغو بن فالغ، وهو الجدّ الذى يرجع اليه كلّ قرشىّ، وكلّ قيسىّ وهو أحد شعبِي النسب .

والعقب من ولده فى أرغو بن فالغ[1] وكان منه جبابرة انقرضوا، وعقبه فى ابنه شاروع بن أرغو، وكان له غير عمود النسب من العقب عشائر وأولاد جبابرة، منهم يَغْصُم، ويَعْظُم، ونعمان، وبعلاك، وبَهران، وكاشمَ، وطولان وغيرهم هلكوا دارجين .

والعقب منه فى ابنه نَاحور بن شاروع ،فالعقب من ناحور فى ابنه تارَح، وهو آزَر بن ناحور .

ومن تارح غير عمود النسب هاران بن تارح وناحور بن تارح ،فولد هَارَانُ لوطا النبىّ صلى الله عليه وسلم .

وعمود النسب من آزر فى ابنه .

إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام

وهو الجدّ الحادى والثلاثون لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأمه أدبَا بنت نمر بن أرغو بن فالغ بن عابَر، وله من الولد غير إسماعيل عمود النسب إسحاق عليه السلام ويِشْباق وهو طالب، وسَوَاح ، وهو خاضع، وزِمْرَان، وهو نَجدان، ومَدَان، ويُقْشان، وهو مصعب؛ فهؤلاء ولد إبراهيم عليه السلام لصلبه، والعقب منهم غير عمود النسب وهو إسماعيل لإسحاق لا غير؛ فولد إسحاق صلى الله عليه وسلم

(١) الاسمان المرقومان برقم ١ وردا فى الأصل هكذا ، وفى التوراة : (سترى) . (رعو بن فالج) .

يعقوب إسرائيل الله صلى الله عليه وسلم والعِيصُ وهو عيصو[١]، وُلدا فى بطن واحد، فخرج عيصو أوّلا وخرج يعقوب بعده، ويده عالقة بعقبه فسُمّى يعقوب، وأمهما رِفْقَا[١] بنت ناحور بن تارح بنت عم أبيهما إسحاق، فولد العيص بن إسحاق: رَعْوَال[١] ويَعُوس وأَلِيفَاز ويَعْـلام وقُورَح ورُوم، فولد أليفاز بن العيص عَمَـالق[١] وغيره. وولد رْعوال بن العيص ناجب وغيره. وولد رُوم بن العيص بن إسحاق: بنى الأصفر لأن روم كان رجلا أصفر فى بياض فلذلك سُمِّيت الروم بنى الأصفر.

قال: وعمّر عيصو مائة وسبعا وأربعين سنةً، وكذلك يعقوب، ودفنا معا عند قبر أبيهما إبراهيم الخليل عليه السلام فى مزرعة حَبْرُون. وقيل: هى مزرعة عَفْرُون كان إبراهيم اشتراها لقبره، وفيها دُفنت سارَةُ.

ومن ولد العيص أيوب النبىّ عليه السلام، قيل هو أيوب بن أَموص بن تارَح ابن رفو بن عيصان بن إسحاق، وأمه من ولد لوط بن هاران عليه السلام.

وولد يعقوب عليه السلام آثنى عشر سِبْطا منهم يوسف النبىّ عليه السـلام: عزيز مصر وصاحبهـا، وإخوته كاد[١] وبَنْيامين ويهوذا ونَفْتَالى وزَبُولُون وشِمْعون ورَأُوبِين، وكشاحا، ولَاوِى، ودَان، ويَاشِير[٢]. جاء من ولد يهوذا: سليمان النبىّ عليه السلام، وجاء من سليمان: مريم بنة عِمران أمّ المسيح عليهما السلام. وجاء من لاوى بن يعقوب: موسى كليم الله وهارون عليهما السلام ابنا عمران بن قاهث، وجاء من ولد هارون: يحيى بن زكريّا والياسُ والْيَسَعُ والعُـزَيْرُ. وقد روى: أن الياس بن مضر نبىّ، وأنه المعنىّ بقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ. سَـلَامٌ عَلَى آل يَاسِينَ﴾ فى قراءة نافع وابن عامر، وأن آلَ ياسين آلُ محمد صلى الله عليه وسلم.

(١) الأسماء المرقمة برقم ١ وردت كذا فى الأصل؛ وفى التوراة: عيسو. رفقة. رعوئيل. يعوش. عماليق. جاد. (٢) فى التوراة: أشير.

والعقب من يوسف الصدّيق عليه السلام أَفْرائِيم ومَنشا(١) ابنيه لصلبه؛ فمن ولد أفرائِيم : يُوشَع بن نُون وصىّ موسى عليه السلام ، وهو الذى رُدّت عليه الشمس فى حربه ، وهو يوشع بن نون بن عازر بن شوتالح بن داباد بن ناحب بن العاد ابن ناحب بن يارد بن شوتالح بن أفرائيم بن يوسف بن يعقوب ، وفى ولد منشا ابن يوسف : موسى بن منشا بن يوسف، وولد لمنشا ابنة اسمها رَحْمة، وهى امرأة أيوب عليه السلام .

قال : وزعم أهـل التوراة أن الله تعـالى نبّأه وأنه صـاحب الخضر، وذكر (١١٥) المؤرخون أنه لـما مات يعقوب فشا فى الأسـباط الكهانة فبعث الله تعالى موسى ابن منشا يدعوهم الى عبادة الله تعالى، وهو قبـل موسى بن عمران بثمـانمـائة سنة والله تعالى أعلم .

ونرجع الى عمود النسب ، وهو من ابراهيم فى ولده إسماعيل الذبيح بن ابراهيم الخليـل عليهما السـلام ، وأمه أم ولد تدعى هاجَر، من قبط مصر من قرية يقال لهـا : أمّ العرب نحو الفرما .

واختلف العلماء فيما بين عدنان الى إسماعيل فى ذكر الآباء، فمن العلماء من ينسب، اليمن الى إسماعيل عليه السلام ويقولون : إنهم من ولد يَمَن بن نَبْت بن إسماعيل ، وافترق باقى ولد إسماعيـل فى أقطار الأرض فدخلوا فى قبائل العرب ودرج بعضهم فلم ينسب النسابون لهم نسبا الا من كان من ولد قَيْدار ابنه عمود النسب .

قال : واتفق أهل العلم بالنسب كما وجدوه فى التوراة وكما حملوه عن علماء أهل الكتاب، وكما روى عن عبد الله بن عباس: أن النسب فيما بين آدم و إسماعيل صحيح

(١) فى التوراة : مسى .

على ما أوردناه لاخلف فيه بينهم ولا خلاف الا فى الأسماء لتنقل الألسنة ، وانما الخلاف فيما بين إسماعيل وعدنان، وذلك أن قدماء العرب لم يكونوا أصحاب كتب يرجعون اليها، وانما كانوا يرجعون الى حفظ بعضهم من بعض، فمن أجل ذلك حدث الاختلاف فيما حفظوه، فقال قوم برواية، وقال آخرون برواية. قال: وهذه الرواية التى أوردها فى هذا التأليف هى أحسن الروايات،وهى عمدة أكثر النسّابين الأجلّاء ، وعليها كان يعتمد شيخ الشرف محمد بن أبى جعفر الحسينىّ العُبَيدلىّ النّسابة، وهى رواية عبد الله بن عباس ، واختيار أبى بكر محمد بن عبده العبقسىّ النّسابة الطرسوسىّ وغيره .

وكان لإسماعيل عليه السلام من الولد غير قَيْدار عمود النسب أحد عشر ولدا وهم مَسًّا ويَطُور ومِسماع ودُوماء، وقيل : هو الذى بنى دُومَة الجَنْدل، ومبشام وإديال ونَعَابوا وتيما، وحُداد ونافيس وقَيدَما .

وعمود النسب من إسماعيل عليه السلام فى ابنه قيدار بن اسماعيل، وأمه هَالَةُ بنت الحارث بن مُضَاض الجرهمىّ ويقال : اسمها سَلمى، وقيل : الحنفا،وقيل : هى أم أولاد إسماعيل كلّهم .

والعقب منه فى ابنه حَمَل بن قيدار، وأمه الغاضريّة بنت مالك الجرهمىّ .

والعقب منه فى نبت بن حمل وأمه هَلمَة بنت زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان، وتدعى حُرَيرة .

والعقب من نبت فى ابنه سلامان بن نبت .

والعقب من سلامان فى ابنه الهميسع بن سلامان ، أمه حارثة بنت مراد بن زرعة ذى رُعَين الحميرىّ .

والعقب منه فى ابنه اليسع بن الهميسع .

والعقب من اليسع فى ابنه أدد بن اليسع، وأمه حيّة من قحطان .

والعقب منه فى ابنه أدّ بن أدد، وأمه النعجا بنت عمرو بن تُبَّع سعد ذىفَائش الحمــــيرى .

والعقب منه فى ابنه عدنان بن أدّ ، وأمه المتَمطِّرة بنت عدى الجرهميّة، وهو الجدّ الحادى والعشرون لسيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد قال أكثر النسّابين: إن العقب من عدنان غير معدّ عمود النسب من علّ، وهو الحارث والذئب والنعمان والضحّاك لا عقب له، وهو المُذْهَبُ الذى يقـال فى المثل : « أحسنُ من المُذْهَبِ » وعدىٌّ دَرَج، والغنىّ وأبىّ وعَدَن، وهو صاحب عدن، وعمرو ونبت وأدّ وعدَا انقلبت فى اليمن .

فأما علّ بن عدنان فكلّ من كان منهم بالمشرق فهم يُنسبون الى الأزد، والذى فى الأزد أيضا علّ بن عدثان بالثاء المثلّثة ابن عبد الله بن الأزد .

وقال شيخ الشرف النسّابة : علّ بن عدنان بالنون، وقال الأفطسىّ النسّابة : علّ بن الحارث بن عدنان بن عبد الله بن الأزد، وكلّ من كان منهم بالشأم ومصر واليمن والمغرب فهم مقيمون على نسبهم فى عدنان .

وأما الذئب بن عدنان فيزعمون أن الأوس والخزرج من ولده، قال عبّاس بن مرداس :

وعلّ بن عدنان الذين تلعّبـوا * بغسّان حتى طرّدوا كلَّ مُطرَدِ

نرجع . وعمود النسب من عدنان فى ابنه معدّ بن عدنان، وأمّه مَهْـدَدُ بنت اللّهَمّ الجرهميّة .

قال النسابون[١] فى أولاده لصلبه فقالوا : إن ولده أحد عشر رجلا ، وقالوا : ثمانية ، وزاد آخرون ، وقال قوم : لم يكن له غير نزار .

قال : فالذى أورد له أحد عشر ولدا ، قال : والعقب من معدّ بن عدنان : عُبَيد الرَّمَّاح أعقب ، وجُنَيد وجُنَادة وحَيد وقبضة ، وقيل : بل اسمه قَنَص انقرض ، وقُنَاصة (١١٦) وحَيدان أعقب ، وشَطّ وعوف وسَنام وقُضاعة ، قال العلماء : وكلّهم انتقلوا فى اليمن وغيرها إلا نزارا ، وقد قيل : إن حيدان هذا هو أبو مَهْرة : القبيلة . وقال النسابون : والقَحْم أعقب ، وسنام أعقب ، وحبيب والضحّاك أعقب ، وأَوْد أعقب : أولاد معـــدّ .

فأما عبيد الرَّمَّاح فانتسب فى بنى مالك بن كنانة ، ومنهم كان إبراهيم بن عربىّ صاحب اليمـامة .

وأما سنام بن معدّ فإنه انتسب فى سعد العشيرة بن مالك فى اليمن .

وأما حَيدَةُ بن معدّ فانتسب فى الأشعريّين .

وأمّا القحم بن معدّ فانتسب فى مالك بن كنانة .

وأمّا أود بن كعب فانتسب فى مذحج .

وأمّا قَنَص فانقرض عقبه ، وقيل : كان منهم النعمان بن المنذر .

وروى عن ابن عباس رضى الله عنه أنه قال : ذو القرنين عبد الله بن الضحاك ابن معدّ بن عدنان .

نرجع . وعمود النسب من معدّ بن عدنان فى ابنه نزار بن معدّ وأمه مُعَانَةُ بنت جَوشُم[٢] الجرهميّة ، ومنه غير مُضر الذى هو عمود النسب ثلاث بطون : ربيعة الفَرَس

(١) لعله : قال واختلف النسابون الخ .

(٢) كذا فى الاصل وفى الطبرىّ : جرشم .

وإياد وأنمـار بنو نزار . والصّرِيحان من ولد إسماعيل عليه السـلام : مُضَر الحمراء وربيعة الفرس، وقولهم: ربيعة الفرس ومضر الحمراء، فزعموا أنه لمـا مات نزار تقسم بنوه ميراثه واستهمُوا عليه؛ وكان له فرس، مشهور فضله فى العرب فأصابه ربيعة فقيل: ربيعة الفرس؛ وكان له ناقة حمراء، مشهورة الفضل بين العرب فأصابها مضر فقيل : مضر الحمراء؛ وكان له جَفنةٌ عظيمة يطعم فيها الطعام فأصابها إياد؛ وكان له قدح كبير يسقى فيه اللبن إذا أطعم فأصابه أنمـار . هـذا أحد ما قيـل فى ذلك ، وسنذكر ما قيل فى قسمة ميراث نزار وما اتفق لأولاده مع الأفعَى الجرهمىّ فى أمثال العرب فى حرف الهمزة وفى قولهم : "إن العصا من العُصَية"، وهو فى الباب الأوّل من القسم الثانى من هـذا الفن فى أوّل السـفر الثالث من كتابنا هـذا إن شاء الله تعـالى .

نرجع . فأمّا أنمـار بن نزار فإنها انقلبت فى اليمن، قال : كذا روينا عن شيوخنا فى النسب ومن قال : إنها انقلبت فى اليمن يقول فيه: إنّ خثعم وبجَيلة ابنا أنمار بن نزار، وإنما لحقا باليمن وانتسبا عن جهل منهما إلى أنمار بن أراش بن عمرو بن الغوث ابن النبيت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبإ بن يشجب بن يعرب بن قحطان.

وأمّا إياد بن نزار وهى القبيلة التى يرجع اليها كل إيادىّ ، فمنها لخذان: بنو دُعْمِىّ ابن إياد، وبنو زَهْر بن إياد؛ ومن زهر بنو حُذَاقة بن زهر : عشيرة فى إياد، اليها يُنسب الحذاقيّون .

وأما ربيعة الفرس بن نزار بن معدّ، فأعقب من ثلاثة أبطن: أَسَد، وهو البطن الأعظم من ربيعة، وضُبَيعة بن ربيعة، وأكلب . وضبيعة يقال له: ضبيعة الأَضْجم ، لأنه كان مائلَ الفم . ومن أكلب ألخاذ منها لصلبه : هُرَير وعوف ومَعْن ومُبَشّر وجليـلة .

والعقب من ضبيعة بن ربيعة بن نزار من ثلاث قبائل : جُلّى وعوف وبدر بنو أحْمَس بن ضبيعة؛ ومن بنى جلّى بنو مُجَمِّع الشعوب : ربيعة بن سَلَمَة بن سعد بن بلال ابن بُهْثة بن حرب بن وهب بن جلّى : بطن .

وأما أسد بن ربيعة فمنه ثلاث بطون : أفصى بن دعمىّ بن جديلة بن أسد ، وعَنَزة بن اللهازم بن أسد ، واسمه عمرو ، وعميرة بن أسد؛ وإلى عَنَزة يُنسب كلّ عنزىّ محرك النون .

والعقب من عنزة بن أسد بن ربيعة بن نزار فخذان ، وهما أسلَم ويَقْدُم ابنا يَذْكُر ابن عنزة بن أسد ؛ فمن أسلم فخذان : بنو صُبَاح ، وهو قمر الليل والنهار ، وبنو حُلّان : ابنى العتيك بن أسلم؛ ومن يقدم بن يذكر فخذان : تَيم ونصر : ابنا يقدم . ومن بنى تيم : بنو هَمِيم بن عبد العُزّى بن ربيعة بن تيم بن يقدم .

والعقب من عَمِيرة بن أسد بن ربيعة بن نزار فخـذان هما مبشّر وعدىّ ابنـا عميرة بن أسد بن ربيعة .

وأما أفصى بن دعمىّ بن جديلة بن أسد ، فمنه بطنان : هِنْب وعبد القيس ابنا أفصى بن دعمىّ بن جديلة؛ والى عبد القيس هذا ينسب كلّ عبقسىّ .

والعقب من عبد القيس بن أفصى بن دعمىّ بن جديلة بن أسد من أفصى بن عبد القيس ، واللّبود بن عبد القيس . والعقب من أفصى بن عبد القيس من لُكَيز بن أفصى وشَنّ بن أفصى فمن لكيز بن أفصى ثلاث عشائر : وَديعةُ وصُـباح ونُكْرة . فمن ولد نكرة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس : دُهن بن عذرة بن منبّه بن نكرة بن لكيز (١١٧) ابن أفصى بن عبـد القيس؛ وليس دهن هذا فخذ عمارة الدهنىّ ، انمـا فخذه دهن التى فى بجيلة .

والعقب من وديعة بن لكيز بن أفصى بن عبد القيس بن أفصى بن دعمىّ من عمرو بن وديعة ودهن بن وديعة وغنم بن وديعة .

والعقب من عمرو بن وديعة بن لكيز بن أفصى — ويقال لولده : العُمُور — : أنمـار وعِجل ومحارب والدِّيل أولاد عمرو بن وديعة .

والعقب من هنب بن أفصى بن دعمىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة من قاسط ابن هنب وعمرو بن هنب ؛ فمن ولد عمرو بن هنب هـذا : عَتِيب بن عمرو ، ومن عَتِيب فى دهن : نخذ ، وخفاجة ابنى عتيب .

والعقب من قاسط بن هنب من النمر بن قاسط ؛ واليه ينسب كل نمرىّ ، وعمرو وهو غُفَيلة بن قاسط : قبيلة ، ومعاوية بن قاسط فى عاملة ، ووائل بن قاسط : البطن الأعظم من قاسط .

فالعقب من النمـر بن قاسط من تيم الله ويقال : تيم اللات ، وأوس مناة ابنى النمر ؛ ومن النمر بن قاسط بنو الضَّحْيان وهو عامر بن سعد بن الخزرج بن سعد بن تيم الله بن النمر ؛ واليه كانت الرياسة واللواء والحكومة والمِرْباع . وقيل له الضحيان لأنه كان يحكم بين العرب فى الضُّحَى .

وأما وائل بن قاسط بن هنب ، فأعقب من أربع أبطن : تغلب بن وائل : البطن المشهورة ، اليهـا يرجع كلّ تغلبىّ معدّىّ . (وفى قضاعة أيضا تغلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة جدّ بنى كلب) ، وبكر بن وائل ، وعَنْز بن وائل ساكنة النون كما يُنسب فى نزار الى عنزة بن أسـد كلّ عَنَزِىّ محرك النون ، وعمرو بن وائل . فمن عنز بن وائل بن قاسط نخذان وهما رُفَيدة بن عنز وأَرَاشة بن عنز ، وفيهما عدّة أفخاذ وعشائر .

والعقب من بكر بن وائل بن قاسط بن هنب من الحارث وعلىّ و يشكر وجشم و بَدَن بنى بكر؛ والى علىّ هذا يُنسب كلّ علوىّ فى نزار؛ والى يشكر هذا يُنسب كلّ يشكرى .

والعقب من يشكر بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب من ثلاث قبائل لصلبه، وهم حَرْب وكنانة وكعب؛ فأعقب حرب بن يشكر من جشم وذُهْل ولدَىْ كنانة بن حرب؛ ومن بنى جشم بن حرب بنو عُصَيم بن سعد بن عمرو بن جشم؛ وبنو الحِمْير : حُبَّيب بن كعب بن جشم، والى جشم هذا يُنسب كلّ جشمىّ فى نزار .

وأعقب كنانة بن يشكر من ذِبيان بالكسر بضد ذبيان عبس الذى هو بالضمّ ؛ وأعقب ذبيان من فخذ وائلة وعامر ابنى ذبيان بن كنانة بن يشكر؛ فمن بنى عامر بن ذبيان بنو جشم ابن عامر فخذ يقال لهم : الجشميّون أيضا .

وأما بنو علىّ الوائلى فالعقب من علىّ بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى ابن دعمىّ بن جديلة بن أسد بن ربيعة من صعب بن علىّ وحده؛ واليه يرجع كلّ صعبىّ فى نزار؛ والعقب من صعب من ثلاث بطون : عُكَابة ولُجَيم[(١)] ومالك أولاد صعب بن علىّ بن بكر بن وائل، فأعقب مالك بن صعب فى بنى زِمّان بن مالك : فخذ، واليه ينسب كلّ زِمّانىّ .

وأما لُجَيم بن صعب، فأعقب من حَنِيفة بن لجيم : البطن المشهورة، ومن عجل ابن لُجَيم .

قال الزبير بن بكّار : وحَنِيفة آمرأة نُسب اليها ولدها، وهى حنيفة بنت كاهل بن أسد بن خَزِيمة؛ فأعقب حنيفة من ثلاث قبائل، الدُّؤل بن حنيفة : القبيلة المشهورة فى بنى حنيفة، و يقال فى النسبة اليه : دؤلىّ كذا بضدّ النسبة الى دئل كنانة ، وعامر

(١) كذا بالأصل وفى كتاب المعارف لابن قتيبة : "لُجَيم" بالجيم المعجمة .

ابن حنيفة وعدىّ بن حنيفة؛ وفيهم عدّة عشائر وقبائل، والعــزوة الى حنيفة تغنى عنها؛ منها بنو يَربوع بن الدؤل بن حنيفة اليه يُنسب كلّ يربوعىّ؛ وهم قبيلة خَولة بنت جعفر بن قيس بن سـلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع المذكور أمّ أبى القاسم محمد بن علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه المعروف بابن الحنفيّــة ؛ وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وســلم فيه لعلىّ : "سيولد لك ولد وقد نحلته اسمى وكنيتى"

قال : ولعبيد بن ثعلبة بن يربوع غير سلمة خمس أفخاذ لصلبه : مَسلَمة وشَيبان وزيد ووهب وأرقم، ولهم عدد فى بنى مَسلَمة المذكور : عمرو بن معدى كرب بن الحارث بن مسلمة، اليه يُنسب كنز الدولة حامى أسوان .

وأما عجل بن لجيم فأعقب من أربع أبطن، وهى سعد وكعب وهم قليل، وربيعة وضبيعة أولاد عجــل؛ واليه ينسب كلّ عجــلىّ . وفيهم عدّة أفخـاذ وعشائر، والى ضبيعة يُنسب كلّ ضبعىّ .

وأما عكابة بن صعب بن علىّ فأعقب من بطنين : ثعلبة وفيه العدد، وقيس (١١٨) ابنى عكابة .

والعقب من ثعلبة بن عكابة بن صعب بن على من خمسة : قيس من اللَّهَازم: بطن، ومالك وتيم الله من اللهازم : قبيلة أولاد ثعلبة بن عكابة، وشَيبان وذُهْل وهما الذهلان ابنا ثعلبة؛ والى شيبان هذا يرجع كلّ شيبانىّ، والى ذهل يرجع كلّ ذهلىّ .

فأما قيس بن ثعلبة فأعقب من ضُبَيعة وسعد ابنيه لصلبه. والعقب من ضبيعة ابن قيس بن ثعلبة بن عكابة من ربيعة وهو جَحْدَر، واليه يرجع كلّ جحدرىّ، وسعد وتيم وعُبَاد ومالك : بطن .

وأعقب تيم الله بن ثعلبة بن عكابة من سبع أفخاذ، وهم الحارث وذُهْل وعدىّ ومالك وعامر وزِمّان وحَاطِبة؛ ومن بنى مالك بن تيم الله بنو عائش بن مالك : فخذ.

فأما شيبان بن ثعلبة بن عكابة فأعقب من ثلاث بطون لصلبه : ذهل، واليه يرجع الذهليّون ، وتيم وثعلبة؛ وثعلبة هذا هو الفخذ الذى يُنسب اليه و يرجع أبو الصقر محمد بن اسماعيل وزير المعتمد . وفيه يقول ابن الرومىّ الشاعر :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم * كلّا لعَمرى ولكن منه شيبانُ
وكم أبٍ قد علا بابنٍ له شرفا * كما علا برسول الله عدنانُ

وأعقب ذهل بن شيبان من أولاده لصلبه : وهم مُرّة ؛ واليه يرجع المرّيون الشيبانيّون وأبو ربيعة ومُحلِّم وصُبح(١) والحارث وعمرو : وهو جِذْرة وعوف وعبدغنم ، ومن ولد أبى ربيعة بن ذهل المُزدلِف : وهو عمرو بن أبى ربيعة : فخذ كبيرة .

وفى مرّة بن ذهل بن شيبان عدّة أفخاذ: وهم سعد ودُبّ وسيّار وكثيّر وجندب وبُجَير وجسّاس ونضلة وهمّام : قبيلة الأحلاف أولاد مرّة . قال : وهمام بن مرّة ابن ذهل هو بيتُ ذهلٍ وقعددُ فخرهم . وأعقب لصلبه الأحلاف من مازن وعوف وثعلبة خمسين بيتا، وعمرو وعائشة والأسعد وحبيب : هؤلاء هم الأحلاف ومرّة وعبد الله والحارث .

وأما ذهل بن ثعلبة وهو أحد الذهليين فمنه بطنان لصلبه : شيبان وعامر ، فأعقب شيبان بن ذهل بن ثعلبة من سبع أفخاذ لصلبه : وهم سَدُوس ومازن وعمرو الأعمى وعلْبَاء ومالك وعامر وزيد مناة والى سَدُوس هذا يُنسب كلّ سدوسىّ . ومن ولد مازن هذا : أحمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حَيّان ابن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن ، واليه أيضا يُنسب أبو عثمان المازنىّ النحوىّ وكل مازنىّ ، وفى مذحج فى بنى سُلَيم : زُبَيد مازن المعروفة .

(١) كذا بالاصل وفى كتاب المعارف لابن قتيبة : صبيح .

نعود الى باقى نسب وائل .

وأما تغلب بن وائل بن قاسـط بن هنب ، واسم تغلب دِثار وكان أكثرهم نصارى ، فالعقب منه فى ثلاث أفخاذ لصلبه : عِمران وهم قليل ، وأوس وغنم ، وفيه العدد والبيت ، ومن قبائل غنم الخنّاقون : بكر ورَزاح ومالك وعدىّ بنو معاوية ابن عمرو بن غنم بن تغلب ، والأراقم الستة : جشم ومالك وعمرو والحارث ومعاوية وثعلبة أولاد بكر بن حُبَيْب بن غنم بن عمرو بن تغلب ، ومن جشم هذا بنو عُطَيْف مُجزِئة بن حارثة بن مالك بن جشم بن بكر بن حبيب ، رهط سيف الدولة بن حمدان . فهذا نهاية الاختصار فى نسب بنى نزار .

وعمود النسب منه فى ابنه مضر بن نزار ، وأمه سَوْدة بنت عكّ العدنانية ، ومنه غير عمود النسب وهو إلياس ابنـه قيس بن عَيْلان بن مضر ، واسم عيلان الناس ، وهو أخو إلياس ، ويقال : قيس عيلان بن مضر ، وعيلانُ حاضنٌ كان لقيس فنُسب اليه كما نُسب غير واحد من العرب الى الحضان ، كسعد هُذَيم حضنه هذيم فنُسب اليه ، والصحيح أن عيلان بن مضر ، واسمه الناس ، وقيسا ولده . وقد قيل فى الناس : النّاس بتشديد السين .

ذكر نسب قيس وبطونها

والعقب من قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ثلاثة نفر : خَصَفَة وسعد وعمرو . وقال قائلون : وَبْر بن قيس وإنه ولد طوائف من البربر ، وفى ذلك خلاف عند النسّابين .

فالعقب من خصفة هذا من بطنين : عِكْرِمة ومُحارِب ابنى خصفة بن قيس ، وقيل : إن خصفة بن عكرمة غلب اسمها عليه فنُسب اليها كما قيل فى خندف . (١١٩)

أعقب عكرمة بن خصفة من منصور بن عكرمة : البيتَ الأول من بنى قيس، فيه العدد، وسعد بن عكرمة وأبى مالك وعامر بنى عكرمة . أعقب منصور بن عكرمة من هوازن بن المنصور : القبيلة المشهورة، ومن سُلَيم بن منصور : القبيلة المشهورة وسلامان بن منصور : قبيلة، ومازن بن منصور : قبيلة .

فأما هوازن فأعقب من بكر بن هوازن لاغير، وأعقب بكر بن هوازن من ثلاث أفخاذ : معاوية بن بكر، وفيه العدد، وقَسِىّ وهو ثقيف، واسمه منبِّه بن بكر، واليه يرجع كلّ ثقفىّ؛ وسعد بن بكر، واليه يرجع كلّ سعدىّ من عشيرة حليمة بنت أبى ذؤيب السعديّة ظئر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهى حليمة بنت أبى ذؤيب عبد الله بن الحارث بن شِجْنَة بن جابر بن رِزام بن ناصرة بن قُصيّة بن نصر بن سعد المذكور؛ واسم زوجها وهو والد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة : الحارث بن عبد العزّى بن رفاعة بن مَلّان بن ناصرة بن قصيّة بن نصر بن سعد؛ وكنيته أبو كبشة؛ وبه كانت العرب تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ابن أبى كبشة . وقيل فى أبى كبشة [أقوال] منها أن جدّه لأمّه السيدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زُهْرة كان يكنى أبا كبشة فنسبوه الى ذلك ليتمه وموت أبيه؛ وكان أيضا عمرو بن زيد أبو أسد النجارىّ أبو سلمى بن عبد المطلّب جدّ النبىّ صلى الله عليه وسلم يكنى : أبا كبشة، وقيل : بل لحظوا لقولهم : أبا كبشة يعنون أبا كبشة جرير بن غالب بن الحارث، وهو أبو قَيْلة أمّ وهب بن عبد مناف والد آمنة أمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال ابن قتيبة : إنه كان يعبد الشعرى دون العرب، فلما جاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة الله دون عبادة الأصنام شبّهوه فى شذوذه عنهم بشذوذ بعض أجداده من قبل أمّه بعبادة الشعرى وانفصاله منهم .

وأما معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصـفة بن قيس بن عيلان، فأعقب من صعصعة بن معاوية : القبيـلة العظمى، وجشم بن معاوية؛ واليه ينسب كل جشمىّ فى هوازن، وله ثلاث أفخاذ : عُصَيمة وزِمّان وبنو جشم ونصر بن معاوية جدّ النصريّين القيسيّين ، ومنه فخذان : بنو دهمان وبنو عوف : ابنى نصر، وجحش بن معاوية : فخذ، وسيّار بن معاوية : فخذ، وكلاب بن معاوية، ومِنجاب بن معاوية ، وعمرو بن معاوية، وأُدْحِيّة بن معاوية، ودُحَيّة بن معاوية، ودَخْوَة بن معاوية، والسَّبّاق، وهو يعيش بن معاوية، وعوف بن معاوية، وحِمّاش ابن معاوية هؤلاء كلّهم أفخاذ قليلو العدد ، يقال لهم : الهوازنيّون .

وأما صعصعة بن معاوية فأعقب لصلبه عامر : القبيلة المشهورة، ومرّة، وهم سَلول؛ وكلّ سلولىّ ينسب الى مرّة هـذا؛ وأمّ ولده سلول الشيبانيّة، وهى سلول ابنة شيبان بن ذهل بن ثعلبة؛ وولده عشرة أفخاذ : وهم عمرو وضبيعة ونهار وسُحَيم وهو أعيا، وغاضرة وعُدَيّة وجابر ومعاوية وجنى ودهى . وباقى ولد صعصعة لصلبه قبائل صغار : عبد الله وعائد وعمرو وقيس وكبير وسيار ومساور وزبيبة وربيعة وغالب ووائل ومازن وعوف ومنجور والحارث : خمس عشرة قبيلة؛ وفى هـذه القبائل بنو عادية وبنو عُدَيّة بالضم ، فأما بنو عادية فهى أم عبدالله عادية والحارث . وأما بنو عدية فهى أم قيس عدية وعوف عدية . والى عمرو بن صعصعة بن معاوية تُعزَى الطائفـة المعروفة بالأكراد ، ومن النسّابين من ذكرهم الى كرد بن مرد بن عمرو بن صعصعة المذكور، ومنهم من نسبهم الى أكراد بن فارسان بن أهـلوا بن إرم بن سام بن نوح ، وعليـه اعتمدوا؛ ومنهم من قال : كرد بن مرد بن يافث آبن نوح .

وأما عامر بن صعصعة فأعقب من أربع بطون : وهم نمير وسُوَاءة وهلال وربيعة .

فأما نمير بن عامر، واليه يُنسب كلّ نميرىّ، ففيهم عدّة أفخاذ ، بنو المقشّب وهو ربيعة بن عبد الله بن الحارث بن نمير، وبنو خُوَيلفة بن عبد الله بن الحارث ابن نمير، وبنو أسقع وهو مالك بن عامر بن نمير .

وأما سواءة بن عامر بن صعصعة فمنه عدّة أفخاذ ، منها بنو حُبَيب بن سواءة وبنو جسّاس بن سواءة وبنو حرثان بن سواءة .

وأما هلال بن عامر بن صعصعة فالبطن المشهور، وقد نزلوا المغرب من تلمسان الى طرابلس ، فأعقب هلال من إحدى عشرة قبيلة وهم أولاده لصلبه .

أولهم البيت المقدّم عبد الله ونَهيك وربيعة وعائذة وعبد مناف ورُوَيْبة وصخر (١٢٠) وشَعبة وشعَيبة وناشرة وحضرة .

وفى هلال عدّة أفخاذ وعشائر، كزُغبة ورياح وفادع والأثبج وحُوثة ، وقُرّة وغيرهم .

فأعقب عبد الله وهو البطن الأولى من بنى هلال من ثلاث أفخاذ ، رُوَيْبَة ابن عبد الله وحوثة وحارثة ابنى عبد الله؛ فأعقب رويبة بن عبد الله من أربع عشائر : زغبة ورياح وهزوم ومعاوية بنى رويبة بن عبد الله، فمن بنى الهزم بن رويبة بن عبد الله : ميمونة بنت الحارث بن حَزْن بن بُجَير بن الهزم بن رويبة بن عبد الله أمّ المؤمنين زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم، ومن بنى رياح بنو نجيّة بن علىّ ابن فادع : فخذ أعقب ، اليه يرجع جنادة بن كامل مقدّم بنى هلال .

وأما نَهيك بن هلال فأعقب من خمس قبائل لصلبه، وهم معشر وأبو ربيعة وأبو معاوية وسهل وأبو جشم .

وأما عبد مناف بن هلال فأعقب من أربع قبائل : الحارث وعمرو وربيعة ويَعْمر بنى عبد مناف لصلبه . فمن بنى ربيعة بن عبد مناف بن هلال : قرّة بن عمرو بن ربيعة : فخذ مشهورة كبيرة ، اليه يرجع كلّ قرىّ . ومن بنى عمرو بن عبد مناف بن هلال : زينب بنت خُزَيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبدمناف أمّ المساكين زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم أمّ المؤمنين . فهذا مختصر قبائل هلال .

وأما ربيعة بن عامر بن صعصعة ، فأعقب من خمس قبائل ، وهم الحارث وكليب وعامر وكلاب وكعب بنوه لصلبه .

أما الحارث بن ربيعة فأعقب من فخذين لصلبه : عوف وعُوَيف .

وأما كليب بن ربيعة فأعقب من خمس أفخاذ لصلبه : أبان وجَهْم وجشم وخلف ومسروق .

وأما عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فأعقب من أربع أفخاذ لصلبه : عمرو وعوف والبَكّاء ومعاوية .

وأما كلاب بن ربيعة بن عامر فأعقب من عشر أبطن ، قال الشاعر :

وإن كلابا هذه عشر أبطن * وأنت برىء من قبائلها العشر

يعنى شُمَر بن ذى الجَوْشن الضِّبَابىّ ، والعشر أبطن لصلب كلاب ، وهم جعفر وأبو بكر واسمه عبيد ، ومعاوية ، وهو الضِّبَاب بن كلاب وعامر وربيعة والأضبط وعمرو وعبد الله ورؤاس — قيل : بالفتح وواو بدل الهمز — ، وكعب .

فأما جعفر بن كلاب فأعقب من أربعة أفخاذ لصلبه : مالك والأحوص وخالد وعُتْبة ، وفيهم عدّة عشائر .

وأما أبو بكر عبيد بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ لصلبه : عبْد وكعب وعبد الله ، فأما عبد بن أبى بكر فمن العشائر التى لصلبه : بنو قُرْط وبنو قُرَيط .

وأما كعب بن أبى بكر فمن العشائر التى لصلبه : بنو جَحْش بن كعب .

وأما عبد الله بن أبى بكر فمن عشائره لصلبه : بنو المجنون ، وهو ربيعة بن عبد الله .

وأما معاوية بن كلاب وهو الضِّباب فمنه ثلاث عشرة قبيلة ، وهم ضَبّ ومُضِب وضِباب ، ولأجلهم عرف هذا البطن أعنى بنى معاوية بالضِّباب ، وحُسَيل وحِسْل وعمرو وأنس والأعور وزفر وأنيس ومالك وربيعة و زهير أولاد عمرو بن معاوية . ومن ولد الأعور هذا شمر بن شُرَحْبيل بن الأعور قاتل الحسين بن علىّ رضى الله عنه .

وأما عامر بن كلاب فمنه أربع قبائل لصلبه ، وهم بنو الأصمّ ، وهم قليل ، وبنو كعب وهو البيت من عامر بن كلاب وطَريف بن عامر وعقيل بن عامر . فأعقب كعب بن عامر من الوَحيد وهو عامر بن كعب ، من أفخاذه خالد بن ربيعة ابن الوحيد بن كعب بن عامر بن كلاب ، منه أمّ البنين بنت حِزَام بن خالد المذكور زوج علىّ بن أبى طالب ، وهى أم ابنه العباس السقّاء ، عرف بذلك لأنه سقى الحسينَ الماءَ بكربلاء .

وأما ربيعة بن كلاب فمنه ثلاثة أفخاذ لصلبه ، وهم بُجَيْر وعُبَيْد ونَفيل أبو نمير .

وأما الأضبط بن كلاب ففخذه بنو وَبْر بن الأضبط ، ومن بنى وَبْر سبع عشائر ، وهم وَهْب الأكبر و وهب الأصغر وواهب و إهاب و وَهْبان وخالد وأبو ربيعة أولاد وبر بن الأضبط .

وأما عمرو بن كلاب فمنه فخذان : نفيل وأبو عوف ابنا عمرو بن كلاب .

وأما عبــد الله بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخــاذ : عامر وعمرو والصُّمُوت أولاده لصلبه . ومن عشائر الصموت بن عبد الله : ضُبَيعة الأغرّ بن عبد الله ابن الصموت .

(١٢١) وأما رؤاس بن كلاب فأعقب من ثلاثة أفخاذ : بِجَاد وبُجَيد وعُبَيــد أولاده لصلبه؛ ومن بُجَيد عُفَيِّف بن بُجيد : فخذ، والى رؤاس هذا ينسب كلّ رؤاسىّ .

وأما كعب بن كلاب فأعقب من أربعة لصلبه : عامر ووهب وربيعة وأوس .

فهذا مختصر بنى كلاب وأبطنها — نعود الى باقى ولد ربيعة بن عامر .

وأما كعب بن ربيعة بن عامر فأعقب من ستة أبطن لصلبه ، وهم جَعْدَةُ بن كعب البطن المشهورة؛ اليها يرجع كلّ جَعْدىّ؛ وفيها عدّة قبائل وعشائر، وحبيب ابن كعب البطن المشهورة؛ واليها يرجع كلّ حبيبىّ؛ وفيها أفخاذ، وعبد الله بن كعب منه العَجلان بن عبد الله : بطن ، وربيعة بن عبد الله، ونُهَم بن عبد الله؛ وفيهم أفخاذ ، وقُشَــيْر بن كعب؛ واليه يرجع كلّ قُشَــيرىّ؛ وفيها عدّة أفخــاذ وعشائر ، والحِرِيش بن كعب ، واليــه يرجع كلّ حَرَشِىّ كعبــد الله بن الشِّخِّير بن عوف بن كعب بن وَقْدان بن الحريش الحرشىّ الصحابىّ وغيره ، وعُقَيــل بن كعب البطن المشهورة ، اليها يرجع كلّ عُقَيلى بالضم . والعقب من عقيل بن كعب : بن ربيعة ابن عامر من خفاجة بن عمرو بن عقيــل : البطن المشهورة، وعبــد الله وربيعة ومعاوية وعامر وعُبادة ؛ كلّ هؤلاء أبطن . والعقب من خفاجة من أحد عشر فخذا لصلبه؛ وهم بنو معاوية ذى القَرْح : فخذ، وبنو كعب ذى النُّوَيرة، وبنو الأقرع : فخذ ، وبنو كعب الأصــغر، وبنو عامر، وبنو مالك، وبنو الهيثم، وبنو الوازع ؛ اليه ينسب كلّ وازعىّ ، وبنو عمرو ، وبنو حَزْن، وبنــو خالد . والفخذ العظمى

من بنى عقيل بعد بنى خفاجة : بنو يُزِيد بضم الياء ابن عبد الله بن يزيد بن قيس بن حوثة بن طَهْفَة بن حزن بن عبادة : عشيرة الأمير أبى المنيع شرف الدولة محمد ابن مرداس، ودرج شرف الدولة، وهو ملك العرب .

فهذا مختصر من نسب بنى عقيل، وهؤلاء هوازن وهم بكر، والله سبحانه وتعالى أعلم .

وأما سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان، وهو البطن المشهورة، فأعقب من بهثة بن سليم، وأعقب بهثة من خمسة أفخاذ لصلبه : معاوية وعوف وامرئ القيس والحارث وثعلبة . ومن بنى امرئ القيس بن بهثة : بنو عُصَيّة بن خُفَاف بن امرئ القيس : بطن .

وأما محارب بن خصفة بن قيس بن عيلان، فأعقب فخذين لصلبه : طرِيف وجَسْر، ويقال لبنى جسر : بنو علىّ لأن العقب من جسر بن محارب فى علىّ بن جسر لا غير .

انقضى ذكر بنى خصفة بن قيس بن عيلان .

وأما سعد بن عيلان فأعقب من بطنين لصلبه، وهما غَطَفَان، ومنبه، وهو أَعْصُر، والعقب من رَيْث بن غطفان من أربع أبطن لصلبه : بَغِيض ومازن وأشجع وإليه يرجع كلّ أشجعىّ، وأهون بنو ريث .

والعقب من بغيض بن ريث [من عَبْس وذُبيان] وهما القبيلتان المشهورتان .

وذكر بعض النسّابين أنمار بن بغيض منهم أبو كبشة الأنمارىّ . وقيل : إن أبا كبشة الأنمارىّ إنما هو من مذحج .

والعقب من عبس بن بغيض بن ريث بن غطفان من فخذين : قَطِيعة ووَرَقة ابنى عبس .

والعقب من قَطِيعة بن عبس من الحارث، ومُعتمِر: قبيلة قليلة، وعوف قبيلة، وغالب قبيلة الحُطَيئة، ومُرَيْطة قبيلة من ولد خالد بن سنان نبى أهل الرَّسّ بن جابر ابن غيث بن مريطة .

والعقب من الحارث بن قطيعة بن عبس من جِرْوَة وعامر ومازن : قبيلة وذَكْوان وشدّاد : بنى الحارث بن قطيعة . ومن مازن بن الحارث أنخاذ، منهم جَذِيمة بن رَوَاحة بن ربيعة بن مازن : نخذ، اليه يرجع الجذميون بالجيم، منهم عشيرة بنى زهير بن جذيمة فى آخرين .

وأما ذبيان بن بغيض، فأعقب من فَزَارة : البطن المشهورة، وسعد، فأعقب فزارة بن ذبيان من مرّة وظالم وروميّ، دَرَج وشَمْخ وعديّ ومازن أولاد فزارة، وفيهم قبائل وعشائر وأنخاذ .

وأما سعد بن ذبيان فمن بطونه المرّيون : بنو مرّة بن عوف بن سعد، وفيهم (١٢٢) أنخاذ ، وبنو عقال بن سعد : نخذ، وبنو بَجَالَة بن ثعلبة بن سعد وبنو عَجْب بن ثعلبة وبنو رِزَام بن ثعلبة .

وأما عبد الله بن غطفان بن سعد فالعقب منه فى بهثة بن عبد الله وقُطْبَة وعديّ وعُذرة وكلب وباعث وشَبَابة وغنم وعوف ومنبّه، عشرة أنخاذ .

وأما أَعْصُر وهو منبّه بن سعد بن قيس فأعقب من باهلة ، وهم ولد مالك بن أعصر، وهى باهلة بنت صعب بن سعد العشيرة أخت بَجِيلة بن مذحج ولد سعد ابن مالك بن يَعصُر ومَعْن بن مالك بن يعصر فغلب اسمُها عليهم ونُسبوا إليها، وكلّ باهليّ ينسب الى باهلة وهم ولد مالك بن أعصر بن معن بن مالك ، وغنيّ بن أعصر بن سعد بن قيس أعقب من غنم وجعدة، اليها ينسب كلّ غَنَوِيّ والطُّفَاوة ، اسمه الحارث بن أعصر اليه ينسب الطُّفَاوِيّون، وعامر بن أعصر .

وأما عمرو بن قيس بن عيلان، فمنه بطنان لصلبه وهما عَدْوَان واسمه الحارث، وفَهْـم ابنا عمرو بن قيس، وانمـا قيل له عَدْوان لأنه عدا على أخيه فَهْـم فقتله. وفهم وعدوان يقال لهما: جَدِيلة قيس، وهى أمهم جديلة بنت مرّ بن أدّ أخت تميم بن مرّ. ومن قبائل عدوان: بنو يشكر و بنو دَوس: ابنى عدوان القبيلتان المشهورتان.

هذا آخر مختصر نسب قيس بن عيلان بن مضر.

فلنرجع الى عمود النسب. وعمود النسب من مضر فى ابنه.

الياس بن مضر بن نزَار

وأمه الرِّباب بنت إياد المَعدِية، ومنه غير عمود النسب (وهو مُدْرِكَة) بطن واحد وهو طابخة بن الْياس، قال: لأن قمعة بن الْياس فيه خلاف كثير، وأكثر مشايخ النسب يذكرون أنه دَرَجَ ولا عقبَ له، وذكر آخرون: أنه أبو خزاعة، وخزاعة ليست بأبٍ ولا أمٍّ وإنمـا هم انخزعوا من مضر الى اليمن ببطنِ مَرٍّ، وذلك حين أقبل بنو عمرو بن عامر يريدون الحجاز، ألا ترى قول عون بن أيّوب الأنصارىّ (١):

ولمـا هبطنا بطنَ مَرٍّ تخــزَّعتْ * خُزاعــةُ منّا فى حُلولٍ كَرَاكِرِ
حمتْ كلَّ وادٍ من تِهامةَ واحتمتْ * بصُمّ القنا والمـرهفَاتِ البــواترِ

وقد أوردنا نسب خزاعة فى بنى عمرو بن عامر ماء السماء الغسّانىّ فى نسب اليمن، ومن قبائل طابخــة بن الياس خمسٌ: بنو مُرّ بن أدّ بن طابخــة، وبنو ضبّة بن أدّ ابن طابخة، وبنوعمرو، وبنو تَمِيس، وبنو عبد مناة أولاد أدّ بن طابخة.

فأما بنو مُرّ بن أدّ بن طابخة، فمنه بنو تميم بن مرّ، وبنو ثعلبة بن مرّ: ظاعنة من الشُّعَيْراء، وبنو صوفة وهم ولد الغوث وهو الرَّبيط بن مرّ و بكر بن مرّ من

(١) كذا بالأصل وفى اللسان أن القائل: حسان بن ثابت.

الشعراء، ومحارب بن مرّ، فهم عدّة أفخاذ وقبائل. وقبائل تميم وهم ثلاث: زيد مناة والحـارث وعمرو أولاد تميم لصـلبه . فمن قبائل زيد مناة بن تميم نَهْشَل بن دارِم ابن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم، وبنوسَدُوس بن دارم قبيلة . وبنو عبدالله بن دارم منهم عُطارد قبيلة حاجب بن زُرارة بن عُدُس (وكلّ من عداه بفتح الدال) ابن زيد بن عبد الله بن دارم مجوس، و بنو أَبَان بن دارم: قبيلة. و بنو ثعلبة بن يربوع بن حنظلة: قبيلة . و بنو كليب بن يربوع : قبيلة . و بنو رياح بن يربوع: قبيلة . و بنو غُدَانة بن يربوع: قبيلة . و بنو جارية بن سَلِيط بن يربوع. و بنــو البَرَاجم وهم ظُلَـيم وعمرو وقيس وغالب وكلفـة أولاد حنظلة بن مالك؛ فهؤلاء بنو حنظلة بن مالك؛ سُمّوا بَرَاجم لتجمّعهم كالأصـابع . ثم قبيـلة الجوع وهم ولد ربيعة بن مالك بن زيد مناة؛ والكُرْدُوسَان من بنى زيد مناة: معاوية وقيس ابنا مالك بن زيد مناة بن تميم . ومن زيد مناة بنو سـعد بن زيد مناة، منـه عدّة قبائل، منهم قبائل الأبناء، وهم عبشمس وعُوافة وعوف وجشم ومالك وعمرو بنو سعد بن زيد مناة. ومن بنى سعد بن زيد مناة بنو الحرام وهو من الحُدَعَة بن كعب (١٢٣) ابن سعد، وبنوحِمَّان بن عبد العُزَّى بن كعب بن سعد، و بنو الأعرج وهو الحارث ابن كعب بن سعد، و بنو قُرَيْع بن عوف بن كعب بن سعد، وبنو بَهْدَلَة بن عوف ابن كعب، و بنو بِرْنِيق بن عوف بن كعب، و بنو عطارد بن عوف بن كعب قليلون.

ومن قبائل كعب بن سعد المذكور بنو مِنْقَر بن عبيد بن مُقاعِس وهو الحارث ابن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم وهم المِنْقَرِيُّون . ومن بنى زيد مناة بنو آمرئ القيس بن زيد مناة، له عدد ومدد، منه ثلاثة أفخاذ : بنو عُصَيَّة وبنو مالك و بنو الحارث أولاد آمرئ القيس المذكور . ومن بنى زيد منـاة بنو عامر الصحيح بن زيد مناة؛ فهؤلاء بنو زيد مناة بن تميم .

وأما الحارث بن تميم فمنه شَقِرة بن الحارث : قبيلة، اسمه معاوية، وسُمِّى شقرة ببيت قاله :

وقد أحمل الرمح الأصمّ كُعوبُه * به من دماء القوم كالشقِراتِ

والشقرات : شقائق النعمان، والنعمان : الدم؛ والله أعلم .

وأما عمرو بن تميم فمنه سبعة أفخاذ، وهم بنو مالك وبنو العنبر وبنو الهُجَيْم وبنو أَسَيد وبنو الحَبَطَة وهو الحارث، وبنو القُلَيْب وهو أُلَيْهَةُ [وزن عَلَيَة] وكعب : بنو عمرو ابن تميم؛ وولى كعب هذا البيت قبل قريش .

فأما مالك بن عمرو بن تميم فمنه فخذان : مازن، منهم أَوْفَى بن مَطَر المازنى جلىّ العرب، والحِرْماز وهو الحارث بن مالك . فمن بنى مازن بن مالك بن عمرو بن تميم أنمار بن مازن : فخذ قليلون، ورَأْلان بن مازن : قبيلة، وحُرْقوص بن مازن، ورزام بن مازن : قليل، وخزاعىّ بن مازن : قليل .

وأما بَلْعَنبر بن عمرو بن تميم فأعقب من ثلاثة : كعب وجندب ومالك أولاد العنبر، وكلّ بلعنبرىّ ينسب إلى بلعنبر هذا وهى قبيلة مشهورة .

وأما بَلْهُجَيم بن عمرو بن تميم وهو الهُجَيْم فأعقب من خمسة : عامر وسعد وعمرو وربيعة وأنمار . ويقال لبلعنبر وبلهجيم : الخَبَطَات[(١)] . وكذلك أخوهما الحارث الخَبِط، وهو الذى عُرِفوا بذلك من أجله، يقال : إنه أكل خَبَطًا فسُمّى به[(٢)] .

---

(١) كذا فى الأصل الكوبريلى باعجام الخاء . والصواب بالمهملة كما فى كتب الأنساب واللغة، انظر القاموس واللسان فى مادة : ح ب ط .

(٢) إنه أكل خبطا فسمى به كذا فى الأصل، وجاء فى القاموس : أن الذين سموا بهذا الاسم هم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم جاءوا فى الطريق حتى أكلوا الخبط وهو الورق المضروب بالمخابط يجفف ويطحن، فسموا بسرية الخبط أو جيش الخبط، وعليه يكون اسم الحارث الحبط بالحاء المهملة .

وأما أُسَيدُ بن عمرو بن تميم فأعقب من ستة لصلبه : عقَيل ونمير وجروة : قبيلة ، وعمرو والحارث . فمن بنى جروة بن أسيد بن هند بن أبى هالة : نَبَّأش بن زرارة ابن وقدان بن حبيب بن سـلامة بن غوىّ بن جروة بن أسـيد بن عمرو بن تميم ربيب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمه خديجة بنت خويلد .

وأما الحارث الحبط بن عمرو بن تميم فمنـه قبيلة سعد بن الحارث ، وهى قبيلة الحبطات ، ومَشادة بن الحارث الحبط ونضلة بن الحارث الحبط ، فهؤلاء بنو تميم فى مُرّ بن أدّ بن طابخة .

وأما بنو ضبة بن أدّ فثلاث قبائل : سعد وسُعَيد و باسل . ولسعد وسعيد المثل السائر " أسعد أم سُعَيد " . أما سعيد بن ضبة فقليل عددهم ، وأما سعد بن ضبة فأعقب من اثنين : ثعلبة و بكر ابنى سعد ، فأما ثعلبة بن سعد ، فمن قبائلها بنو مسعود ابن دُلْجة بن نُعَيم بن قُرَامة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة بن سـعد : قبيلة ينسب اليها كلّ مسعودىّ ، وبنو مبذول بن عامر بن ربيعة بن كعب بن ربيعة بن ثعلبة ابن سعد : قبيلة . ومن بنى بكر بن سعد بن ضبة : صبح وبجالة ابنا ذهل بن مالك ابن بكر بن سعد : فخذان ، وعائذة[1] بن مالك بن بكر بن سعد : فخذ ، ونصر بن عبد الله ابن بكر بن سعد : فخذ .

وأما باسل بن ضبة فانه خرج مغاضبا لأبيه فوقع بأرض الدَّيْلم فتزوج آمرأة من الديلم فولدت له الديلم بن باسل جدّ القبيلة المشهورة ؛ ومن رجالها فى الجاهلية (١٢٤) زيد الفوارس بن حُصَين ، وفى الإسـلام ابن شُبْرُمَة القاضى . وأعقب من الديلم فخذان : الأبيض بن معاوية بن الديلم ، وبُجَيْر بن معاوية بن الديلم . فأعقب الأبيض

(١) وردت فى بعض كتب الأنساب بالدال المهملة وفى بعضها بالذال المعجمة فتنبه .

ابن معاوية من الضحاك ولار وشهريار وإيران وناشر أولاد الأبيض بن معاوية ابن ديلم من بهرام بن الضحاك؛ وفيروز وزر بوران وبريانوس: أربعة أفخاذ. وأعقب بَرْيانوس بن الضحاك من قابوس بن بُريانوس. وأعقب قابوس من شاه مرد. وأعقب لار بن الأبيض من كاميِاد بن لار. وأعقب كاميِاد من ابنه جور.

وأعقب بجير بن معاوية بن ديلم من باسل بن تيداذما، فأعقب تيداذما من دادوه. فهذه النهاية فى اختصار نسب الديلم؛ والله سبحانه وتعالى أعلم.

وأمّا عمرو بن أدّ بن طابخة فهو مُزَيْنة، ومزينة أُمه وهى بنت كلب بن وَبَرة ابن ثعلب بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة، وكلّ مزنىّ ينسب الى مزينة هذا. ومن مزينة عثمان وأوس ولدا عمرو؛ فمن عثمان بن عمرو بن أدّ بن طابخة بطنان: عدا ولاطِم ابنا عثمان. ومن مزينة النعمان بن مقرِّن وزهير بن أبى سُلْمَى؛ وليس فى العرب سُلْمَى بالضم سواه، ورؤبة بن العجّاج؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أسلَم وغِفَار ومزينة وجهينة (أو قال مَن كان من جهينة) خيرٌ من بنى تميم وبنى عامر بن صعصعة ومن الحليفين أسد وغَطَفان".

وأما عبد مناة بن أدّ بن طابخة فمنه ثورُ أطحل بن عبد مناه: بطن — رهط سفيان الثورىّ رحمه الله (وأطحل جبل) وبنو الرِّباب: ولد تيم بن عبد مناة وعدىّ بن عبد مناة وعوف بن عبد مناة: سُمُّوا الرِّبَاب لأنهم غمسوا أيديَهُم فى رُبٍّ إذ تحالفوا على بنى تميم.

قال: ومن النسّابين من يجعل الرباب بنى تيم وعدىّ وثور وعُكْل وهم بنو عبد مناة وضبة بن أدّ.

فأما عدىّ بن عبد مناة فإليه ينسب كلّ عدوىّ ليس من عدىّ قريش؛ ومنهم أبو قَتادة العدوىّ تابعىّ وإلى عوف بن عبد مناة ينسب كلّ عوفىّ؛

ومنهم عطيّة العوفىّ . قال : وشيخ الشرف النسّابة يقول : إن عُكْلًا(١) هو عوف بن وائل بن قيس بن عوف بن عبد مناة، وعُكْلُ: أَمَةٌ لامرأةٍ من حمير يقال لها : بنتُ ذى اللِّحيَة ، تزوّجها عوف بن وائل فولدت له جشما وسعدا وعليّا ثم هلكت ، فحضنتْ عُكْلُ ولَدها فغلبت عليهم ونُسبوا اليها .

وأما تيم بن عبد مناة بن أدّ بن طابخة ففخذه : عمرو بن الحارث بن التيم بن عبد مناة وفيه العدد .

انقضت خندف فلنرجع الى عمود النسب من الياس فى ابنه :

مُدرِكة بن الياس بن مضر

واسمه عمرو، وأمه خندف وهى ليلى بنت حلوان القضاعيّة؛ وانما سُمّى مدركة لأن أباه إليـاس خرج منتجعا ومعـه أهله وماله ، فدخلت بين إبله أرنب فنفرت الإبل، فخرج أولاد الياس، فأدركها عمرو فسماه أبوه الياسُ : مدركة؛ وخرجت ليلَى بنت حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أمّه تهرول فقال لها الياس : مالك تخندفين؟ والخندفَةُ : الهَرْوَلة، فسمّيت خندف، وخرج عامر بن الياس أخو مدركة فى طلب الأرنب فاصطادها وطبخها، فقال له أبوه الياس : أنتَ طابخة ، ورأى عَمْرا أخاهما قد انقمع فى الظلّة فهو يخرج رأسه منه، فقال له أبوه الياس: أنت قَمْعَةَ .

ومن مدركة غير عمود النسب : بنو هذيل بن مدركة، ومن هذيل بطنان لصلبه بنو لِحيان وسعد؛ ومن قبائل سعد بن هذيل : بنو خُنَاعة بن سـعد، وبنو (١٢٥) صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل؛ منهـم عبد الله بن مسعود ابن غافل بن حبيب بن شَمْخ بن قار بن مخزوم بن صاهلة الصحابىّ أحد القرّاء رضى الله عنه . ومن شعراء هذيل أبو ذؤيب الهذلىّ وأبو كبير وأبو المثلَّم وغيرهم .

---

(١) كذا بالأصل، ولعله : هُمْ .

وعمود النسب من مدركة فى آبنـه خزيمة بن مدركة، وأمّه سلمى بنت أسـلم القضاعية؛ ومنـه غير كنانة عمود النسب قبيلتان : وهما الهون وأسد . فأما الهون ابن خزيمة فأعقب من عَضَل والدِّيش ابنى بليغ بن الهون وهم القارَة، سُمّوا قارة لأن يَعْمَر بن عوف بن الشدّاخ أحد بنى ليث لمـا أراد أن يفرّقهم فى بطون كنانة قال رجل منهم :

دعونا قارة لا تنفرونا * فنجفل مثل إجفال الظليم

فسمّوا قارة وهم رماة العرب . وفيهم قيل :

* قد أنصفَ القارَةَ من رَامَاها *

وسبب هذا المثل أن رجلين التقيا أحدهما من القارة، فقال القارىّ للآخر : إن شئت صارعتك، وإن شئتَ سابقتُك، وإن شئتَ راميتُك، فقال خصمُه : قد اخترتُ المراماةَ، فقال القارىّ :

قد أنصف القارةَ من راماها * إنا إذا ما فئــةٌ نلقـاها

* نردّ أُولاها على أُخراهـا *

ثم آنتزع له سهما فسلّ فؤاده؛ وقيل غير ذلك .

ومن أسَد بن خزيمة أربع عشائر، بنو كاهل وصعب وعمرو ودودان بنى أسَد . فمن دودان بنو عمرو بن دودان : قبيلة وهم وجوه بنى أسد؛ منهم : زينب بنت جحش بن رئاب بن يَعْمَر بن صبرة بن مرّة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسـد بن خزيمة؛ زوجت النبىّ صلى الله عليه وسلم وهى بنت عمّته أميمة بنت عبد المطلب . وبنو سعد بن الحارث بن ثعلبة بن دودان : قبيلة، من شعرائهم بشر بن أبى خازم الوالبىّ الجاهلىّ . وبنو قُعَيْن بن الحارث بن ثعلبة بن دودان : قبيلة، منهم فخذ بنى نصر بن قعين، ومنهم بنو فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة

ابن دودان : قبيلة . وبنو أعيا بن طريف : قبيلة، وبنو قيس بن طريف : قبيلة، وبنو كعب بن عمرو بن قعين : قبيلة، وبنو سُواءة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان : فخذ، وبنو ناشرة بن نصر بن سواءة بن سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان .

وعمود النسب من خزيمة بن مدركة فى ابنه كنانة بن خزيمة، وأمه عوانة بنت سعد القيسية، وبنو كنانة أولُ عربٍ تلقَى رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فى نسبه .

ومن بنى كنانة غير عمود النسب وهو النضر : خمس قبائل لصلبه : بنو عبد مناة وعمرو وعامر وملكان ومالك، منهم بنو حداد بن مالك بن كنانة : فخذ .

فأما عبد مناة بن كنانة فمنهم بنو بكر وبنو عامر وبنو مرة : بنى عبد مناة، ومن بنى بكر بن عبـد مناة بنو الدُّئِل بن بكر بن عبـد مناة رهط أبى الأسود الدؤلىّ : وهو ظالم بن عمرو بن سفيان بن عمرو بن حلس بن نفاثة بن عدى بن الدئِل بن بكر المذكور وهو تلميذ علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فى النحو، ويقال فى النسبة الى هذا الفخذ : دؤلى مهموز مفتوح .

ومن بنى بكر بنو الحارث بن بكر : فخـذ، وبنو ليث بن بكر : فخذ، منهـم بنو حدج بن ليث بن بكر فخذ، وبنو ضَمْرَة بن بكر : فخذ . منهم بنو غِفار بن مُلَيْـل بن ضمرة بن بكر رهط أبى ذرّ الغفارىّ : وهو جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صُعَيْر بن حرام بن غفار، وقد انقرض أبو ذرّ الغفارىّ رضى الله عنه .

وأما عامر بن عبد مناة بن كنانة، فمنه قَيْن بن عامر : قبيلة أهـل الغُمَيْصاء، قتلهم خالد بن الوليد رضى الله عنه .

وأما مرّة بن عبد مناة بن كنانة، فمنه بنو مُدْلج بن مرّة قبيـلة سراقة بن مالك ١٢٦
ابن جعشم وهم المدلجيّون، قالوا : وهم قافة العرب وأعلمهم بالزجر والقيافة .

وأما عمرو بن كنانة فهم العَمْرِيّون. وأما عامر بن كنانة فهم العامريّون، وأما ملكان بن كنانة فهم الملكانيّون، وأما مالك بن كنانة فمنه فى الحارث، ومن الحارث فى ثعلبة، ومن ثعلبة فى فخذين : بنو عامر وبنو غنم . أما غنم فمنه فِراس بن غنم وهم الفراسيّون . ومن بنى غنم أمّ رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتّاب بن أُذَينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم وهى أم عائشة بنت أبى بكر الصدّيق رضى الله عنها زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم .

ومن عامر عشيرتان : بنو مُخْدَج بن عامر بن ثعلبة المُخْدَجيّون، وبنو فُقَيْم بن عدىّ بن عامر النسأة . فهؤلاء أفخاذ كنانة، والله أعلم .

وعمود النسب من كنانة بن خزيمة فى ابنه النَّضْر بن كنانة واسمه قيس وأمّه برّة بنت مرّ الأدّية، والنضر : الذهب، وكان له يخلد(١) بن النضر، منه بدر بن الحارث ابن يخلد الذى سُمّيت به بدرٌ بَدْرا . قال : وليس له ولد باق .

والعقب من النضر بن كنانة فى ابنه عمود النسب وهو .

مالك بن النضر

وأمه عِكْرِشة بنت عَدْوان القيسيّة، ولا عقب لمالك إلا من عمود النسب وهو ابنه :

فِهر بن مالك

وهو قريش، وأمّه جَندلة بنت عامر الجرهميّة، وكلّ من لم يلده فهرٌ فليس بقرشى وقد قيل فى تسميته بقريش أقوال منها أنه اسم دابّة فى البحر، وأنه اسم للقبيلة، وأحسن ما قيل فيه : إن التقريش : التفتيش، فكان يقرش عن خَلَّة كلّ

(١) كذا بالأصل وو ردت فى مكان آخر منه "مخلد" .

ذى خَلّة فيسدّها بفضله : فمن كان محتاجا أغناه، ومن كان عاريا كساه، ومن كان طريدا آواه ، ومن كان خائفا حماه، ومن كان ضالا هـداه . قال الحارث بن حِلّزة اليشكرىّ عفا الله تعالى عنه :

أيهـا الناطق المقترش عنـا * عند عمرو وهـل لذاك بقاء

وقيل : التقرّش : التجمّع، وسُمّيت قريش لتجمّعها، فإنها لما تجمّعت بمكةَ وجَمَعتْ خصائل الخير سُمّيت قريشا؛ وتُسَمّى أيضا الحُمْسُ من الحماسة؛ وذلك أنها تحمّست فى دينها فقالت : لا نطوف بالبيت عراةً، ولا تسلأْ نساؤنا سَمْنًا، ولا تغزل وبَرا، ولا نخرج الى عرفات، ولا نزايل حرمنا، ولا نعظّم غيره ، ولا نطوف بين الصفا والمَرْوة . وكانوا يقفون بالمزدلفة ومن سواهم من العرب يقال لهم: الحِلّةُ كانوا يطوفون بالبيت عراةً ويقولون : نكرم البيت أن نطوف فيه بثيابنا التى اجترحْنا فيها الآثامَ .

قال : ومن بنى فهر غير غالب عمود النسب بنو الحارث بن فهر وبنو محارب ابن فهر . فمن بنى الحارث بن فهر : قيس بن الخُلُج(١) بن الحارث . ويقال : الخلج بلاد قيس، سمّوا بذلك لأنهم نزلوا الخلج بالمدينة على ساكنها أفضـل الصلاة وأتم السـلام . منهـم آل هَرْمة الشـاعر وهم هرمةُ بن الهذيل بن ربيـع بن عامر ابن صبح بن عدىّ بن قيس .

ومن بنى الحارث بن فهر أبو عبيدة أمين هـذه الأمة وهو عامر بن عبـد الله ابن الجرّاح بن هلال بن أُهَيب بن الحارث بن فهر، لا عقب له .

ومن بنى محارب بن فهر ضِرار بن الخطّاب بن مرداس بن كثير بن حبيب بن شيبان بن محارب بن فهر وهو القائل :

ونحن بنو الحرب العَوان نشبّها * وبالحرب سُمّينا فنحن محاربُ

(١) وردت فى القاموس بضمتين وفى كتاب المعارف لابن قتيبة بتسكين اللام .

وعمود النسب من فهر بن مالك فى ابنه غالب بن فهر وامه ليلى بنت الحارث الهذليـة ، منــه نخذ واحد غير عمود النسب ، وهم الأَدْرَمِيون ولد تيم بن غالب . والأدرم : الناقص الذقن ، وهم قليل ، وقد ولدوا فى العرب ولادات . وعمود النسب من (١٢٧) غالب بن فهر فى ابنه لؤى بن غالب ، وأمه عاتكة بنت مَخلد الكنانية النضرية ، وقيل بل هى سـلمى بنت عمرو الخزاعية ، وهو تصغير اللأى وهو ثور الوحش مهموز ، وقال أبو حنيفة : اللأى : البعرة ، وقيل لؤىّ تصغير لَأْيٍ وهو البطء : نقيض العجلة .

وأنشد أبو أسامة :

فـدونكُمُ بنى لأيٍ أخاكم * ودونكِ مالكا يا أمَّ عمرِو

وقال ابن دريد : هو مشتقّ من لِوَاء الجيش وهو مهموز ، و إن كان من لِوَى الرمل فهو مقصور ، قال آمرؤ القيس :

* بسَقْطِ اللِّوَى بيْن الدَّخولِ فحَوْمَلِ *

واللوى : اعوجاجٌ فى ظهر الفرس . قال : ومن قبائل بنى لؤى غير كعب عمود النسب بنو عامر وبنو أسامة وبنو خزيمـة وهم عائذة قريش وسـعد ، واليه ينسب بنو نُبَاتة بفتح النون وضمها وهى أمّ سعد بن لؤىّ ؛ بها يعرفون ، واليها ينسبون ، وقيل : نُسبوا الى حاضنةٍ لهم اسمها نباتة من بنى القيْن بن جَسْر بن شَيْع الله ، و يقال : سيع الله ابن الأسد بن وبَرة بن تغلب بن حلوان بن الحاف بن قضاعة . والحارث بن لؤىّ ، وعوف وجشم أولاد لؤىّ .

فأما عامر بن لؤىّ ، فمنهم ابن أمّ مكتوم الأعمى الذى نزل فيه ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ وهو مؤذّن رسول الله صلى الله عليه وسـلم بالمدينة ؛ واسمه عمرو بن قيس بن زائدة ابن الأصمّ بن رواحة بن حجر بن عبد بن مُعَيْص بن عامر بن لؤىّ ؛ ومنهـم عمرو

ابن عبد ودّ بن نصر بن مالك بن حسْل بن عامر، الذى قتله علىّ بن أبى طالب يوم الخندق .

وأما بنو أسامة بن لؤىّ، فيزعم من نسب بنى ناجية الى قريش أنهم يلقون بنى لؤىّ عند أسامة بن لؤىّ، وقد كان علىّ بن أبى طالب سباهم حين أقاموا على النصرانية ثم باعهم فيمن يريد، فاشتراهم مَصْقَلة بن هُبيْرة الشيبانىّ بمـائة ألف درهم فقدّم منها ثلاثين ألفا وأعتقهم، فأنفذ علىّ عتقهم،وهرب مصقلة ببقيّة المـال الى معاوية . وقد قيل عن علىّ إنه قال : ما أعقب عمّى أسامة بن لؤىّ .

وأما خزيمة بن لؤىّ، فاليه يُنسب القوم الذين يزعمون أنهم عائذة قريش . قال: وشيخ الشرف بن أبى جعفر النسابة يدفعهم عن النسب ؛ وهم قوم تكثّر بهم معاوية فأدخلهـم فى قريش . وعائذة هى ابنة الخِمس بن قُحَافة بن خثعم ، بها يُعرَفون وهم بنو الحارث بن مالك بن عُبَيد بن خزيمة بن لؤىّ،وعائذة أم الحارث هذا ؛ ويقال: الحارث بن مالك بن عوف بن حرب بن خزيمة بن لؤى ، وهم بمـالك خمسُ أفخاذٍ من عوف بنو جذيمـة، و بنو عامر، و بنو سـلامة، و بنـو معاوية أولاد عوف، وعائذة مع بنى مُحَلِّب بن ذهل بن شـيبان ، باديتهم مع باديتهـم ، وحاضرتهـم مع حاضرتهم يد واحدة .

فلنرجع الى عمود النسب، وهو من لؤىّ بن غالب فى ابنه :

كعب بن لؤىّ بن غالب

وأمّه ماريَة بنت كعب القضاعيّة ومنـه غير مُرّة عمود النسب وهما بطنان : بنو عدىّ و بنو هُصَيْص؛ فأما بنو عدىّ فمنهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ابن نُفَيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدىّ بن كعب .

وسعيد بن زيد بن نفيل المذكور أحد العشرة . ومن بنى عدىّ : عبد الله بن مُطِيع ابن الأسود بن نضلة بن عوف بن عبيد بن عُوَيج بفتح العين وضمها ابن عدىّ بن كعب ، وهو وأبوه من الصحابة ، وهو الذى أمّره أهل المدينة حين أخرجوا بنى أميّة منها فى موقعة الحرّة .

وأما بنو هُصَيْص بن كعب فمنه فخذان : بنو جُمَح وبنو سهم : ابنى عمرو بن هصيص .

فأما بنو سهم فمنهم عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعد بن سهم بن عمرو بن هصيص .

وأما بنو جمح ، فمنهم عثمان بن مظعون بن حُبَيْب بن وهب بن حُذافة بن جمح ، هاجر الهجرتين وشهد بدْرًا . ومنهم صفوان بن أميّة بن خلف بن وهب ابن حذافة المذكور ، كناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ! " أبا وهب " . ومنهم (١٢٨) أبو محذورة : أوس بن مَعين بن لوذان بن سعد بن جمح ، مؤذن المسجد الحرام لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويرجع الى عمود النسب وهو كعب بن لؤىّ فى آبنه :

مرّة بن كعب

وأمّه وحشيّة بنت شيبان الفهرية ، ومنه غير كلاب الذى هو عمود النسب : بطنان وهما بنو تَيْم ، منهم أبو بكر الصدّيق رضى الله عنه ويكنى بعتيق بن عثمان ابن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنيسه فى الغار بنصّ القرآن بقوله تعالى : ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ فشهد له القرآن بصحبة رسول الله صلى الله

عليه وسلم وناهيك بذلك شرفا ، وصهره ، وخليفته صلى الله عليه وسـلم ورضى عن أبى بكر وأرضاه .

ومن بنى تيم عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم أحد العشرة ، وبنو يَقَظَة بن مرّة ، منهم أم سلمة الصادقة زوج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، وهى بنت أبى أميّـة بن المغيرة بن عبـد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرّة ، وخالد بن الوليـد بن المغيرة بن عبـد الله بن عمرو بن مخزوم الملقّب بسيف الله . قال وقد انقرض ولد خالد بن الوليد فلم يبق منهم أحد شرقا ولا غربا ، وإن انتمى اليهم أحد فهو مبطل فى انتمائه ، وكلّ من ادّعى اليـه فقد كذب . قال الشريف : وكان شيخنا الفقيه مجلّى بن جميع بن نجاء الشافعىّ قاضى مصر يدعى اليه ، وهو على كتبه بخطه وشافهنا به ولا صحّة لذلك .

وعمود النسب من مرّة بن كعب فى ابنه :

كلاب بن مرّة بن كعب

وأمّه هند بنت بَهْز بن حكيم . وقيل عُروة . ومنه غير قصىّ عمود النسب : بطن واحد وهم زهرة بن كلاب ؛ منهم السـيّدة آمنة بنت وهب بن عبد مناف ؛ ابن زهرة أم رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، وعبد الرحمن بن عوف بن الحارث ابن زهرة أحد العشرة ، وسعد بن أبى وقّاص .

ويرجع عمود النسب منه فى ابنه :

قصىّ بن كلاب بن مرّة

وأمّه فاطمة بنت سَـيْل الأزديّة ، واسمه زيد ؛ ويُدعَى مجمِّعا لجمعه أمر قريش بالرحلتين وأول من جمع يوم الجمعة ، وقيـل : إنما سُمّى قصىٌّ "مجمّعا" ، لأنه لما أخرج خزاعة من مكة ورأى أنه من صريح ولد إسماعيل عليه السـلام ، وأنه أحقّ

من خزاعة بالبيت الحرام، وبَنَى دار الندوة، وجعل بابها الى البيت الحرام، وتجمّعت قريش بمكة؛ فسمى بذلك "مجمّعا"، لأنه جمعهم ولم يجعل معهم غيرهم، وكان يجمعهم فى دار الندوة .

وأما الرحلتان . فأول من سنّهما هاشم فكان يرحل فى الشتاء الى اليمن والى الحبشة الى النجاشىّ فيكرمه ، ويرحل فى الصيف الى الشأم الى غزّة، وبها مات؛ وربما وصل الى أَنْقِرة ويدخل على قيصر فيكرمه . وقد قال ابن الزِّبَعْرَى :

عمرو العلا هشمَ الثريدَ لقومه * ورجالُ مَكَّةَ مُسنِتون عِجافُ
سُنّت اليه الرحلتان كلاهما * سفر الشتاء ورحلة الأصيافِ (١)

وأما أوّل من جمع يوم الجمعة فهو كعب بن لؤىّ، وكان يُسمَّى يومَ العَروبَة؛ فكان يجمعهم ويعظهم ويحثّهم على اتباع نبىّ من صلبه .

وإنما سمّىَ قصيًّا لأن أمّه فاطمة بنت سعد بن سيل لما تَقَصّت به مع زوجها ربيعة بن جذام القضاعىّ فأحلها الى بلاده من أرض عُذْرة من بلاد الشأم سُمِّىَ بذلك . قال : ومنه غير عمود النسب وهو عبد مناف بطنان : بنو أسد بن عبد العُزَّى ابن قصىّ، وبنو عبد الدار بن قصىّ .

فأما بنو أسد فمنهم خديجة بنت خويلد بن أسد زوج النبىّ صلى الله عليه وسلم؛ ومنهم الزُّبير بن العوّام بن خويلد بن أسد أحد العشرة وحوارىّ رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وأما بنو عبد الدار بن قصىّ فمنهم الحَجَبَة، فيهم بنو شَيْبة بن عثمان بن أبى طَلْحة عبد الله بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدار ، وفى بنى عبد الدار، هاشم بن

(١) يلاحظ القارئ أن قافيتى البيتين غير متجانستين والعرب يفعلون ذلك فى أشعارهم، ويسمى "الإقواء" وهو اختلاف إعراب القوافى .

عبد مناف بن عبد الدار . قال : وهى مسألة فى النسب يُمتَحَنُ بها من يدَّعى علم النسب، يقال له : من يعلم فى بنى قصىّ جدّ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم هاشم بن عبد مناف غير هاشم بن عبد مناف بن قصىّ ؟ .

نرجع الى عمود النسب من قصىّ بن كلابْ فى ابنه :

عبد مناف بن قصىّ

(١٢٩) وأمّه حُبَّى بنت حُلَيل الخزاعيّة، واسمه المغيرة والقمر، ومنه غير هاشم عمود النسب ثلاث بطون : بنو المطّلب وهو العِيص، وبنو عبد شمس وبنو نوفل أولاد عبد مناف . فمن بنى عبد شمس : أميّة الأصغر، يقال لولده : العَبَلَات لأن أمّ أميّة هذا عَبْلَة بنت عبيد من البراجم بن تميم، وبنو أميّة الأكبر بن عبد شمس، منهم ذو النورين عثمان بن عفّان بن العاص بن أميّة بن عبد شمس أحد العشرة وزوج ابنتى النبىّ صلى الله عليه وسلم ورضى عنه . ومن بنى عبد شمس أبو العاص بن الربيع ابن عبد العزّى بن عبد شمس زوج زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان النبىّ صلى الله عليه وسلم يُثنى عليه فى صهارته خيرا . ومن بنى عبد المطّلب بن عبد مناف : رهطُ ابن عبيدة بن الحارث بن عبدالمطّلب البدرى، انقرض، وشافع ابن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطّلب جدّ الشافعىّ رضى الله عنه وهو محمد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع . ومن بنى نوفل : جُبَيْر بن مُطعِم ابن عدىّ بن نوفل، وكان ممّن قام فى أمر الصحيفة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكر له ذلك، وهم يدٌ مع بنى أميّة .

وعمود النسب من عبد مناف فى ابنه : هاشم بن عبد مناف ، وأمّه عاتكة بنت مُرّة السلميّة، واسمه عمرو العُلَا، وسُمّي هاشما لكرمه وهشمه الثريدَ فى الجدبِ مبتدئا

بذلك، انقرض جميع ولده من الذكور إلا عمود النسب عبد المطّلب، وكان له أسد ابن هاشم، منه فاطمة بنت أسد أمّ عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه؛ وهى أوّل هاشميّة تزوّجت هاشميًا فولدت له؛ وانقرض أسد إلا منها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هى أمّى بعدَ أمّى . والعقب من هاشم فى ابنه :

عبد المطّلب بن هاشم

وأمه سَلْمى بنت زيد النجّارية وهو شَيْبة الحمد، أعقب من غير عبد الله عمود النسب من بنى أبى طالب عبد منـاف بن عبد المطّلب والعباس بن عبد المطّلب والحارث بن عبد المطّلب وأبا لهب بن عبد المطّلب وهو عبد العزّى .

فأما بنو أبى طالب فهم ثلاث بطون : بنو علىّ بن أبى طالب بن عبد المطّلب وهم العلويّون ، وبنو جعفر الطيّار : وهم الجعفريّون ، وبنو عَقيل بن أبى طالب وهم العَقيليون .

فالعلويّون خمس أفخاذ : بنو الحسن بن علىّ ، وبنو الحسين بن علىّ ، وبنو محمّد ابن الحنفيّة وهم المحمّديون ، وبنو العباس السقّاء بن علىّ سمّى بذلك لأنه كان قد سقى أخاه الحسينَ الماءَ بالقربة فى الطّفّ ، وبنو عمر الأطراف بن علىّ . فى كل فخذ منهم عدّة عشائر .

وأما الجعفريّون فثلاث أفخاذ : بنو علىّ بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وهم الزينبيّون ، لأن أمّ علىّ هـذا زينبُ بنت فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بنت علىّ رضى الله عنه ، وبنو إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ، وبنو إسحاق العِرْضِىّ بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب . والعرْض : موضع بالمدينة . وفى كلّ فخذ عدّة عشائر .

وأما العَقيليّون ، ففخذان : بنو محمّد ومسلم ابنى عبد الله الأحول بن محمد بن عقيل بن أبى طالب ، فهؤلاء بطون بنى طالب .

وأما العباسيّون ، فبطنان : بنو عبد الله الحَبْر ومَعْبَد ابنى العبّاس بن عبدالمطلب .

فأما عبد الله ، فمنه ثمـانى أفخاذ : بنو عبد الله وانقرض ، وبنو عيسى ، وبنو عبد الصمد ، وبنو داود ، وبنو إسماعيل ، وبنو صالح : صاحب الشام ، وبنوسليمان صاحب البصرة ، وبنو محمد الكامل : جدّ الخلفاء أولاد علىّ السجّاد بن عبد الله بن العبّاس .

وأما مَعْبد ، فمنه فخذان : بنو داود ومحمد ابنى ابراهيم بن عبد الله بن معبـد بن العبّاس ، فهؤلاء بنو العباس بن عبد المطّلب .

وأما الحارث بن عبد المطّلب فمنـه ثلاث أفخاذ وهم الحارثيّون بنو ربيعـة ، وبنو نوفل ، وبنو أبى سفيان أولاد الحارث بن عبدالمطلب ، فهؤلاء بنو الحارث .

وأما أبو لهب عبد العزّى فمنه فخذان : بنو عُتْبة وبنو مُعَتِّب ولدىْ أبى لهب .

(١٣٠) وعمود النسب الشريف فى عبد الله بن عبد المطّلب ، وأمّه آمنة بنت عمرو المخزوميّة ، ولا عقب لعبد الله بن عبد المطّلب إلّا من سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محمد النبىّ العربىّ ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصىّ ابن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤىّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر (واسمه قيس) ابن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان ابن أدّ بن أدد بن اليسع بن الهميسع بن سـلامان بن نبت بن حمل بن قيـدار بن إسماعيل الذبيح بن إبراهيم الخليل صلى الله عليه وسلم ابن تارح وهو آزر بن ناحور ابن شاروع بن أرغو بن فالغ بن عابر وهو هود النبىّ عليـه السلام ؛ وهو جمـاع

قيس ويمن ونزار وخندف بن شالخ بن أرنخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ابن لَمَك بن مَتُّوشَلَخ(١) بن أخنوخ وهو إدريس النبيّ عليه السلام ابن يَارَدَ بن مَهْلَائِيل(٢) ابن قَيْنان بن أَنُوش بن هبة الله شيث بن أبى البشر آدم عليه الصلاة والسلام وعلى سائر أنبياء الله تعالى أجمعين .

نسبٌ كأنّ عليه من شمس الضحى * نورًا ومن فلَق الصباح عَمودا

وروى عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "لما خلق الله تعالى آدم أهبطنى فى صلبه الى الأرض، وحملنى فى صلب نوح فى السفينة، وقذف بى فى النّار فى صلب إبراهيم، ثم لم يزل ينقلنى من الأصلاب الكريمة الى الأرحام الطاهرة، حتى أخرجنى من بين أبوين لم يلتقيا على سِفاحٍ قطّ".

والى هذا أشار العبّاس بن عبد المطلب رضى الله تعالى عنه بقوله حيث يقول :

مِنْ قبلِها طِبتَ فى الجِنَانِ وفى * مستودَعٍ حيث يُخصَفُ الورقُ
ثم هبطتَ البلاد لا بشرٌ * أنتَ، ولا مُضْغةٌ ولا عَلَق
بل نطفةٌ تركبُ السفينَ وقد * ألجم نسرًا وأهلَه الغرَقُ
تُنْقَلُ من صالَبٍ الى رحِمٍ * إذا مضَى عالَمٌ بدا طَبَقُ

اللّهم صلّ على أسعد الخلق سيّدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم أفضلَ صلواتِك وسلامك عددَ خَلْقك، وأَجْرِ لطفَك فى أمورنا فى الدنيا والآخرة، حسبُنا الله ونعم الوكيل.

---

(١) فى التوراة : متوشالخ . (٢) فى التوراة : مهللئيل . وفى الاغانى طبع دار الكتب المصرية (ص ١٤ ج ١) : «مهلايل» .

كمل الجـــزء الثـانى

من كتاب نهـاية الأرب فى فنون الأدب

يتلوه إن شاء الله تعالى فى أوّل الجزء الثالث : "القسم الثانى من الفنّ الثانى فى الأمثال"

وحسبنا الله ونعم الوكيل

وصلّى الله وسلّم على أشرف الخلق أجمعين

(مطبعة دار الكتب المصرية ٤٨٢/١٩٢٧/١٠٠٠)